* سلسلة التراث الروحي للإنسان 5

المعتقدات الكنعانية

خزعل الماجدي

الشروق

المعتقدات الكنعانية

المعتقدات الكنعانية

تأليف

خزعل الماجدي

الشروق

2001

رقم التصنيف: 909.04924

المؤلف ومن هو في حكمه: خزعل الماجدي

عنوان الكتاب: المعتقدات الكنعانية

الموضوع الرئيسي: 1- التاريخ القديم/ الكنعانيون

2- تاريخ فلسطين

رقم الإيداع: 955 / 5 /20001

بيانات النشر: عمان: دار الشروق

● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

ردمك ISBN 9957 - 00 - 151 -5

● المعتقدات الكنعانية .

● الدكتور خزعل الماجدي .

● الطبعة العربية الأولى : الإصدار الاول ، 2001 .

● جميع الحقوق محفوظة © .

دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065

ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11110 عمان – الاردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة – شارع المنارة – مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614

نابلس: جامعة النجاح – هاتف 09/2398862

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :

الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية

هاتف : 4618190/1 فاكس 4610065 / ص.ب . 926463 عمان (11110) الأردن

Email : shorok Jo@nol.com.Jo

صورة الغلاف : نقش على نصب حجري للإله (بعل) من راس شمر (أوغاريت)

إيقونة الكتاب رمز الآلهة تانيت

إيقونة السلسلة * رمز الألوهية في الألف الخامس قبل الميلاد

المقدمة

يمكننا أن نصف أديان وعقائد بلاد الشام القديمة بمنظومة مركبة من العقائد الأمورية والكنعانية والآرامية التي اختلطت أنسجتها وذابت في محيط واحد سرعان ما أصبح حاضنا لعقائد وافدة كالفارسية ، والأغريقية ، والرومانية ، ثم رحماً لولادة عقائد جديدة موحّدة هي اليهودية والمسيحية .

هكذا يبدو لنا المشهد الثاني باذخاً مثيراً تحترم فيه عقائد الشرق والغرب وهكذا يتوهج نابضاً بالحيوية بعد أن خبت حوله العقائد القديمة وصبّت فيه جذواتها .

وإذا كنا قد تناولنا العقائد الآرامية في كتاب مفصل فإننا سنتناول العقائد الأمورية في كتاب قادم وسنكرس كتابنا هذا للبحث في العقائد الكنعانية .

تكاد العقائد الكنعانية تشكل موقع القلب في العبادة الشامية القديمة لخصوصيتها وسعة تراثها ودرجات تنوعها المدهشة في مختلف مدنها وفتراتها التاريخية . . فهي تشمل التراث الروحي لمدن شرق المتوسط الساحلية ومدن جنوب المتوسط الساحلية من خليج سرت حتى سواحل اسبانيا ، مشتملة على جزر البحر المتوسط الأساسية . . هذا التراث الذي يمتد منذ الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد .

في كتابنا هذا سنناقش الكثير من المسلمات الخاصة بالتاريخ والعقائد الكنعانية وأعدنا ترتيب وتوصيف بعضها ، بل وقلبنا بعض هذه المسلمات رأسا على عقب ، وأوجدنا لها تفسيرات ومخارج جديدة .

بحثنا في الفصل الأول تاريخ الأقوام الكنعانية الأولى ، وحللنا من منطلق جديد نشأة هذه الأقوام وأصولها القديمة ، كما سردنا المراحل التاريخية للكنعانيين مروراً بفينيقيا وانتهاءً بقرطاج .

واتضحت بذلك تلك المساحة الواسعة التي شغلها الكنعانيون في الزمان والمكان لنكوّن أرضية تاريخية نبني عليها مسرى تطور واشتباك العقائد الروحية الكنعانية .

وكان أن حللنا مفصلاً في الفصل الثاني الركن الأول من هذه العبارة وهو المثولوجيا الكنعانية التي تناولنا فيها أربعة مباحث :

خصص المبحث الأول لتحليل هيكل الآلهة الكنعانية بمختلف مشاربها الأوغاريتية الفينيقية والبونية ، ووضعنا شجرة أنساب شاملة للآلهة الكنعانية كانت لنا عوناً كبيراً في تقسيم منطقي للآلهة والاساطير ومدخلاً صحيحاً لفهمها الدقيق ، ووضعنا فرضية جديدة حول أصل الآلهة الكنعانية لم يسبقنا اليها أحد ، فقد استنبطنا أسماء الجيل الأول والأقدم منها ذلك الذي لم تذكره الآثار الدينية ومُسح عمداً من النصوص وساهمت الأضافات الهيلنستية والرومانية في تغييبه تماماً . فقد توصلنا الى معرفة الأسماء الكنعانية الدقيقة للآلهة الأم الأولى وآلهة السماء والارض ، تلك الآلهة التي سبقت ظهور الإله الأكبر (إيل) ، وقد فسّر لنا هذا الكشف الكثير من الأمور الغامضة في الأساطير الكنعانية ، ونأمل أن الآثار ستجود ذات يوم وتكشف لنا عن ما وضعناه هنا خلال هذه فرضية ، ولذلك فأننا نضع توصلاتنا هذه في ذمة التاريخ ريثما تؤكدها لنا حفريات الآثار في المستقبل .

ثم تناولنا طبقات شجرة الأنساب هذه ووضعنا انحدارها وتسلسلها الدقيق من الآلهة القديمة الى آلهة الكون الى جيل إيل ومن معه ، ثم جيل بعل ، ثم اشكال وابناء بعل (البعول) ، ثم اندماج نهاية شجرة الآلهة الكنعانية بالآرامية وظهور الثالوث الكنعاني الآرامي المكون من (بعل حدد وعرغاس وسيميوس) .

أما في المبحث الثاني فقد التقطنا ما يقرب من (40) رمز ديني كنعاني وأعدنا تخطيطه وشرحه ودلالته وخصوصاً رموز الآلهة التي نرى أنها تمثل أقصى التجريدي وخصوصاً رموز الآلهة التي نرى أنها تمثل أقصى التجريدين الروحي والفني وتعكس الطبقة العميقة للعقائد الروحية .

وفي المبحث الثالث تناولنا (الأساطير الكنعانية) بالتفصيل فقد عرضنا الخليقة الكنعانية من خلق الكون والعناصر الأربعة وخلق أنصاف الآلهة والتنين ثم خلق الأنسان ، وبعدها عرضنا لأساطير الإله إيل ودورته المثولوجية وكذلك لبعل ودورته المثولوجية ثم كل ما يتعلق بأساطير الآلهة الكبار الآخرين مثل عناة وأدونيس وإشمون وشدرافا . . .الخ .

وفي المبحث الرابع تعرضنا للكائنات الاسطورية غير الآلهية مثل الشياطين والكائنات الخرافية وغيرها . وبذلك نكون قد غطينا كل ما يتعلق بأساطير الآله ولوازمها .

كان الفصل الثالث مقتصراً على القصص والملاحم الكنعانية ، فقد درسنا الآباء والبشر المؤلهين والابطال منذ بدء الخليقة قبل الطوفان وبعده ، ثم في اوغاريت ثم في فينيقيا ثم في قرطاج وهم ابطال ينحدرون ، في الغالب ، من نسل الآلهة امثال كرت ودانيال وامتهات وقدموس وأوروبا . . الخ لاشتراكهم مع الآلهة في القصص والخرافات . وقد وجدنا ضرورة تخصيص هذا الفصل لهم لتلافي الخطأ الدائم الذي يقع فيه الباحثون عندما يخلطونهم مع الأساطير الكنعانية ، وهم في حقيقة الأمر أما بشرٌ مؤلهون أو مرايا بشرية لآلهة معروفة ، أو ملوك ينحدرون من نسل الآلهة وهكذا .

أما في الفصل الرابع فقد تناولنا دراسة اللاهوت الكنعاني بدءاً من المؤسسة الدينية التي تشمل الآلهة في السماء ومعابدها في الأرض وكهانها وهم يصلون السماء بالأرض . ثم عرجنا على الشعب المختار لأيل والأضاحي وعلاقة الإله بالانسان والاصنام وعقائد ما بعد الموت من عالم آخر رغم قلة المراجع التي تبحث في اللاهوت الكنعاني . وقد حاولنا أن نعطي فكرة موجزة عنه . وينطبق مثل هذا على الطقوس الكنعانية التي ناقشناها في الفصل الرابع حيث حاولنا ترميم صورتها المبعثرة فصنفناها الى طقوس يومية كالاغتسال والتطهر والصلاة النذور والقرابين وغيرها ، ثم طقوس المناسبات كالزواج وبناء المعابد والموت الذي شغلت طقوسه الكنعانيين اينما كانوا ، ثم الطقوس الدورية وخصوصاً الأعياد الادونيسية واعياد ملكاوت ورشف وإشمون والطقوس السبعية ، التي كانت تقام كل سبع سنوات .

وفي الفصل الخامس تلمسنا بعض أوجه الشرائع والأخلاق الكنعانية التي كانت تشكل المكونات الثانوية للعبادة الكنعانية .

هذه هي الصورة التي قدمناها عن العقائد الكنعانية والتي حاولنا لمّ شتاتها المبعثر وبإيجاز شديد دونما خلط اعتباطي مع العقائد الأخرى ، والذي اعتدنا مصادفته في المراجع التقليدية ، آملين أن نتلافى ما فاتنا من حقائق جديدة ظهرت عن الحياة الروحية للكنعانيين .

لا يفوتني هنا أن اتقدم بالشكر العميق لكل من قدم لي العون في مجال هذا البحث ولكل المتاحف التي زودتني بصور الآثار اللازمة ، والمراجع التي كانت عوننا الأكبر في إنجاز هذا الكتاب .

ويطيب لي أن أخص بالشكر صديقي الفنان فاروق كاظم ، الاستاذ في جامعة عمر المختار ، كلية الآداب والعلوم في درنة ، والذي قام برسم وتخطيط معظم لوحات هذا الكتاب .

والله الموفق

د . خزعل الماجدي
مدرس التاريخ القديم وتاريخ الفن
في جامعة عمر المختار . كلية الآداب والعلوم في درنة
11/7/2000

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

(دراسة في التاريخ الحضاري للكنعانيين)

أمير أو كاهن كنعاني يؤدي طقساً شعائريا
« نقشٌ في إناء فضي مموه بالذهب »
تخطيط : فاروق كاظم

إن يد الإله الملك ستقودك
وحبّ الأمير الأله يوقظك .
تأنيبك يا إيل هو حكمة
الحكم ، بيد أنك وهبت الحياة
الى الشعب الأبدي .
(الكاهي ايلي ميليكو
/ملحمة اللآليء القرن
4/ق .م) .

وكانت تخوم الكنعاني من
صيدون حينما تجيء نحو
جرار الى غزة ، وحينما تجيء
نحو سدوم وعمورة وأدمة
وصبوييم الى لاشع .
(سفر التكوين 10:19)

مازال الغموض يحيط تاريخ الكنعانيين كله : أصلهم ، مكان هجرتهم الأول ، طريق هجرتهم ، مدنهم الأولى ، لغتهم الأولى ، انتشارهم ، بواكير حضارتهم ، نهاياتهم .

لعلّ من أهم أسباب هذا الغموض هو : عدم العثور على آثارهم القديمة الأولى التي يمكن أن توضح هذه الأمور ، واختلاط هذه الآثار (إن وجدت) مع اقوام قريبة منهم كالأموريين أو سكان المكان الذي هاجروا منه أو اليه . وهناك سبب آخر هو اختفاء أصول مسمياتهم التراثية الأولى فيما يخص المدن والآلهة والقبائل والملوك وغير ذلك مما أدى الى غياب الدقة في تحديد بداية هجراتهم وطريق هجرتهم واماكن استيطانهم الأولى وعلاقة هذه الأمور ببعضها .

ولا شك أن وجود أكثر من نظرية حول أصول الكنعانيين وعدم تقديم الأدلة الكافية عليها وعدم أرجحية نظرية على أخرى يؤدي الى ظهور الفوضى في هذه الأمور ، كما أن أغلب الباحثين والمؤلفين لا يتوخون الحذر عندما يدرسون تاريخهم ويقعون (بقصد وبدون قصد) في خلط عجيب بين تاريخ وتراث الكنعانيين وتاريخ وتراث الأقوام المجاورين لهم ، أو الذين أتوا بعدهم ، خصوصاً الأموريين والآراميين .

كل هذه العوامل زادت الغموض في تاريخ وتراث الكنعانيين ، كما ان الاستسلام للمسلمات التي وضعت مبكراً عن تاريخ الشرق الأدنى بعامة وتاريخ بلاد الشام بخاصة اوقف الاجتهاد والبحث في حلول جديدة للأسئلة المطروحة حولهم .

وسنحاول في هذا الفصل استعراض بعض جوانب الغموض والخلط ثم التقدم بنظرية جديدة حول أصل الكنعانيين ، ومحاولة تقسيم التاريخ الكنعاني الى مراحل متجانسة ومتواترة .

ورغم أننا لا ندعي صواب وجهتنا المطلق لكننا حاولنا في كتابنا السابق عن العقائد الآرامية وفي هذا الكتاب وكتابنا القادم عن العقائد الأمورية أن نضع نظرية واحدة حول أصول هذه الأقوام الثلاثة التي نرى أنها تحمل أصلاً واحداً متجانساً وتاريخاً مشتركاً .

وسنكمل نظرية الأصول هذه بسرد زمني يوضح المراحل التاريخية للكنعانيين بطريقة تتفق مع ايقاع تاريخ المنطقة المشتبك بتاريخهم .

ونود أن نؤكد هنا أننا لا ندعي الصواب المطلق لآرائنا ، بل هي آراء تمثل قناعتنا واستنتاجاتنا في هذا المجال ، كذلك انعكست هذه الآراء على الكثير من تفسيراتنا الجديدة لمظاهر العبادة والعقائد الكنعانية كما سنرى ذلك في الفصول القادمة .

من هم الكنعانيون؟

سبحث أولاً في أصل كلمة كنعان ، التي نرى أنها كلمة طرأت على الكنعانيين ووسمتهم وتسّموا بها ، ورغم أن هذه الكلمة ترجع الى أصول قديمة أبعد من أن تكون توارتية أو عبرية فإنها ليست الاسم الحقيقي لهؤلاء القوم!

سنستعرض هنا الأسماء المحتملة التي أطلقتها الأمم والاقوام عليهم وكانت أصل تسمية كنعان وهي كما يلي :

1-**الاسم الأكدي** : يرى بعض المؤرخين أنه ربما كان الاسم الأكدي (كناجي أو كناخني Kinakhni) الذي أطلقه البابليون عليهم والذي ظهر في رسائل تل العمارنة في مصر هو أصل هذه التسمية والذي يعني (اللون الأحمر الارجواني) ، وقد ظهر هذا الاسم أيضاً بصيغة نوزي كناخني ايضاً (أنظر حتى 87:1958) .

2-**الاسم المصري** : ورد اسم (بي -كنعان Pekanan) عند المصريين للدلالة على المناطق الجنوبية والغبية من سوريا .

وكذلك استعمل المصريون منذ عصر الدولة القديمة كلمة (فنخو) للدلالة على شعب من شعوب الشام ، ويرجع الاستاذ محمد أبو المحاسن عصفور بأن الاغريق استعملوا هذه اللفظة وحوروها الى (فويفكس Phoivikes) للدلالة على فينيقيا و (فويفيكن Phoi-vikn) للدلالة على الفينيقيين (أنظر عصفور 13 :1981) .

3-**الاسم الكنعاني** : استعمل الكنعانيون انفسهم هذه الكلمة للدلالة عليهم في بعض الاحيان يؤيد ذلك نص الملك أدريمي ملك الالاخ وهي المملكة الكنعانية - الأمورية التي ازدهرت خلال النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلا د في الشمال الغربي من سوريا (قرب : طاكية) ، (أنظر السواح 19 :1995) .

4-**الاسم العبري** : تعني كلمة كنعان باللغة العبرية . بلاد الارجوان ، ولكن كلمة (ك .ن ع) تعني باللغة العبرية أيضاً انخفض ، أو منخفض ، وهذا يعني ان اسم الكنعانيين كان يعني (سكان الأرض المنخفضة) .

5-**الاسم العربي** : ولا يختلف الإسم العربي الذي قد يكون أصل هذه الكلمة عن ما يعنيه الاسم العبري فكلمة (خنع ، قنع ، كنع) تشير الى الهبوط والانخفاض والتواضع .

6-**الاسم الحوري** : يرى بعض الباحثين أن أصل كلمة (كنعان) مشتق من كلمة حورية هي (كناجي Kanaggi) أي الصبغة الارجوانية أو القرمزية التي اشتهر الكنعانيون بصناعتها ، ولا نعرف ما إذا كانت هذه التسمية هي أصل التسمية الأكدية أم العكس؟ (أنظر حتي 85 :1958) .

7-**الاسم الاغريقي** : ربما حور الاغريق الكلمة المصرية (فنخو) التي تحولت الى فينيكس للدلالة على (الفينيقيين) ، وربما ترجموا كلمة كناجي الحورية أو الاكدية للدلالة على اللون الأحمر الارجواني الذي كان لون الصبغة التي يصنعها الكنعانيون وفي حالتي التحوير أو الترجمة نحصل على كلمة فينيقيا التي أصبحت تطلق على الكنعانيين عند الاغريق منذ حوالي بداية الألف الأول قبل الميلاد .

8-**الاسم الروماني** : استعمل الرومان كلمة بوني (Poeni) للدلالة على الفينيقيين الغربيين ، أي القرطاجين . وهذه الكلمة تعني باللغة الرومانية : اللون الأحمر الارجواني ايضاً وهو لفظ محرف لاتينيا من اللفظ اليوناني ، ومع ذلك فقد فرقوا بينهم وبين الفينيقيين في الشرق حيث اطلقوا على هؤلاء اسم فوينيقي Phenices وان كانوا يعترفون بأنتمائهم الى جنس واحد (أنظر عصفور 14 :1981) ، وتبدو لنا كل هذه الاسماء لاحقة على الاسم المجهول القديم الذي كان الكنعانيون يتسمون به .

تظهر كلمة (فينيق) في الميثولوجيا التاريخية للدلالة على مفيد كنعان وابن هيدرون ، الذي هو ابن كنعان .

أما على المستوى اللغوي ، فهناك من يرى أن اسم فينيق يعني : إما النخلة حيث يعني اسمها (الرامي) بسبب طلعها ، أو الطائر الذي كان ينبعث من رماده بعد أن يحترق وربما

يرجع أصله الى الطائر المصري (بنو) ، الذي كان عبارة عن اللقلق الذي يرمز لإله الشمس (رع) ، الذي يشغل اليها من الصباح الى المساء .

إن ما نود التأكيد عليه هنا هو أن اسم (كنعان) كان قديماً ، وكان يدل على شيئين هما : الشعب الذي سكن الأرض المنخفضة . أو الذي كان مرتباطاً باللون الأحمر الارجواني أما من خلال لون بشرته الحمراء أو من خلال صناعته لنوع من الصبغات الحمراء .

ويتبع ذلك اسم (فينيق) الذي كان يشير أيضاً الى اللون الاحمر ، وكذلك الى النخلة ، او اللقلق .

ونرى أن تسمية (كنعان) ثم (فينيق) للدلالة على الشعب الذي سكن سواحل بلاد الشام وجنوبها كانت لاحقة في جميع الاحوال ، فقد كان لهذا الشعب اسماً معيناً عندما هاجر من المكان الذي ظهر فيه واستعمل هذا الاسم لكنه اكتسب اسماً ، بل اسماء أخرى : منها كنعان وفينيق . وقد كرس المؤرخون والآثاريون المعاصرون هذا الاسم استناداً الى خلفية توراتية واضحة ، وأصبح هو الأكثر شيوعاً للدلالة على هذا الشعب الآن وليس في الماضي .

سنحاول في الصفحات القادمة الكشف عن احتمالات الاسم الحقيقي لهذا الشعب .

مراحل التاريخ الكنعاني

أول المعضلات تكمن في تقسيم التاريخ الكنعاني الى مراحل متجانسة يمكن من خلالها فهم سيرة الشعب الكنعاني منذ بداية ظهوره وحتى نهايته .

نرى أن التاريخ الكنعاني ينقسم الى أربع مراحل كبرى اكتسب فيها الشعب الكنعاني في كل مرحلة اسما جديداً حسب البيئة الجديدة التي عاش فيها وهذه المراحل هي :

1- **المرحلة القديمة (مرحلة الأصول)** : وهي المرحلة التي بدأ فيها هذا الشعب بالظهور قبل أن يهاجر الى بلاد الشام . وتستمر هذه المرحلة ما يقرب من ألف سنة ، تمتد من (3000-4000) ق.م ، وتشغل هذه الفترة ما يسمى بالعصر الحجري النحاسي وبداية العصور التاريخية .

2-**المرحلة الكنعانية** : وهي مرحلة الهجرة والاستقرار على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط في بلاد الشام وفي جنوب بلاد الشام (أرض فلسطيني) بشكل خاص . وتستمر هذه المرحلة حوالي ألفي سنة ، وبشكل تقريبي من (-3000 1200)ق .م ، وتشغل هذه الفترة ما يسمى بالعصر البرونزي بأكمله .

3-**المرحلة الفينيقية** : وهي مرحلة العصر الحديدي الذي امتد لما يقرب من ألف سنة من (332-1200)ق .م ، ويصادف أن يشيع الاسم الذي كرسه الاغريق عنهم وهو (الفينيقيوم) ، وسنعتني في هذه المرحلة ،حصراً ، بدراسة التاريخ الفينيقي الشرقي في السواحل الشرقية للبحر المتوسط في بلاد الشام .

4-**المرحلة البونية والقرطامية** : وهي مرحلة تاريخ الفينيقيين الغربيين بعد أن هاجروا ثانية من بلاد الشام الى جزر وسواحل البحر المتوسط في بلاد اوروبا وفي بلاد شمال أفريقيا ، ويشغل الفترة السابقة ذاتها تقريباً (146-1200)ق .م .

1-المرحلة القديمة (الأصول)
(4000-3000)ق.م.

تبدو التقديرات الزمنية لهذه المرحلة غير دقيقة تماماً بل هي تقريبية ، وربما قلت أو زادت أو تراوحت بمقدار (5000) سنة عن التاريخ المثبت أعلاه زيادة أو نقصاناً .

لنستعرض اولاً النظريات التي اقترحت بمكان الأول للكنعانيين قبل هجرتهم الى بلاد الشام .. ثم نقدم رأيا جديداً حول هذا الموضوع .

1-**جزيرة العرب** : لعل هذه النظرية هي الأكثر شيوعاً ليس فيما يخص الكنعانيين فحسب ، بل جميع الأقوام السامية التي ينتمي لها الكنعانيون ، وهي نظرية لا تؤيدها الآراء والوقائع القديمة ، ولم تعد تصلح لتفسير الهجرات السامية . وأصحاب هذه النظرية يرون أن هذه الهجرات كانت تتجه من بلاد نجد والحجاز واليمن الى بلاد الشام والعراق .

يرى البعض أن هجرة واحدة ظهرت من الجزيرة العربية في حدود 2500ق .م وذهبت باتجاه الصحراء السورية العراقية وهناك انقسمت الى قسمين هما : الأموريين ، الذي بقوا في هذه الصحراء ، ثم اتجه بعضهم نحو العراق القديم واصطبغوا بالمؤثرات الحضارية الرافدين ، والكنعانيين الذين استمروا في هجرتهم الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط في بلاد الشام والى جنوب بلاد الشام (فلسطين) واصطبغوا بالمؤثرات المحلية لبلاد الشام آنذاك .

ولا نعرف ما هي الأسانيد والآثارية التي تقدمها هذه النظرية سوى هذا السناريو المكرر الذي نراه ذاته في الهجرات السامية الأخرى مع استبدال الاسماء .

2-**سواحل الخليج العربي** : طرح (سترابون) هذا الرأي وقال : أن سكان الخليج العربي كانوا يسمون بعض مدنهم باسماء المدن الكنعانية ، مثل صيدا وصور وأرواد وقد رجح أن تكون هذه المدن الخليجية هي الأقدم ، وهي التي احتضنت أجداد الكنعانيين ، وأن معابدهم كانت تشبه المعابد الكنعانية ، ويضيف البعض بأن الكنعانيين ربما يكونوا قد انطلقوا من البحرين بإتجاه سواحل البصرة ثم بإتجاه الطرق المؤدية الى الساحل السوري .

من مدنهم القديمة على ساحل الخليج صور على ساحل عمان وجبيل على ساحل الأحساء وأرواد ، وهو الاسم القديم لجزيرة المرق (أنظر سليم 285-284 :1989) .

3-**سواحل البحر الأحمر** : ظل المؤرخون يطرحون مثل هذه الآراء على اعتبار أن الكنعانيين سكان السواحل المتوسطية الشرقية ، ولذلك لا بد أن تكون أصولهم سواحلية أيضاً ، ولذلك رأى(خيرودوت) أنهم نزحوا من البحر الارتيري ، أي الأحمر الى بلاد الشام .

4-**سيناء والنقب** : ظهر في بعض وثائق رأس شمرا ما يشير الى أن سكانها قدموا من شبه جزيرة سيناء أو من النقب ، من جزيرة العرب ومن سواحل البحر الأحمر معاً .

5-**مصر** : كان للعلاقة المتميزة بين الكنعانيين والمصريين اثر كبير في ظهور رأي قديم مفاده أنهما من أصل واحد .

ويظهر هذا الرأي في بعض الاساطير التي جمعها المؤرخ الاغريقي (ايسوب) ، التي ترى بأن الإلهين (قدم وفينيق) جاءامن مدينة طيبة المصرية ليتملكا مدن صور وصيدا ، وأن الإله اوزيريس خلال طوافه في الأرض أقام الإله (بوصير) متوجاً على فينيقيا (أنظر عبد الحكيم 54:1978) .

وقد ذهبت التوراة في هذا المنحى ، إذ سلخ التوراتيون كنعان من العائلة السامية ونسبوه هو ومصراييم الى (حام) (أنظر سفر التكوين 10:6) .

وسنناقش الخلفية المثولوجية لهذا الرأي في الفصل القادم .

الأصل الرافديني لقديم للكنعانيين

سنحاول في هذا الكتاب أن نطرح موجز نظرية تثبت الأصل الرافديني العراقي القديم للكنعانيين بعد أن استعرضنا الآراء السابقة التي تعاني من ضعف وقصور شديدين ، وعلى ضوء ذلك سنحاول استنتاج الاسم الحقيقي في تلك العصور القديمة .

نرى أن الكنعانيين نشأوا أساساً في وادي الرافدين (كغيرهم من الأقوام السامية) وأنهم كانوا مع الأموريين كتلة واحدة ، أي أن الأموريين ظهروا في وادي الرافدين اولاً ، وكانوا يعيشون في مناطق لا تعتمد على الإرواء والأنهار بل على الأمطار في البراري

والصحاري ، ويصعب علينا ، في الوقت الحالي تحديد الموقع الدقيق الذي كانوا فيه ، رغم أننا نرجح أن تكون الأرض على امتداد نهر الفرات في وادي الرافدين .

وفي حدود 3500 قبل الميلاد انشطر الشعب الاموري الى ثلاثة اقسام هي :

1-الأموريون الذين كانوا يسكنون حول نهر الفرات الاعلى والذين اتجهوا نحو المناطق المرتفعة والجبلية في شمال العراق وسوريا وهو الشعب الذي عرف فيما بعد بـ(الآراميين) ، إذ أن معنى (آرام) وهو المناطق المرتفعة .

2-الأموريون الذين كانوا يسكنون حول نهر الفرات الاوسط والذين بقوا يجوبون الصحراء العراقية السورية وتشكل منهم البدو الذين أطلق عليهم السومريون (مارتو) والأكديون (امورو) ، أي الساكنين الى الغرب من الفرات .

3-الأموريون الذين كانوا يسكنون حول نهر الفرات الجنوبي وبمحاذاة سواحل الخليج العربي الممتدة آنذاك الى تخوم مدينة أور واريدو وغيرهما . . وهم الذين اتجهوا الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط في بلاد الشام وجنوب بلاد الشام وعرفوا هناك بـ (الكنعانيين) ، رغم أن لهم اسماً محدداً عرفوا به وهم في العراق القديم .

لم يكن تكاثر وتكون وانقسام وهجرة الاقوام الامورية أمراً يسيراً يحصل بين ليلة وضحاها بل إنه استغرق مئات السنين ، لكن أصلها الواحد كان واضحاً في تشابه الكثير من عادات وتقاليد وأديان هذه الشعوب المكونه لهم .

واذا كنا قد طرحنا في كتبنا السابق حول الآراميين والأموريين ما يمكن أن يشكل ملامح نظرية جديدة في أصولهم فاننا سنطرح هنا بإيجاز شديد ما يكمل ذلك حول الكنعانيين .

ان المثولوجيا الأمورية والآرامية والكنعانية تكاد تتشابه في كل شيء من الإلهة الأم الأولى الى آلهة الكون الكبار الى آلهة الكواكب والعوالم السفلى . . لكنّ الفرق الوحيد هو أن الميثولوجيا الكنعانية تترجم اسماء هذه الآلهة من اللغة السامية الشرقية الى اللغة السامية الغربية واحياناً تبقي على بعضها ، أما الاساطير فتكاد تكون متشابهة .

طرحنا في كتبنا السابقة آراء مفادها : إن اسم الاموريين إشتق من اسم إلههم القدم (مُر) او (مار) ، وان اسم الآراميين اشتق من اسم إلههم القديم(رُم) أو (رام) .

أما الكنعانيون فيصعب ان نقول ان كنعان هو إلههم القديم ، أو جدهم الأكبر ؛ لأن مثل هذه التحليلات غير العلمية والفولكورية لا تقودنا إلا إلى تكريس الاوهام والاخطاء ؛ لذلك يجب البحث جدياً عن إلههم الأقدم .

وقد قمنا بتنظيم شجرة دقيقة للألهه الكنعانية خلصناها من اوهام الرواة والنصوص الدينية الفولكورية وأقمناها على أساس علمي آثاري دقيق (أنظر الفصل الثاني : شجرة انساب الألهة الكنعانية) ، وقد توصلنا الى أن هناك أجيالاً من الآلهة الكنعانية القديمة يمكننا وصفها بالشكل الآتي :

1-**الإلهة الأم (يم)** : وهي الألهة الهيولية المائية الأم الأولى التي ظهر منها الكون ، والتي انتصر عليها (بعل) في اسطورة مبتورة ومشوهة عند الكنعانيين ، ويمكن أن يكون اسم (اليميون) أحد اقدم اسماء الكنعانيين عندما كانوا في العراق القديم يعيشون على سواحل الخليج العربي التي يقال أنها كانت تمتد الى شمال بغداد الحالية ذات يوم ، ولذلك يكون من الطبيعي أن يكون اليميون ، أي البحريون اسمهم الأقدم .

هناك ما يؤيد هذه التسمية ، فقد بقيت عالقة في ذاكرة الكنعانيين وكانت تطلق على بعض الكنعانيين الذين سكنوا أرض باشان وكان يطلق عليهم أيضاً اسم الرفائيين ، وتقع أرض باشان شرقي الاردن ، بين جبلي جرمود وجلعاد ، وتحدها شمالاً أرض دمشق وشرقاً بادية سورية ، وجنوباً أرض جلعاد وغرباً غور الاردن ، ويقال أن موسى طرد الرفائيين واحتل باشان ، وكان يسكن معهم الجشوريون والمعكيون الذين بقوا فيها وهم من الكنعانيين أيضاً ، وكان المؤابيون يسمون الرفائيين بـ(الأيميين) (أنظر الماجدي 129 :1997) .

كذلك ورد اسم (الأميين) في التوراة ليدل على الاقوام التي سكنت في أرض أدوم جنوب الاردن وفلسطين .

2-**إله السماء** (شم أو شميم) ، وهو أول إله للسماء بعد انشطار المياه الأولى (يم) ، ونرجّح أن يكون اسم شم ، الذي يمكن أن يكون أيضا(شام) ، هو الاسم الراسخ الذي أطلق على الكنعانيين قبيل بداية العصور التاريخية وهم في وادي الرافدين ثم حملوا هذا الاسم بعد رحليهم غربا بإتجاه البحر المتوسط ونتج عن ذلك تسمية الأرض التي استوطنوها شرق البحر المتوسط وعلى سواحله باسم(شام) ومعناها

الدقيق شرق البحر المتوسط وعلى سواحله باسم(شام) ومعناها الدقيق ارض السماء ، كذلك نتج عن ذلك أن تسمى اقوامها بـ(الشامين) ، أو (السامين) ، والساميون هنا يدلون بدقة على الكنعانيين ، أي الاقوام المهاجرة بإتجاه بلاد الشام .

ويقلب هذا الاستنتاج الامور رأساً على عقب ، فبدلاً من أن تكون التسمية الشائعة للساميين دالة على أقوام كثيرة ، فإنها كانت تدل قديماً ، كما نرى ، على أقوام محددين هم سكنة بلاد الشام النازحين اليها من جنوب وادي الرافدين .

أما أن يكون هؤلاء الأقوام قد سكنوا في أراض منخفضة بين جبال سوريا ولبنان والساحل واطلق عليهم(الكنعانيون) ، أي سكان الأرض المنخفضة ، فهنا أمر آخر نرى أنه جرى لاحقاً وكرسّه أعداؤهم العبريون ، الذين نرى أن اسم السماويين لم يرق لهم ، فأحبوا أن يعكسوا تماماً فأسموهم بالواطئين (الكنعانيين) ليحققوا أربعة اهداف في آن واحد : أولها هو أن يحذفوا عنهم صلتهم بالخنوع والهبوط وربما يصفونهم بلون أحمرر يدل على بشرتهم أو الصبغة التي يستعملوها ، ولكي نؤكد ما ذهبنا اليه فإنهم جلوا انفسهم من نسل (شام) أو (سام) ، واخرجوا الكنعانيين منه . . وهذه واحدة من أكبر التشويهات التي ارتكبها العبريون ثم اليهود في كتابهم التوراة . وسنناقشها مفصلا في مكان آخر من هذا الكتاب .

3-**أديم (أدم، أدمة)** : وهي إلهة الأرض التي يمكن أن تكون أيضا مصدر تسمية للكنعانيين القدماء ، ونرى أنهم(كلهم أو بعضهم ربما كانوا يتسمون بـ (أديميون) ، أو (أدميون) أو (أدوميون) . ونرى أن هناك آثاراً ما يدل على ذلك أيضاً ، فظهور (الآدميون) في جنوب الاردن وفلسطين وجنوب البحر الميت حتى خليج العقبة في برية قازان تحديداً والأدميون تسمية محدودة للكنعانيين تسمت بها الاقوام الكنعانية الجنوبية وتعني (الأرضيون) ، كذلك يشير ارتباطهم بعيسى واللون الأحمر مرة أخرى الى ما شاع عن الكنعانيين من لون أحمر سواء عن طريق بشرتهم أو الصبغة التي استعملوها .

وقد يقودنا هذا الى استنتاج آخر وهو : إن الشاميين كانوا يدلون على الأقوام الشمالية في بلاد الشام والأدميون كانوا يدلون على الاقوام الجنوبية وقد تم ذلك بدلالة السماء والارض التي ترادف الشمال والجنوب .

4- **إيل** : وهو كبير الآلهة الكنعانية .وربما كان الشعب الشامي يسمى (الأيليون) أو (إيليم) ، وهي تسمية مقنعة أتت بعد ذلك وذكرتها ملحمة اللآلي حيث يرى ميديكو أن «الشعب الكنعاني يطلق على نفسه لقب(شعب إيل) وسكان المدن يدعون Krytm . أن العالم لودس في كتابه (اسرائيل ص 64) يعتقد بأن لفظة كنعانيين تعني : سكان المدن . وفي حكم الملك الكبير كانت البلاد كل سورية وفلسطين ، (ميديكو 1980:28) .

وكانت لفظة (شعب ايل) هي الأشد شيوعاً كما كان ملكهم يتسمى دائما(ابن ايل) ، اما كريتم فيدل على سكان المدن حيث(كريت=مدينة) و(كريتم = سكان المدن)وهو اسم معروف .

أما أن تكون فلسطين قد سميت أرض كنعان قبل مجيء العبرانيين فرأي خاطيء نقف بالضد منه ، فقد كان اسم فلسطين هو (مريام أو مريم Mrym) ، وهو ما يرد في ملحمة اللالي (الملك الكبير) الكنعانية حيث نقرأ :

« وفي مريام الشمالية تصاعد القمع والاستعباد ومن كان سبب سعادته طرده ليحصل على تاج مليكه . «ميديكو 20:1980»

كذلك **« واصبح بعل هو الذي يسأل من قبل شعب مريام الشمالية ، ومع هذا إنه لا يدير وجهه الى تعاستك ، وشعب ايل أصبح يجلب البلبلة الى كل الذين يقتربون وقريبا ستصبح مهاويهم منعمة »** (ميديكو 59 :1980) .

وكلمة (مريام) مكونة من مقطعين هما (مر) و(يام) ، وهي كلمة تجمع بين اسمي إله الأموريين الاقدم(مر) ، والإلهة الأم الأولى للاموريين والكنعانيين (يم) ، وهذا يعني أن هذه الأرض كانت مكاناً لسكن الأموريين والكنعانيين القدماء .

وتقودنا كل هذه الاستنتاجات الى القول بأن اسم كنعان هو اسم لاحق ، لا يدل على حقيقة هذا الشعب وأن الاسم الارجح لهم هو (شام) وهو ما يدل على الأرض والشعب أما التسميات الاخرى مثل (الايميون) و(الأدميون) فهي اسماء أُطلقت على بعض الأقوام الشاميّة ، وكذلك أرض (مريام) التي هي أرض فلسطين .

هنا نرى ان الوقت قد حان لاستبدال اسم (الشاميون) بدلاً من (الكنعانيين) ، فهي التسمية القوية الراسخة القديمة الدالة على شعب عريق لعب الدور الاكبر في تاريخ أرض بلاد الشام وفي عقائدها الروحية .

أما اسم (كنعانيون) فنرى أنه استعمل بشكل ضيق ومحدود جداً وقام العبريون باشاعته في الالف الاول ق .م دون جدوى . وحاول الآثاريون والمؤرخون ، ذوي الخلفية التوراتية ، إشاعة هذا الاسم في العصر الحالي ونجحوا مع الاسف .

لكن علينا اليوم القيام بتعديل اسم)(كنعان) الى (شام) ، لأن هذا الاسم هو الذي يتطابق مع المعطيات الآثارية والاستنتاجات العلمية . ولنا وقفة مفصلة أخرى مع هذا الموضوع في الفصل الثاني (أنظر المثولوجيا التاريخية لكنعان) .

2-المرحلة الشامية
(3000-1200)ق.م

بدأت هذه المرحلة مبكرة إبان بدء العصور التاريخية حيث بدأت الهجرة الكنعانية من السواحل العراقية للخليج العربي وضفاف الفرات الجنوبي .

وربما اتخذ مسار هذه الهجرة طريقين : الأول مع نهر الفرات صعوداً ثم الاتجاه الى السواحل الشامية الشمالية وتأسيس مدن (رأس من شمرا) و(أوجاريت) و (أرواد) و(جبيل) و(صيدا) و(صور) ، أي سواحل سوريا ولبنان .

أما الهجرة الثانية فكانت برا باتجاه فلسطين مباشرة ، وقد استقر المهاجرون في مدن ساحلية وبرية ونرجح أن يكون استقرارهم في المدن البرية هو الاقدم ثم نزحوا من هذه المدن وأسسوا المدن الساحلية الفلسطينية .

ومن المدن البرية في فلسطين (قادش ، بيت شان ، شكيم ، أريحا ، بوس(اورشليم) ، بئر سبع ، مجدو ، السامرة . . . الخ) .

أما المدن الساحلية في فلسطين فهي(عكا ، دور ، يافا ، غزة ، . . . الخ) في حين استقرت الهجرة الأمورية في المناطق السهلية شرق نهر العاصي والليطاني في سوريا ولبنان وفي شرق نهر الاردن . أما الهجرة الآرامية فقد اتخذت لها من جبال العراق وسوريا مستقراً لقرون طويلة ثم حلّت محل الأموريين في سوريا بشكل خاص وحول ضفاف دجلة والفرات في العراق .

نرى أن المدن السورية الشمالية قادرة على الافصاح عن اسم الكنعانيين الذي وفدوا به الى بلاد الشام ، فنحن نجد هذه المدن مثل (رأس شمرا) تحمل الاسم العتيق جداً للكنعانيين وكذلك مدن مثل السامرة وسميرا التي تتضمن كلمة شام في تركيبها واصبح يطلق على عموم الاقوام المهاجرة اسم (شاميون) أو (شوام) .

لم يستطع الكنعانيون أنْ يشكلوا دولة واحدة ، واستقر نظامهم السياسي على نظام دولة المدينة City State ، حيث لكل مدينة من يحكمها ، ولها استقلالها ، ولها إلهها الخاص رغم أن عموم الكنعانيين كانوا يتكلمون لغة واحدة ولهم آلهة كونية وكبيرة واحدة . ويرجح أنهم نقلوا نظامهم هذا عن السومريين الذين تميزوا به وافتتحوا به حياتهم السياسية .

ونرى أن الكنعانيين القدماء واصلوا هجرتهم بعد سواحل الشام الى جزر البحر المتوسط الشرقية مثل قبرص وكريت ونقلوا اليها عناصر حضارية متطورة .

ولا شك ايضاً أن الاقوام المهاجرة لم تجد أرضا بكراً في بلاد الشام ، فقد كانت الاقوام التي ظهرت في العصريين الحجري الحديث (النيوليت) والمعدني (الكالكوليت) قد كونت حضارات محلية خاصة بها ، خصوصاً في تل المريبط وتل الرمد ومنطقة المنحطة والبيضا وغيرها . . وهكذا اندمجت الاقوام المهاجرة مع الاقوام المحلية وبدأ عصر المدن في بلاد الشام كان سكان المدن يتألفون من طبقتين : العليا هي طبقة النبلاء ، وهي طبقة الاقطاع والفرسان المحاربين ، أما الطبقة الثانية فهي طبقة الحرفيين ، الصناع . وكان الفلاحون جزءا من ملكية الاقطاع ، وكانت هذه المدن صغيرة ومحصنة وملوكها يتمعون بحكم مركزي .

ورغم أن حكم دويلات المدن كان يعطي للكنعانيين وغيرهم نوعاً من التنوع الروحي والثقافي والسياسي ، إلا أن «تقسيم البلاد الى دويلات كثيرة متناثرة كان له نتائج وخيمة على مستقبل البلاد السياسي ، وهو أنه ساعد في بعض الاحيان على خلق توازن سياسي بين الاقطار المختلفة ، إلا أنه كان عقبة كأداء أمام نهوض دولة مركزية موحدة قادرة في الملمات على حد الغزو الخارجي ودرء أخطار الدول العظمى عنها ، وعندما كانت تجتمع هذه الدويلات ضمن تحالف عسكري أمام عدو خارجي ، فقد كان تحالفها مؤقتا سرعان ما يتفكك بزوال الاسباب التي دعت اليه والأسوأ من ذلك الأمر أن تلك الدويلات كانت في حالة مخاصمات مستمرة تتربص الواحدة بالاخرى » (أذزارد 144 :1987) .

يطالعنا تاريخ المرحلة الكنعانية في بلاد الشام بمراحل سياسية واجتماعية متجانسة في هذه المرحلة ، فقد بدأ بتأسيس المدن الكنعانية على السواحل وفي فلسطين ، سادت خلالها صلات تجارية وحضارية متينة بين هذه المدن ومصر .

ثم بدأت فترة جديدة عندما قامت مصر بارسال أول حملة عسكرية الى فلسطين تلتها بعد قرنين حملة أخرى الى سوريا . . وهكذا سقطت أغلب بلاد الشام تحت النفوذ المصري لما يقرب من 900 سنة .

ومع ظهور الحيثين ثم الحوريين بدأ صراع المصالح على بلاد الشام مع مصر هناك واستمر حوالي 300 سنة . واخيراً جاءت الضربة المدمرة للمدن الكنعانية من الغزو الفلستي (من

اقوام البحر) ، ثم الغزو الآشوري الذي اضطر الكنعانيين الى الهجرة بحراً الى شمال افريقيا . وسنوجز هذه الفترات كما يأتي :

أ-فترة تأسيس المدن الكنعانية (3000-2400)ق.م

وإذا كان تأسيس المدن الكنعانية يبدأ بعد استقرار الاقوام المهاجرة في البر والسواحل في حدود 300 ق .م فإنه لا ينتهي عند 2400 ق .م بل يستمر طيلة التاريخ الكنعاني ، لكننا وضعنا هذا التاريخ لأنه يؤرخ لمرحلة جديدة تبدأ معها اولى الحملات العسكرية المصرية على المدن الكنعانية في فلسطين .ويمكننا جغرافياً أن نقسم هذه المدنت الى ما يلي :

1-مدن سوريا الساحلية : رأس شمرا ، أوغاريت ، أرواد (جزيرة) ، جبيل (ببلوس) .

2-مدن لبنان الساحلية : جبيل (ببلوس) ، بيروت ، صيدا ، صور .

3-مدن فلسطين الساحلية : عكا ، أسدود ، عسقلان ، جت ، غزة .

4-مدن فلسطين البرية(داخل فلسطين وشرق الاردن) :قادش ، حاصور بيت شان(بيسان ، شكيم ، (نابلس) ، بيت إيل ، جبعون أريحا ، يبوس (اورشليم ، بيت شمس ، بيت لحم ، مجدو ، حازر ، حبرون ، عجلون ، بيرشيبا ، (بئر سبع) جرار . . .الخ .

ويربو عدد المدن الكنعانية الكبيرة والصغيرة في بلاد الشام حوالي 135 مدينة والقرى 1200 ، وقد بلغت المدن الكبرى قمة الازدهار ونالت شهرة عالمية (أنظر الشريقي :1985 59) .

ولا يسمح لنا هذا الاستعراض التاريخي السريع بالحديث عن نشأة كل منها ولذلك سنكتفي بذكرها ، ثم نتحدث عن بعض تاريخها في الفترات والمراحل القادمة .

اتصلت مصر سلمياً وحضاريا بالمدن الكنعانية ، وكانت هناك علاقات تجارية ودينية خصوصاً مع جبيل ، فقد شاعت تجارة خشب الأرز معها ، وشاعت اساطير أوزيريس المصرية ورحيل إيزيس الى جبيل وعبادة أدونيس الكنعاني في مدينة فاروس المصرية (الاسكندرية) وغيرها من الأمور التي شغلت مراحل الأسر المصرية العتيقة (1,2) والأسر المصرية القديمة (3,4,5) .

ب-فترة النفوذ المصري (2400-1500)ق.م

مع مجيء الأسرة المصرية السادسة قام القائد المصري (وني) في عصر الملك الأول لهذه الأسرة (تتي) بتجهيز جيش مصري ضخم مكون من عشرات الالاف من الجنود وارساله الى بلاد فلسطين بعد أن تهددت المصالح التجارية لمصر هناك ، ثم ظهرت ثورة أخرى في بلاد فلسطين ، أرسل الملك القائد (وني) لإخمادها « فجهز جيشين احدهما سار بطريق البر ، وسار هو مع الجيش الآخر بطريق البحر فنزل عند مكان من المحتمل جداً أنْ يكون قريباً من جبال الكرمل ، وسار بعد ذلك في داخل البلاد وانتصر وقمع تلك الثورة» (فخري : 1995, 154) .

وفي هذه الفترة بالذات نرجِّح أن قوات الملك السومري (لوكال زاليزي) ثم سرجون الأكدي قد وصلت الى السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، ثم الى قبرص ، وهذا يعني اقتحامها لبعض المدن الكنعانية .

ومع مجيء عصر الدولة الوسطى في مصر كانت العلاقات المصرية الكنعانية تتجه نحو الانفراج وتأخذ المدن الكنعانية بسبل الاستقلال شبه الكامل عن مصر ، وتدعم هذا الاستقلال عن مصر عندما خرج الهكسوس من بلاد الشام غزاة لمصر ودخلوها وحكموا فيها لمدة تقارب القرنين من الزمان .

وهكذا تعزز استقلال المدن الشامية كلها (الكنعانية والأمورية) وانتعشت الممالك الكنعانية في هذه المرحلة بسبب ضعف كل من مصر والعراق في الوقت نفسه .

وبرزت في نهاية هذه الفترة ممالك مثل اوغاريت (وملكها نقمد) ورأس شمرا وجبيل وغيرها وكان الملك الكنعاني)(أدريمي) يتردد بين الآلخ ويمخد وحلب . وظهرت صورة ملوك اوغاريت منقوشة على لوحات الحجر والعاج (شكل 1) ، وكذلك ظهرت آثارهم النفسية (شكل 2) ، ومع ظهور عصر الدولة الحديثة في مصر وظهور الدولة الحيثية ثم الميتانية انتهى استقلال هذه المدن وصارت مسرحاً لصراع هذه الاقطاب الثلاثة .

شكل (1)
لوحة من العاج منقوش عليها
صورة ملك وملكة من أوغاريت

شكل (2)
خنجر مصنوع من الذهب تحمل قبضته الهلالية
الشكل نقوشاً نافرةً لمناظر صيد. عثر عليه في
(معبد المسلات) في مدينة جبيل (بيلوس)

جـ-فترة الصراع المصري الحوري الحيثي (1200-1500) ق.م

إذا كان الملك الحيثي خاتوشيلي الاول (1530-1570) قد مهد للنفوذ الحيثي في شمال بلاد الشام عندما غزا امارة حلب فإن الحوريين هم الذين تنفذوا فعلياً خلال هذه الفترة في شمال سوريا « وانفصل النصف الشمالي من بلاد الشام عن السلطة المصرية في عهد المملكة (حتشبسوت) ، وتعاظم نفوذ المملكة المتباينة في شمال شرق بلاد الشام وتزعمت حلفاً قوياً ضد الملك تحوتمس الثالث (1450-1502) ق.م الذي حكم مدة اثنين وعشرين عاما مع اخته حتشبسوت . وعندما تسلم مقاليد الامور في وادي النيل ، كان أول عمل قام به هو استعادة نفوذ وادي النيل في النصف الشمالي من بلا د الشام واذلال المملكة المتباينة » (سليمان 364 :1985) .

بلغت حملات تحوتمس الثالث على فلسطين وسوريا سبع عشرة حملة ، وقد استطاع احتلال مدينة وحصن (قادش) خلال الحملة السادسة ، وكانت هذه المدينة قد تزعمت الحلف .

ثم هزم حلفا آخر تشكّل ضده في فلسطين قادته مدينة مجدو(تل المتسلم) التي احتلها أيضاً .

ولم يكن تحوتمس الثالث أن ينتهي من بسط نفوذه على شمال وجنوب بلاد الشام حتى قامت الدولة الحورية- المتباينة بتحريض مدن الشمال السوري والقيام بثورة ضد النفوذ المصري ولذلك جرد تحوتمس حملة توغل فيها في الأراضي الحورية بعد أن دمر جيشها .

ثم عاد الحوريون للانفصال بعد وفاته ، فقام خلفاؤه (أمنحوتب الثاني) ، ثم (تحوتمس الرابع) بحملات مضادة لهم وانتهى الصراع الحوري المصري على بلاد الشام عندما تقاربت الدولتان من خلال زواج سياسي ، حيث تزوج أمنحوتب الثالث من ابنة الملك الحوري (شوتارنا) ، ثم انجبا الملك امنحوتب الرابع ، (اخناتون) الذي لم يعتن بأمور مصر الخارجية . وكان الجوريون قد اتفقوا مع مصر على النفوذ في شمال بلاد الشام مقابل ذلك الزواج . وهكذا تركز النفوذ المصري في جنوبها وانقسم النفوذ المصري الى ثلاث مناطق ادارية (أنظر المرجع السابق : 368) .

1-عمورو : تقع الى الشمال ، وكان مقر المراقب الفرعوني في (سومورو =سيميرا) .

2-أوبي : تقع جنوبها ، وكان مقر المراقب الفرعوني في (قومودية= قامد اللوز) ، وتبعتها دمشق .

3-كنعان : وهي أرض فلسطين ، وكانت مدينة (غزة) هي مقر المراقب الفرعوني .

خارطة (1)

بلاد الشام في الألف الثاني قبل الميلاد

أما النفوذ الميتاني فكان عن طريق (رابطة القسم) بين الأمراء الكنعانيين والأموريين والملوك الميتانيين ، ثم استبدلت بـ(المعاهدات المكتوبة) .

وما أن ضعف النفوذ المصري في بلاد الشام بدء من عصر اخناتون وبرزت القوة الحيثية ثانية ، ووسعت حدود مناطق نفوذها في شمال بلاد الشام في عهد ملكها المعروف (شوبيلو

ليوما) ، وتنصل الامراء الموالون لمصر عن ولائهم وناصروا الملك الحيثي دون أن تقوم مصر بعمل شيء ، واغتنم هذه الفرصة ملك أموري طامح هو (عبدي عشيرتا) ، ثم إبنه (عزيرو) ، وحاول عن طريق الحيلة والمراوغة توحيد بلاد الشام في مملكة واحدة فاستولوا على المدن والامارات الامورية والكنعانية الواحدة بعد الاخرى ، مثل توينب (قرب حماة) و(سومورو) و(جبيل) و(بيروت) وانفصل النصف الشمالي من بلاد الشام على يد(عزيرو) وتحت حماية حيثية ، ثم قام الحيثيون بالاستيلاء على هذا النصف الشمالي وفرض الجزية على امراء المدن الشامية .

ثار أموتد الشمال الشامي على الحيثين ، وخصوصاً امراء أوجاريت حينما كانت تعيش عصرها الذهبي .

وعندما اعتلى الفرعون (سيتوس) الأول العرش (1301-1315)ق .م أدرك خطورة النفوذ الحيثي فقاد جيشه واخضع اولاً جنوب فلسطين تماماً له ثم احتل(مجدو) فقاد جيشه واخضع اولاً جنوب فلسطيني تماماً ثم احتل (مجدو) و(حوران) و(لبنان) . . .الخ .

وتكررت مثل هذه الحملات حتى أبرمت معاهدة صلح بين الملك الحيثي (مرواتالي) والمصري (سيتوس الاول) حيث أصبح شمال بلاد الشام تابعاً للنفوذ الحيثي وجنوبه للنفوذ المصري .

واستقرت بلاد الشام لما يقرب من قرن كامل تحت ظل هذا الاتفاق وكانت الحروب قد أنهكت الحيثين والمصريين وبلاد الشام نفسها .

لكن العاصفة المدمرة هبت مع مطلع القرن الثاني عشر عندما بدأت غزوات الفستو والاشوريين والعبريين لتدمر مدن بلاد الشام خلال قرنين من الزمان تدميراً شاملاً .

د-فترة تدمير المدن (الغزو الفلستي والآشوري والعبري) (1200-1000) ق.م

غرقت بلاد الشام كلها في وصول كارثة لم يشهد لها تاريخها مثيلاً ابتدأت بالغزو الكاسح والمدمر للقبائل الايجية وخصوصاً الفلستية منها ثم سحقت القوات الاشورية أغلب مدنها واخيراً تسربت القبائل العبرية في غزو مخاتل الى قلب فلسطين واقامت دولة غريبة فيها .

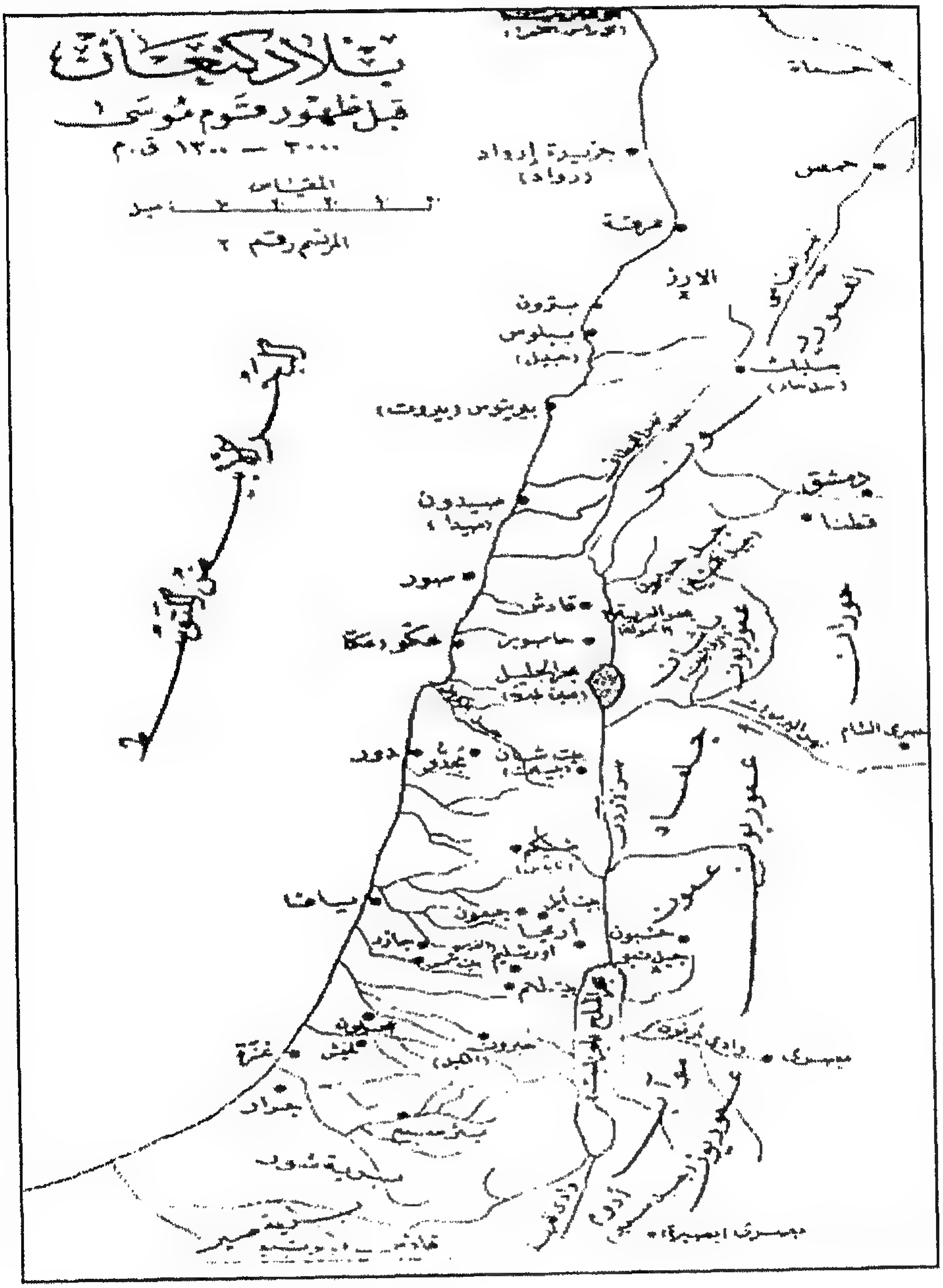

خارطة (2)

بلاد الشام (كنعان) قبل ظهور قوم موسى 3000-1300ق.م.

الغزو الفلستي

سقطت الدولة الحيثية عام (1190) ق .م على يد قبائل غريبة عن المنطقة هاجمت من الغرب والشمال الغربي ، ويمكننا القول أن هذا الغزو بأكمله كان جزءاً من حركة الغزو والهجرة التي كانت تقوم بها القبائل الاغريقية من وسط وشمال اوروبا نزولاً الى بلاد اليونان واستمراراً الى آسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط والسواحل الشرقية له .

وتألف الغزو بمجمله من ثلاثة محاور هي :

1-**من اليونان بإتجاه آسيا الصغرى** : وتكوّن من (الفريجيين والمسيين والكاشكيين) ، وقد دمر هذا المحور قلب الامبراطورية الحيثية .

2-**من كريت وقبرص الى مصر** : وتكوّن من القبائل الـ (شاردانية) والـ (لوكية) والـ (ميسية) ، وكان الغزو بحرياً وتحالف مع القبائل الليبية وغزا السواحل المصرية ، لكن رمسيس الثالث أوقفه ورد الغزاة في معركة فاصلة براً وبحراً في دلتا النيل فاتجه ما تبقى من الغزاة نحو فلسطين .

3-**من كريت وقبرص الى السواحل الشامية** : وتكوّن من قبائل (فلستو ، الليرية ، الزاكارية) ، ثم انضمت لها القبائل المهزومة أمام رمسيس الثالث ، ودمرت هذه القبائل معظم المدن الكنعانية الساحلية ، واستطاعت قبائل (الفلستو) الاستقرار والتمركز في خمس مدن ساحلية كنعانية النشأة وهي (عكا ، اسدود ، عسقلان ، جت ، غزة) ، وأصبحت أسدود عاصمة لدولة فلستية (فلسطينية) وانصهرت فيها القبائل الايجية الغازية مع القبائل الكنعانية التي كانت تسكن هذه المدن .

وستتحول هذه الدولة الى دولة مضادة للعبريين الذين غزوا بقية بلاد كنعان في فلسطين .

وهكذا انقسم الشريط الكنعاني الى قسمين شغل ثلثين العلويين الكنعانيون (الذين سيترسخ اسمهم تحت عنوان الفينقين) والثلث الاسفل الفلسطينيون .

وكان الغزو الايجي قد خرّب أيضا أوجاريت ، حوالي سنة 1180 ق .م ، والتي لم تقم لها بعد قائمة مطلقاً .

الغزو الآشوري:

ما أن سقطت الامبراطورية الحيثية حتى شعر الآشوريون بأن الوقت قد حان ليحتلوا مكانها المؤثر وتبؤ زعامة الشرق الأدنى بأكمله ، واذا كانت في البداية قد اضطرت الى التراجع داخل حدودها الاقليمية في شمال العراق ، فإنها سرعان ما عاودت الهجوم .

قام العاهل الآشوري (تجلات بلاسر الأول) (1116-1090) ق .م باجتياج جنوب سوريا للحصول على اخشاب الأرز ، واضطرت جبيل لتقديم الجزية له . واحتل ارواد لفترة من الزمن .

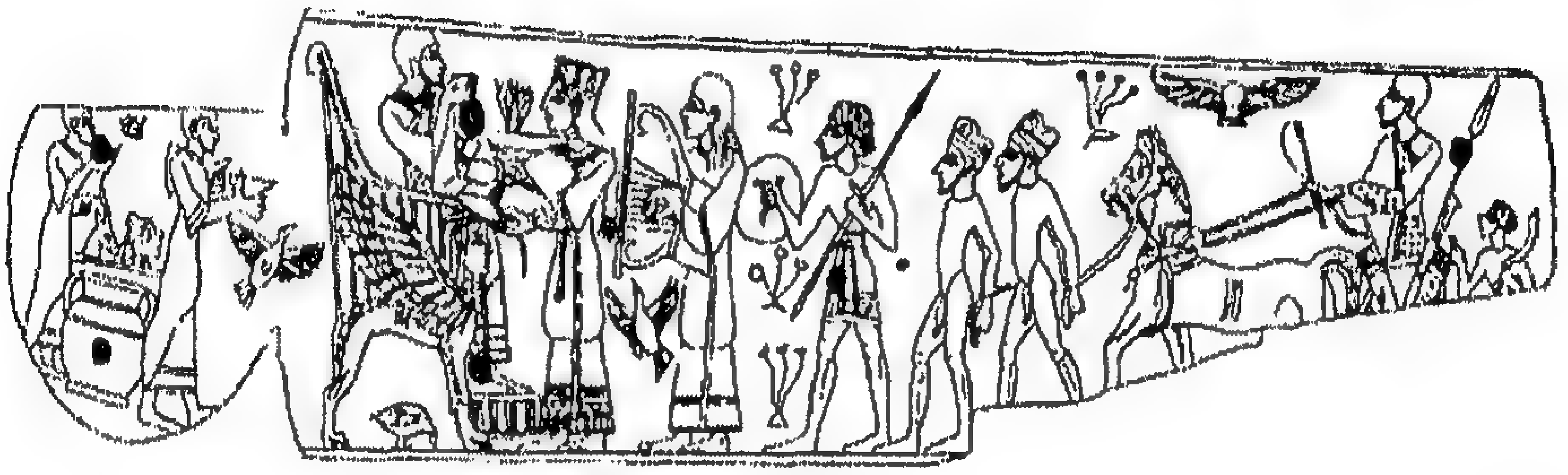

قطعة عاج منقوشة من مجدّو حوالي (1350-1150) ق.م توضح مشهدين للملك عائد من حملة وهو يجلس على عرشه ويتسلم التقدمات والهدايا (عن Gary 1964).

الغزو العبري

لم تمنحنا الآثار شيئاً عن الوجود العبري في فلسطين خلال الألف الأول قبل الميلاد ، ومازال تاريخهم مشوباً بالغموض رغم أن التوراة تتحدث عن تاريخ القبائل العبرية قبل وبعد استيطانها في فلسطين .

وإذا أخذنا بهذه الروايات وغيرها فاننا نستطيع القول : إن القبائل العبرية المجهولة المنشأ قد زحفت بشكل بطيء ومتدرج نحو بلاد الشام .

وفي حدود 1100 ق .م أجهز العبريون على ما تبقى من المدن الكنعانية في فلسطين ، واستقروا هم فيها وفرضوا عليها عاداتهم وتقاليدهم ، واصطدموا في عام 1050 ق .م

بالفلستينين الذين كانوا متطورين باسلحتهم وعدتهم فانهزموا أمامهم ، وكان ذلك مدعاة لإعادة تنظيم العبريين لأنفسهم فاختاروا في حدود 1000 ق .م شاؤول ملكا لهم على أول مملكة عبرية ثم خلفة رواد ثم جاء سليمان وبعدها انقسمت الدولة العبرية الى قسمين .

وما يهمنا هنا هو أن الغزو العبري كان مشابهاً للغزو الفلستي في آثاره المدمرة للمدن الكنعانية وازالة هويتها الكنعانية الاصيلة ، أما الغزو الاشوري فكان ذا طابع اقتصادي وسياسي أكثر من كونه عسكرياً واستيطانياً .

●●●

وهكذا ساهمت هذه الغزوات (الفلستية والاشورية والعبرية) بتغيير الطابع الديموغرافي الكنعاني لبلاد الشام الجنوبية .

أما الكنعانيون الذين كانوا قد تحرروا نسبيا من النفوذ المصري فقد واجهوا الضغط الاشوري بشكل خاص واستثمروا خلو البحر الابيض المتوسط من القوة المصرية المؤثرة ، ولذلك ، ركبوا البحر وتدفقوا منذ 1200 ق .م الى جزر البحر المتوسط وسواحل البلقان وايطاليا ، وبشكل خاص سواحل شمال افريقيا ليبدأ عصر جديد لها هناك وليستمر تاريخها بالتدفق في بلاد فينيقيا الشامية بمرحلة جديدة .

3-المرحلة الفينيقية (1200-146)ق.م

أ- الفينيقيون الشرقيون (232-1200 ق.م).

بعد أن دُمرت معظم المدن الكنعانية البرية والساحلية وتغيرات هويتها على يد الفلستينين والعبريين معا غرقت هذه المدن وما تبقى من المدن الاخرى في تاريخ منحدر طويل من الغزوات والاحتلالات الجديدة على يد المصريين والاشوريين والبابليين والفرس والاغريق ،ثم تلا ذلك الرومان والبيزنطيون فقدت في نهاية الامر هويتها الكنعانية .

1-الاحتلال المصري:

قام الفرعون بسوينس (من الأسرة الحادية والعشرين) في حدود 1000 ق .م بالهجوم من جديد على جنوبي فلسطين واستولى على مدينة (جزر) الكنعانية وأحرقها ثم أعطاها هدية أو مهراً لابنته عند زواجها (أنظر فخري 1995:419) .

وحصل الغزو المصري الأكبر خلال هذه الفترة على يد الفرعون شيشناق الأول (929-950) ق .م وأبدت ذلك نقوش هذا الفرعون في الكرنك ونصوص التوراة (أنظر الملوك الاول : 10,14) .

وكان السبب الرئيسي لهذه الحملة هو قيام الفلسطينيين والكنعانيين ومعهما مملكة إسرائيل (ملكها يربهام) بطلب النجدة ربما ضد ملك دولة يهودا (رحبعام) فجهز شيشناق حملة عظيمة الى فلسطين بدأت من عاصمته بوبيتيس في الشرقية باتجاه الفرما ثم سينا ثم غزة واستولى على المدن الفلسطينية وقام باكتساح 151 مدينة في اسيا وفلسطين ، وغنم شيشناق من دولة يهودا (رحبعام) في أوشليم كنوز الملك سليمان وتتسابق حكام وولاة فينيقيا على كسب شيشناق وعادت فلسطين الكنعانية والعبرية والفلستينية مصدراً مهماً من مصادر المواد الأولية الخام لمصر .

2-الاحتلال الآشوري:

بدأت الحملات الاشورية الكبيرة لتوسيع رقعة الدولة الاشورية مع عهد الملك آشور دان الثاني (910-93) ق .م ثم تبعه خلفاؤه في تلك الحملات وخاصة في عهد الملك آشور ناصر بال الثاني (859-883)ق .م .

واستمرت الحملات في عهد ابن شلما نصر الثالث (825-860)ق .م ، الذي أخذ الجزية من صور وبيبلوس مرات عدة ، ولما خرجت أرواد عن الطاعة لآشور هزمها في معركة حاسمة .

وقام أدد نيراري الثالث بحملة على سوريا عام 805 ق .م ، ثم نعمت سوريا وفينيقيا بهدوء نسبي الى أن اعتلى عرش آشور (تجلات بلاسر الثالث) 745ق .م الذي قام بحملة على سوريا وفرض الجزية على صور وصيدا .

وكان الاحتلال الاشوري لفينيقيا يمتاز ببسط السيادة والنفوذ وفرض الجزية أكثر من كونه احتلالاً دائماً .

وفي عهد الملك الآشوري رشلما نصر الخامس وقفت (صور) بوجه الغزو الاشوري الذي كان يستهدف احتلال قبرص باسطول بحري كبير ،حيث دمرت الاسطول الاشوري واسرت ما يقرب من خمسمائة جندي اشوري ، فحاصرها شلما نصر الخامس .

ومع مجيء الأسرة السرجونية الى آشور بدأ عصر جديد من الغزو العنيف للمدن الكنعانية وخصوصاً في عهد سنحاريب الذي انتصر على حلف المدن السورية الآرامية والفينيقية في حدود 701 ق .م حيث فرّ ملك صور وصيدا الى قبرص ومات هناك .

واستمر أسرحدون على النهج نفسه وقسم فينيقيا الى ثلاث ولايات آشورية هي(سميرا ، صيدا ، صور) ، وكانت صور قد استجابت لطلب الفرعون المصري(طبرقا) بالانفصال عن آشور فكان لها اسرحدون بالأرصاد .

3-الاحتلال البابلي:

سقطت الامبراطورية الآشورية عام 612 ق .م وتنفست المدن الكنعانية الصعداء ،لكن الفرعون المصري (نخاو) توغل في فلسطين وأراد فتح بلاد الشام كلها ،لكنه اصطدم بقوة الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الذي انتصر عليه في معركة قرقيش عام 605 ق .م .

كان هذا الانتصار مدخلاً للاحتلال البابلي لبلاد الشام ، حيث حاصر نبوخذ نصر صور وصيدا وغيرها ، وقام نبوخذ نصر متبعين ملوك فينيقيين على هذه المدن ،لكنه استبدلهم بعد ذلك بحكام بابلين ، ولا تسجل علامات رفاه للمدن الفينيقية في العصر البابلي الحديث فقد كانت بلاد الشام ، كلها تابعة للنفوذ البابلي .

4-الاحتلال الفارسي

بعد أن أسقط كورش الدولة الكلدانية عام 539ق .م ظل حكام المدن الشامية البابليون يحكمون هذه المدن باسم الدولة الفارسية .

وعندما تولى قمبيز الحكم استبدل هؤلاء الحكام بحكام فرس ، وكانت بلاد الشام معبراً لطموحات الدولة الفارسية في السيطرة على مصر والسودان وشمال افريقيا وبلاد اليونان ، ولذلك قامت المدن الشامية والفينيقية بشكل خاص بمعاونة الملوك الفرس في تحركاتهم هذه مقابل حرية سياسية للمدن الفينيقين ، حيث حصلت على نوع من الاستقلال الذاتي واتحدت هذه المدن في القرن الرابع قبل الميلاد واتخذت المدينة التي اسست انذاك وسماها الإغريق تريبوليس (طرابلس اليوم) مركزاً للاتحاد ؛ لأنها تكونت من ثلاث مستوطنات اقامها أهل ارواد وصيدا وصور ، وكان الاجتماع السنوي لممثلي المدن الثلاث يعقد في هذه المدنية ، (هبو 271 :1999) .

وقبل نهاية الحكم الفارسي ثارت مدينة صيدا فدمرها الفرس تدميراً شاملاً . ثم جاء الاسكندر المقدوني الذي هزم الفرس عام 333 ق .م في معركة ايسوس . وقاومت مدينة صور غزو الاسكندر لكنه فتحها بعد حصار طويل في حين سقطت كل المدن الفينيقية في قبضته ، وبدأ عصر جديد .

ومع مجيء الاحتلال المقدوني والثقافة الهيلنستية (البطلمية والسلوقية) بدأت المدن الفينيقية تفقد طابعها الخاص واضمحلت اللغة الفينيقية أمام الاغريقية والآرامية وتكرس هذا مع مجيء الرومان عام 64ق .م .

●●●

لا شك أن الكنعانيين والفينيقيين قدموا للبشرية أعظم المنجزات الحضارية طيلة تاريخهم الطويل ، ولم يمنع عدم تكوينهم لدولة أو امبراطورية واحدة من تعطيل عطائهم الحضاري .

ولعل أقدم متجزاتهم الحضارية تأسيسهم لتلك لمدن العظيمة التي كان لها الاثر الاكبر في العالم القديم . ثم أنهم عرفوا بالملاحة ، حيث درسوا طرقها البحرية وربطوا بلادهم بخطوط بحرية مع بلاد اليونان غربي البحر المتوسط وشمال اوروبا والخليج العربي والهند وغيرها . وهم أول من اكتشف المحيط الاطلسي وأول من دار حول افريقيا واكتشف سواحلها . وهم الذين جعلوا حوض البحر المتوسط كله مسرحاً لحضارتهم وتجارتهم منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد أي قبل الرومان بأكثر من ألف وخمسمائة سنة . ولعل أعظم اختراع قدمه الفينيقيون الى البشرية هو اختراعهم للابجدية ، حيث عثر على أقدم كتابة ابجدية بالحروف الفينيقية على التابوت الحجري لملك جبيل (أحيرام) الذي حكم حوالي 1000 ق.م (شكل 3) ويبلغ طول التابوت متران ونصف ويقوم على تماثيل لأسود جالسة .

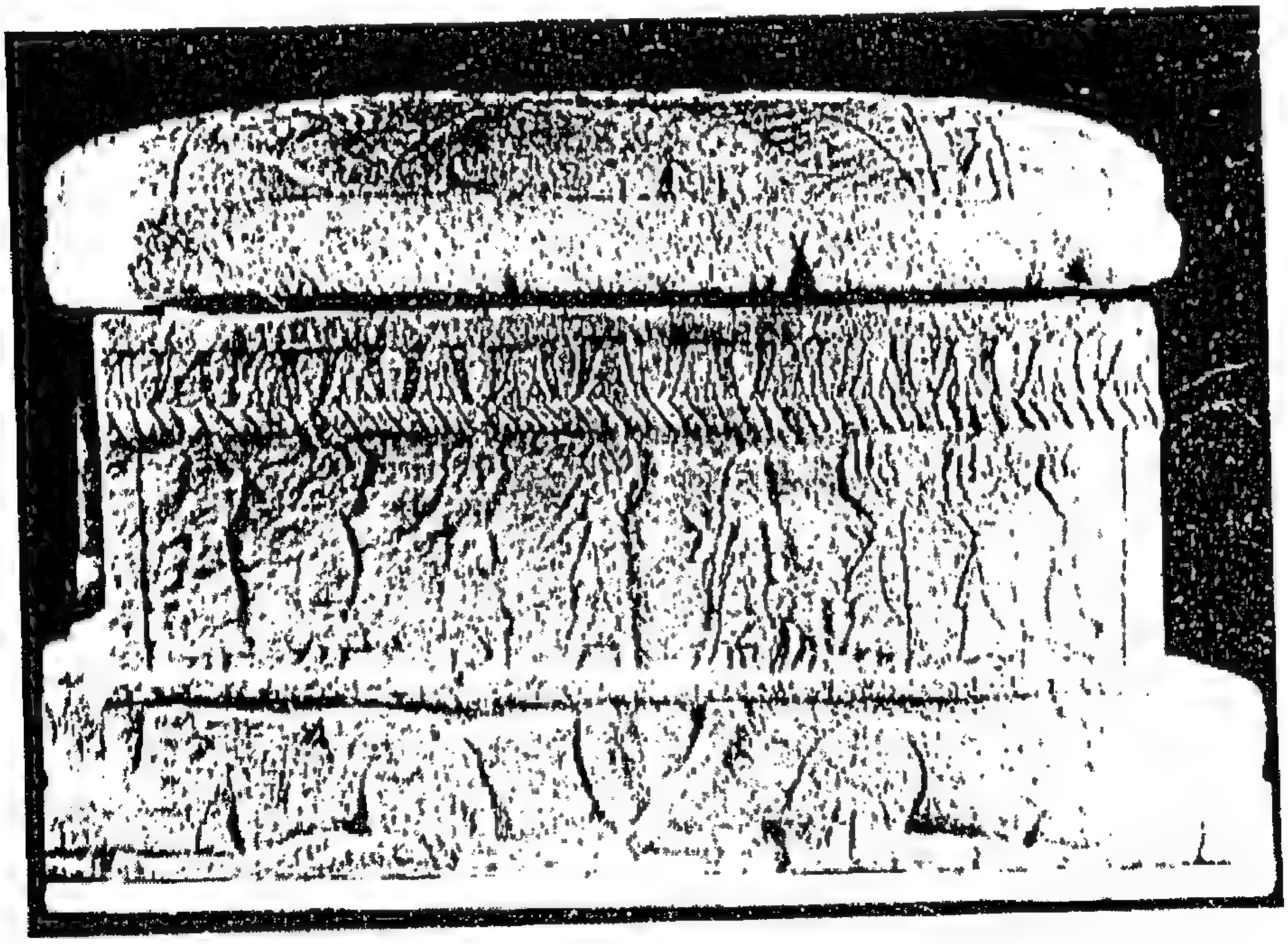

شكل (3)

تابوت، الملك (احترام) ملك جبيل (بيلوس) مصنوع من الحجر ويرجع تاريخه الى القرن العاشر ق.م. منقوش على حافة غطاء التابوت أقدم وأطول كتابة فينيقية معروفة (المتحف الأهلي - بيروت)

جدول (1)

جدول الخطوط الأبجدية منذ الاصل الاوغاريتي المسماري لها حتى خطوطها المتنوعة في الشرق والغرب. (هبو 263 :1999).

ويعود اصل الخطوط الابجدية الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد عندما طور مجموعة من العمال الساميين (الكنعانيين) الكتابة الهيروغليونية المصرية باتجاه أبجدي وتسمى (أبجدية السينائية المبكرة) لأنها نشأت في سيناء بين القرنين العشرين والثامن عشر قبل الميلاد وكلمة المبكرة تميزها عن أبجدية سينائية أخرى انتشرت في سيناء في عصر متأخر وبالتحديد في القرنين الثالث والرابع الميلاديين وترجع في اصلها الى الأبجدية النمطية ، نشأت الأبجدية السينائية المبكرة في منطقة سيرابيط الخادم بسيناء على يد شعب سامي بسيط كان افراده يعملون تحت اشراف المصريين في استخراج النحاس والفيروز»(عبد الحليم 14 :1999) .

والطريقة التي تحولت فيها بعض العلامات الهيروغليفية الى خطوط أبجدية كان عن طريق استعمال طريقة أطلق عليها العلماء : (الاكروفونية Acrophonic) ، وهو مصطلح مكوّن من كلمتين يونانيتين هما (أكرو : بمعنى رأس او مقدمة) و(فون بمعنى صوت) حيث يتخذ الصوت الأول في نطق الاسم الدال على شكل العلامة ليكون مدلولاً صوتياً مفرداً للعلامة مثل كلمة (بر) الفرعونية التي معناها بيت تكون دالة على حرف (ب) في الابجدية السينائية ، ويلاحظ أننا ما زلنا نستخدم هذه الطريقة في تعليم الاطفال نطق الحروف الأبجدية فنرسم للطفل شكل منزل ونكتب بجواره (بيت) ثم نكتب حرف الباء (أنظر المرجع السابق : 15-14) وهكذا رسموا رأس الثور الذي يعني بالكنعانية الف ولكنهم لفظوا هذه العلامة (أ) . وسموا شكل البيت البسيط واسمه بالكنعانية بيت ولكنهم لفظوه (ب) .وهكذا فعلوا ببقية الاشكال التي اصبحت تمثل حروف (= أصوات) لغتهم الكنعانية/ ثم انتشر هذا النوع من الكتابة بين كنعانين فلسطين ، ووصل الى اشقائهم على الساحل اللبناني (الفينيقي) ومنهم أهل جبيل الذين طوروا الاشكال وتوصلو الى (22) شكلاً تمثل اللغة الكنعانية وهي : 1 ،ب ،ج ،د ، أ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت (حسب الترتيب المعروف : أبجد هوز حطي كلمي سعفص قرشت ودعيت هذه الكتابة أبجدية أهذ الفبائية نسبة الى ترتيب حروفها الاولى (أنظر هبو ، 261 :1999) وانتشرت وتطورت هذه الابجدية عند الاقوام القريبة حتى نشأ نظام أبجدي جديد في الشرق الادنى واليونان والرومان (انظر جدول 1) وهكذا حلت الأبجدية تدريجياً محل الكتابة المقطعية والهيروغليفية في كل أنحاء العالم .

أما في اوغريت ، فقد كان الأمر مختلفاً ، إذ يبدو أن الخلفية الرافدينية ، التي كانت تسيطر على ثقافة أوغايرت ، جعلت الكتابة العراقية القديمة (المسمارية) وليس المصرية (الهيروغليفية) هي التي تكون نواة الأبجدية الاوغاريتية . فقد عثر المنقبون في اوغاريت عام 1929 على رقم مسمارية تختلف عن الكتابة المسمارية العراقية (السومرية والأكدية) ، ثم استطاعو فك رموزها فوجدوا انها مكونة من (30) حرفاً مسماري الشكل بينها ثلاثة تمثل الهمزة بحركاتها المختلفة (مفتوحة ومضمومة ومكسورة) وهي مرتبة كما يلي : (أ ، ب ، ج ، خ ، د ، هـــ ، و ، ز ، ح ، ط ،ي ، ك ،ش ، ل ، م ، ذ ، ن ، ظ ، س1 ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ث ، غ ،ت ، أُ (مضمومة) ، إِ (مكسورة) ، س2) .

لقدتأكد الباحثون أن هذه الكتابة الأبجدية المسمارية أقدم من الكتابة الأبجدية الخطية على تابوت أحيرام بأكثر من خمسة قرون ، أي أنها تعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقد كتبت بها نصوص أدبية واقتصادية وسياسية متطورة مما يوحي بأن جذورها تعود لأبعد من هذا التاريخ . ونرجّح أن اختراع الابجدية الاوغاريتية سبق اختراع الأبجدية السينائية المبكرة التي كانت محدودة جداً في الشام كتبت بها اللغة الاوغاريتية الشديدة القرب من اللغة العربية ومن اللغات السامية الاخرى كالأكدية والعبرية .

لقد تقلص عدد الحروف المسمارية الاوغاريتية الى (22) حرفاً في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وغدت قريبة من اللغة الفينيقية واللغة العبرية .

إن انجاز الكتابة الأبجدية يحد من أعظم الانجازات البشرية بعد اختراع الكتابة ، لأنه يسرٌ تطابق اللغة مع الكتابة وجعل أم الأرض تبتكر لنفسها أبجدياتها وتكتب بها تراثها .

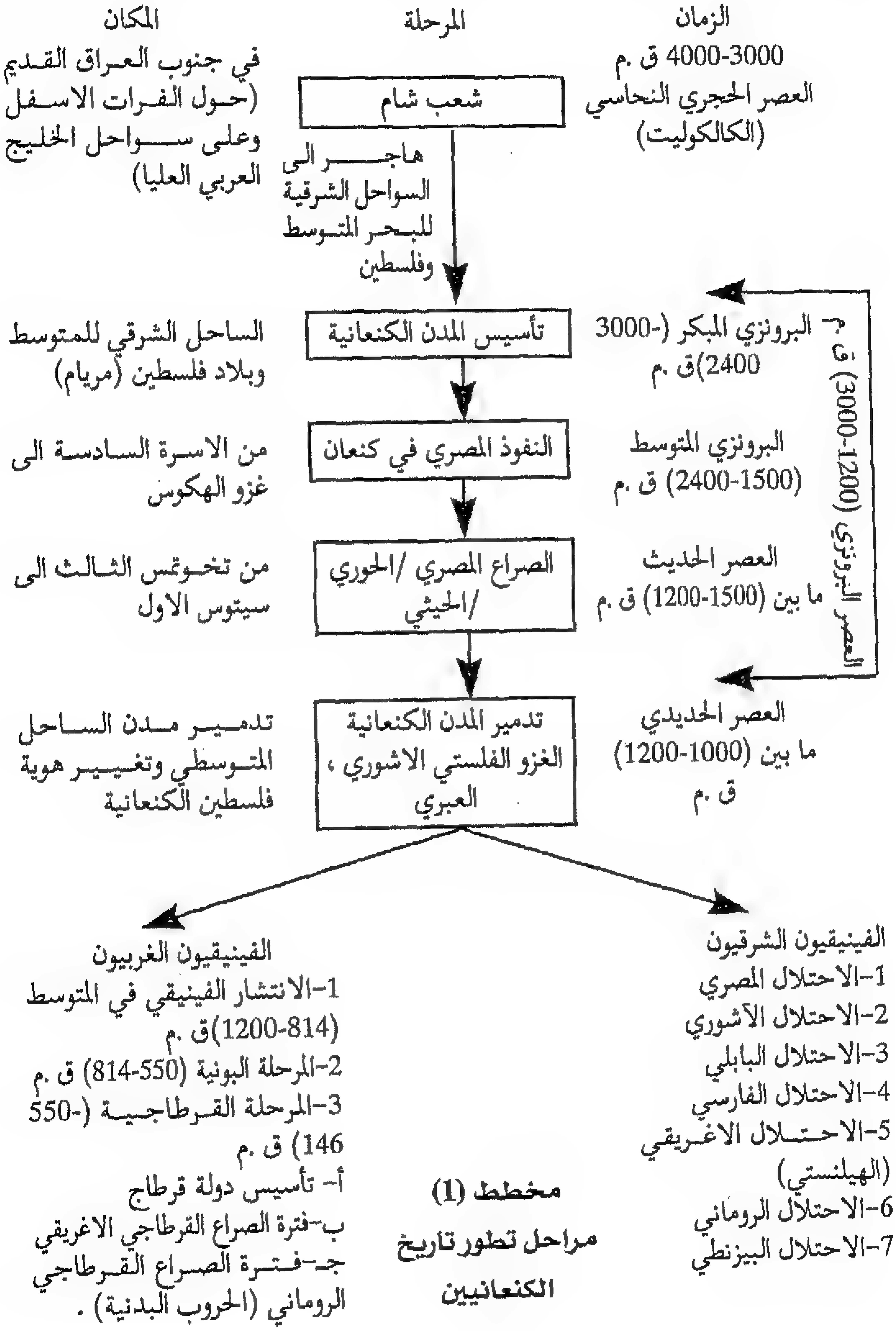

مخطط (1)

مراحل تطور تاريخ الكنعانيين

الفينيقيون الغربيون (البونيون والقرطاجيون)

(1200-146) ق.م

ضجر الفينيقيون الشرقيون المقيمون في مدن السواحل الشامية من بناء الحصون العالية لحماية مدنهم من الغزوات المتلاحقة ومن دفع الجزية المستمر ومن انتهاكات الاقوام الغازية واحتلالها لارضهم وموانئهم . . وقد شهدنا تلك العاصفة المدوية التي حصلت لمدنهم مدة قرنين من الزمان من قبل أقوام البحر والفلستينين والعبريين والآشوريين ، وهكذا بدأت افواج منهم بالرحيل عن الشواطئ والمدن الكنعانية والفينيقية والاتجاه نحو البحر الابيض المتوسط بجزره وسواحله الشمالية والجنوبية .

ولا شك أن دافع التجارة والاقتصاد كان في المرتبة الثانية عندهم ، هذه المرة ، فهم اعظم رواد البحار واصحاب اكبر الاساطيل والسفن البحرية التجارية ، وكانوا يتاجرون بالاخشاب والبرونز والعاج والعظام والزجاج والخمور والاصباغ والاقمشة وقد أظهر الفينقيون مقدرة فائقة في صناعة الاقمشة المصبوغة باللون الارجواني ، والتي كانت صبغتها تستخرج من بعض الاصداف البحرية التي عثروا عليها عند سواحلهم . وكان توسعهم التجاري في البحر المتوسط يستوجب ضرورة انشاء محطات ومراكز مستقرة في البحر أو على سواحله الاخرى .

كذلك لم تظهر المدن الفينيقية القدرة على تكوين دولة واحدة متحدة تواجه بها الاقوام الخارجية ، فقد اقتصرت على إنشاء بعض الاتحادات السياسية بين المدن الفينيقية أثناء حدوث بعض الازمات والتي كانت تنهار أمام القوى السياسية الكبرى المحيطة بها .

وهكذا اجتمعت العوامل السياسية والبشرية والاقتصادية والبيئية لتدفع بعض الفينيقين الى الرحيل بحراً نحو السواحل الاوروبية والأفريقية للبحر المتوسط بالاضافة الى الجزر المنتشرة فيه .

1-المرحلة الفينيقية (الانتشار والاستيطان) (1200-814)ق.م

ربما تكون هذه المرحلة قد بدأت قبل 1200 ق .م عندما ارتاد الفينيقيون البحر المتوسط واستقروا في جزره بشكل خاص ، ولكنها ازدادت بعد هذا التاريخ .

ويمكننا من الناحية التصنيفية تقسيم المناطق التي انتشر واستعمر واستوطن فيها الفينيقيون الى اربعة اقسام :

أ-جزر البحر الأبيض المتوسط:

لا شك ان الكنعانيون هم الذين ألهموا سكان جزيرة كريت سبل الحضارة بالاضافة الى المصريين ، ولكن العناصر الكنعانية في الحضارة الكريتية كانت واضحة جداً وربما تكون قد بدأت في الألف الثالث قبل الميلاد ولا نرجح أن استيطاناً كنعانياً قد حصل في تلك الازمان ، بل أن اتصالاً ثقافياً وروحيا وفنيا كان يجري من كنعان الى كريت بوضوح شديد . وقد ظل هذا حتى بعد أن دمر اغريق موكناي حضارة كريت .

الجزيرة الثانية التي ارتحل اليها الفينيقيون هي جزيرة قبرص ، فقد كانت قريبة من سواحل كنعانية وفينيقية ، تلك التي عثر فيها على أكروبول فينيقي يعود الى القرن الحادي عشر. ويبدو أن صور أنشأت لها في قبرص مقاطعة صغيرة خاضعة لها ، وقد ظهرت في كيتيون أسرة فينيقية حوالي 450 ق .م ضمها بعد ذلك بطليموس الأول الى دولته البطلمية .

ومن المستوطنات الاخرى في هذه الجزيرة جولجوي وايدليون وتلماوس وماريون ولابيتوس التي خضعت للاحتلال الاشوري لفترة طويلة ، أما جزيرة صقلية فقد شهدت استيطاناً فينيقياً في (سيلينونتي) و (موتيا) و(بالرمو) و(سولونتو) واستوطن الفينيقيون في جزيرة مالطة وفي (جوزو) و(بانتلليريا) و(لامبيدوس) .

وكذلك استوطنوا في (سردينيا) خصوصا في (نورا ، سوليس ،كارلوفورت ، ثاروس ، وكذلك في جزيرة كورسيكا) .

واستوطنوا ايضا في جزر البليار ، وجزر ايجه مثل (تكوس ، كيثيرا ، ميلوس ، ثيرا) (أنظر الشريقي 57 :1985) .

ب-السواحل الاوروبية للبحر الأبيض المتوسط

استوطن الفينيقيون مبكرا في السواحل الاسبانية واسسوا مدينة قادس ، معنى اسمها (سور) على الساحل الجنوبي لأسبانيا في شمال غرب جبل طارق عام 1110 ق .م .

ومن المدن الاخرى في شبه جزيرة ايبيريا (اسبانيا) مدينة تاريتتوس جنوب غربي اسبانيا التي عرفت ب(تارشيش) ، وكذلك مدينة قرشيش ، وهذا الاسم هو اسم فينيقي يعني المنجم ، أو مكان الصهر (أنظر سليم 295 :1989) .

كانت سواحل بلاد اليونان مكاناً لهم ، خصوصاً بعد أن قضى اقوام البحر والدوريون على حضارة موكناي ، فأدى ذلك الى ظهور واضح للفينيقيين على السواحل اليونانية منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد ثم العاشر ثم التاسع . وقد خلق هذا الحضور احتكاكاً تجارياً مع الاقوام الاغريقية الوافدة الى بلاد اليونان . وأسس الفينيقيون هناك مدن كومايس (كوماي) ، وكورنثوس وساموس (الشمس ، ورودس) (أنظر الشريقي 57 :1985) .

جـ-السواحل الاسيوية للبحر المتوسط:

كان للفينيقين حضور واضح في السواحل الاسيوية رغم قوة الحيثين في آسيا الصغرى ، فقد ظهرت آثارهم في مدينة ياليسوس وجزيرة رودس ومدينة افيسوس ومدينة ساردس ومدن أخرى .

د-السواحل الافريقية للبحر المتوسط:

لا شك أن الحضور الفينيقي في السواحل المصرية كان قديماً ، وقد أخذ طابعاً تجاريا ولم يأخذ طابعاً استيطانيا رغم أن العبادة الفينيقية في منطقة الاسكندرية (التي كانت تسمى فاروس) كانت معروفة ، وكان هناك حي في أحياء منف يسمى (ساحة صور) . وكانت السواحل المصرية مراكز ومحطات تجارية أكثر من كونها مناطق استيطان فينيقية .

في السواحل الليبية قام الفينيقيون بتأسيس مدينة (أويا) ، التي يطلق عليها اسم (أويا ملكرت) واسم (ماكاريا) واسم (أويا) التي هي طرابلس الحالية ، ومدينة (لبكي) التي هي مدينة لبدة الحالية ومدينة (صبرات) وتعني (سوق القمح) وهي مدينة صبرا الحالية .

هناك مدن ثانوية أخرى مثل (ايبون اكر) و(كراكس) و(توريس افرانتس) و(ماكومكا) و(كفالي) و(غرافارا) و(زوفيس) (انظر الجربي 78-76 :1996) .

وفي السواحل التونسية أسسوا مدينة اوتيكا عام 1100 ق .م ومدينة (هاردميتم) و(هبو ، عنابة) و(تابسوس) ، و(أخولا) و(قرطاجة) التي تأسست عام 814ق .م . والتي

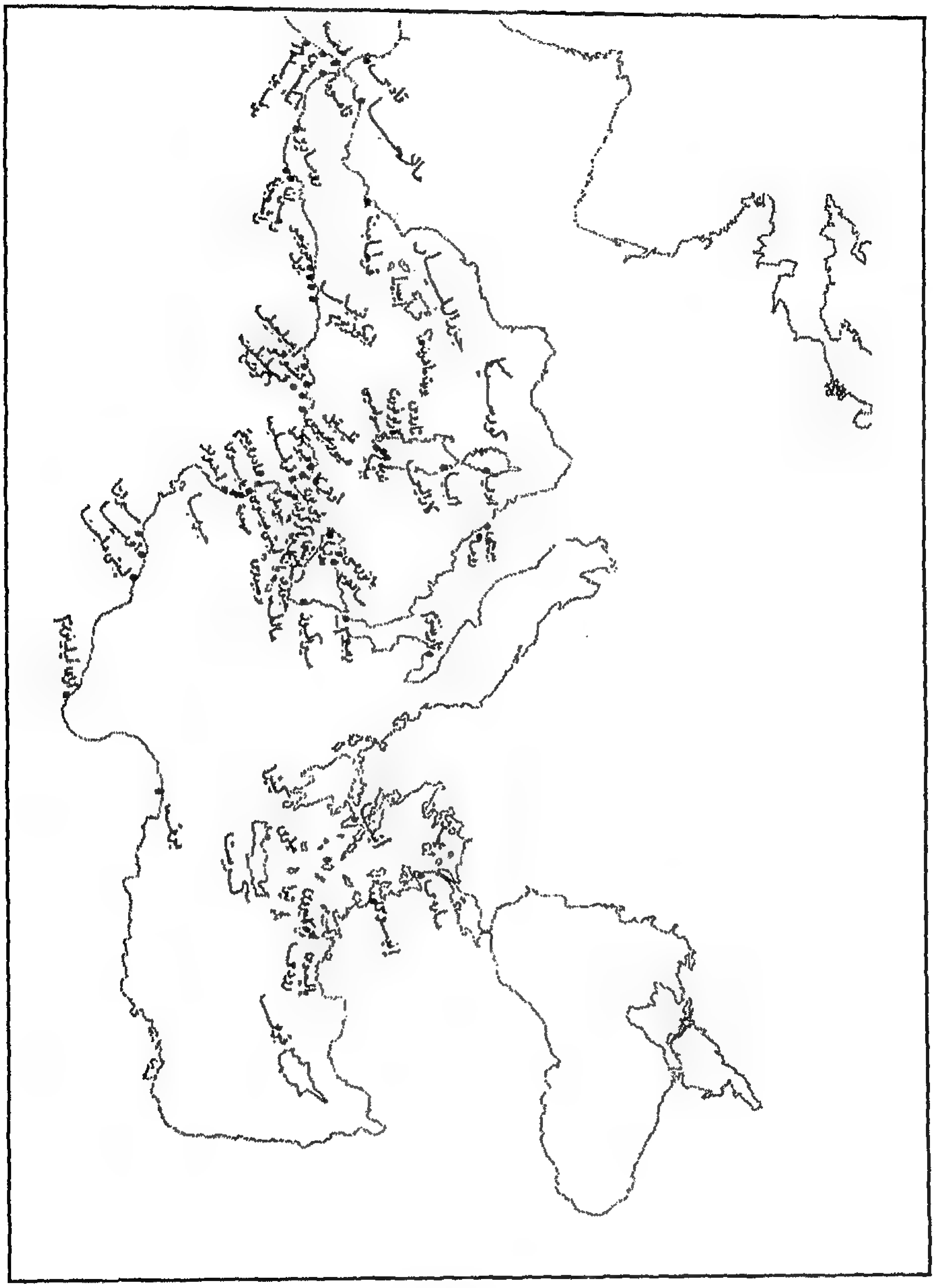

خارطة (3)

التوسع الفينيقي في حوض البحر الابيض المتوسط وسواحله وجزره) عن عصفور 1981) .

سيكون لها الشأن الاعظم في تاريخ الفينقيين الغربيين ، وكذلك (هرماكون) و (رأس بون) و(حضرموت) التي أصبح اسمها سوسه .

وفي السواحل الجزائرية أسسوا مدن (فيليب فيل) و(قسطنطينية) ، التي كان اسمها (كرت) اي القرية ومدينة (تشوللو) و(جيجلي) و(تيباسا) و (جورايا) .

وفي السواحل الغربية أسسوا مدن (ميليللا) و (ايمسا) و(سدي عبد السلام) و (تامودا) وليكسوس على الساحل الاطلسي ، وكان اسمها (تشميش) ، أي مدينة الشمس ، ومنها انطلقوا لأكتشاف مجاهل المحيط الاطلسي ، ومدينة طنجة ومدينة مولي بوسلوام وجزيرة الصويرة المغربية ، وروسدير (مليلة) .

يشير هذا الانتشار والاستيطان الواسعين الى أن الفينيقيين قد أسسوا فيما بين القرون الثانية عشر والسادس قبل الميلاد امبراطورية يحق لنا أن نسميها (امبراطورية حوض البحر المتوسط) أو (الامبراطورية المتوسطية الفينيقية) ، التي شملت سواحل ومدن وحوض وجزر البحر الابيض المتوسط .

ولكن ظهور الاغريق أولا ثم الرومان جعل هذا البحر المتوسط منطقة صراع معها لأكثر من اربعة قرون متصلة حتى استطاعت روما قبل مطلع القرن الميلادي الاول جعل هذه الامبراطورية اي ما يمكن تسميته (الامبراطورية المتوسطية الرومانية) .

2-المرحلة البونية (550-814) ق.م

يشير مصطلح (البوني) أو (الفوني) الى (الفينيقي) ، ولكننا أردنا أن ميز هذه المرحلة عن سابقتها باستخدام مصطلح البوني الذي شاع استخدامه عند الرومان ، في حين شاع مصطلح (فينيقي) عند الاغريق ، ولنميزه عن المرحلة السابقة .

تبدأ هذه المرحلة مع تأسيس مدينة قرطاج عام 814 ق.م وتنتهي بظهور الاسرة الماجونية في قرطاج حيث بدأت قرطاج بعدها تلعب الدور السياسي والحضاري المعروف لها وتمتد كدولة كبيرة تشمل سواحل شمال افريقيا من خليج سرت شرقا حتى سواحل المحيط الاطلسي غرباً .

يسود رأي عام مفاده أن مدينة صور الفينيقية (على سواحل لبنان) لعبت دوراً بارزاً منذ بداية الالف الأول قبل الميلاد في هجرة الفينيقيين الى شمال افريقيا وبشكل خاص الى

تونس وأنها تعتبر الأم المباشرة لمدينة قرطاج ، وهناك حكاية يمكن عدها من المثولوجيا التاريخية تبحث في تأسيس الاميرة الصورية إليسا ، أخت الملك الصوري بيجماليون ، لمدينة قرطاج ، وهي حكاية تتأرجح بين الاسطورة والواقع سنذكرها في الفصل القادم .

كان شمال افريقيا ، قبل مجيء الفينيقين ، مسكوناً بالقبائل الليبية والبربرية ومن المرجح أنه لم تحصل مصادمات أو عمليات إبادة بين السكان الاصليين والفينيقين وذلك بسبب غلبة الطابع الاقتصادي للهجرات الفينيقية .

لقد كان موقع قرطاج السهلي وابتعاده عن الساحل الصخري بالإضافة الى أهمية موقعها الجغرافي نسبياً من الوطن الاصلي بالمقارنة بالمراكز الاخرى البعيدة كما أن طبيعة موقع قرطاج تسمح بالتوغل لحد ما في الداخل أكثر من المراكز الاخرى (أنظر الناضوري 169 :1981) .

كان اسم قرطاج الفينيقي (قرت حشدت) أي (المدينة الجديدة) وكان لها اتصال منذ بداية تأسيسها بالحصن الجنوبي (بيرسا) قرب لوكرام ثم بقاعدة (أوتيكا) المجاورة ومدينة حضرموت في تونس . وقد أصبحت قرطاج بسرعة مدينة جديدة فعلاً «لأن أصلها ملكي ولأن قسماً من ارستقراطية صور قد هاجر مع ثرواته إليها ، وهكذا غدت قرطاج صوراً جديدة وذاعت شهرتها لا لموقعها الجغرافي وحسب بل لأنها ورثت أيضا عن صور دورها التاريخي» (ميادان 51 :1981) .

تطورت قرطاج خلال القرن السابع قبل الميلاد كثيراً وأسست لها مستعمرة في جزيرة (إيبيسا) وفي القرن السادس استولى (مالكس) على السلطة في قرطاج بعد أن نجحت حملاته العسكرية في صقلية وسردينيا وفي افريقيا أيضا (أنظر المرجع السابق) .

3-المرحلة القرطاجية (146-550) ق.م

أ-تأسيس دولة قرطاج

مع مطلع القرن السابع قبل الميلاد تأسست دولة قرطاج وفي منتصف القرن السادس قبل الميلاد انتقل الحكم الى أسرة قوية هي الأسرة الماجوية (الماجونية) نسبة الى ماجو ، وقد استطاع القائد ماجو أن يؤسس جيشاً قرطاجيا قوياً مؤلفاً «من الجنود المرتزقة من كافة

العناصر الليبية ، أي البربرية الذين كانوا يعملون كمشاة في الجيش وكذلك العناصر البربرية النوميدية الذين تميزوا بقدراتهم في مجال الفروسية وأيضا العناصر الغالية وغيرها . ولم يتردد اليونانيون في الانخراط في صفوف الجنود المرتزقة في الجيش القرطاجي» (الناضوري 173 :1981) .

وعقدت الأسرة الماجوية معاهدات مع الأتروريين في ايطاليا وبنيت الأسوار والحصون والثكنات وبنت الاسطول القرطاجي ، وتحولت دولة قرطاج الى دولة سياسية أكثر منها دولة اقتصادية وبدأت تدير مقاليد الامور في حوض البحر الابيض المتوسط .

تأسست دولة قرطاج قبل ظهور الاسرة الماجونية مع مطلع القرن السابع ق .م اذن ، بعد مدينة قرطاج ، تكونت دولة قرطاج التي شملت المدن الفينيقية في شمال افريقيا (باستثناء مصر) وصارت مدينة قرطاج عاصمة لهذه الدولة على يد الاسرة الماجوية أو الماجونية ، بل أن قرطاج الدولة والعاصمة اصبحت بديلاً لمدينة صور (العاصمة الأم للفينيقيين الشرقيين) وهكذا تهيأ ظروف جديدة انحدرت فيها صور وصارت قرطاج عاصمة بديلة لكل الفينيقيين .

حاولت قرطاج قبل هذه المرحلة مد اذرعها الى البحر المتوسط فقامت بتأسيس مدينة (ابيزا) بين عامي 603-654 لتؤمن لنفسها ميناءاً على الطريق بين سردينيا واسبانيا (وتقع هذه المدينة ابيزا في البليار) واستقر القرطاجيون أيضا في سردينيا وصقلية ثم اتخذوا لهم مستعمرات في هاتين الجزيرتين وهكذا بدأت الطموحات الامبراطورية لقرطاجة في جزر وسواحل البحر المتوسط .

ب-فترة الصراع القرطاجي الاغريقي:

بدأت ملامح هذا الصراع قبل تأسيس الاسرة الماجونية بقليل ففي عام 600 ق .م انهزم القرطاجيون أمام الاغريق الذين اسسوا مستعمرة لهم في مرسيليا وتحدوا القرطاجيين ، وفي عام 550 ق .م نجح القائد القرطاجي (مالخوس) في الانتصار على الاغريق في صقلية واحتل جزءاً من الجزيرة ثم توجه الى سردينيا حيث هُزم هناك وف يعام 535ق .م اشتبك الاسطول اليوناني مع الاسطول القرطاجي وأدى ذلك الى طرد اليونان من سردينيا وجعل القرطاجيون حلفاءهم من أهل أتروريا يحلون محلهم وظلت قرطاجة تشن غاراتها على

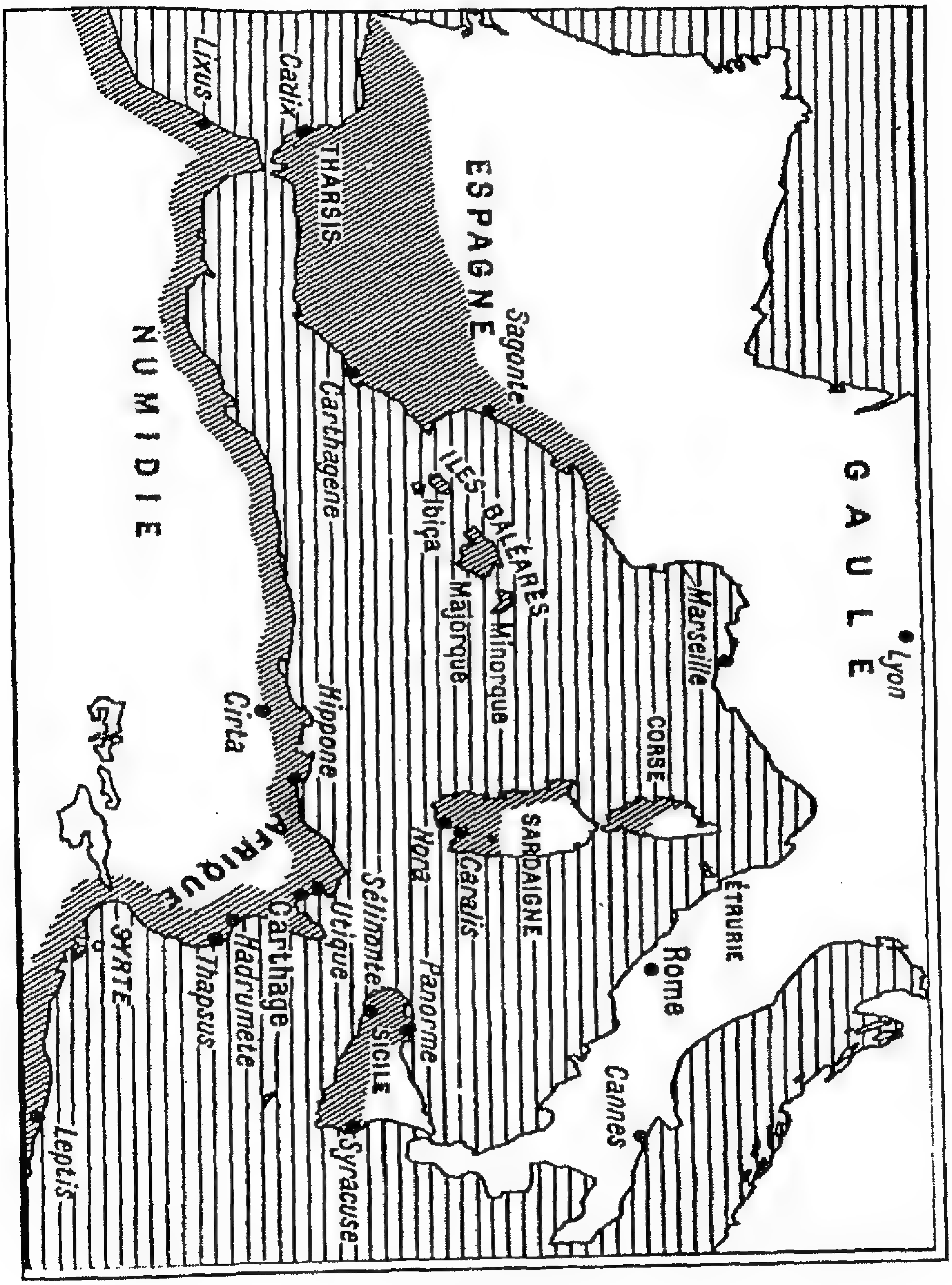

خارطة (4)

قرطاج والمستعمرات الفينيقية في الغرب عنه (ميادان ، 12 :1981).

سردينيا والشاطئ الاسباني حتى استطاعت أن تثبت مستعمراتها فيها . (أنظر عصفور 1981: 73) .

تبع مالغوس في الحكم (ماجو) أو (ماجون) مؤسس الأسرة الماجونية التي أدارت الصراع مع اليونانيين بكفاءة نادرة رغم أن هذا الصراع انتهى في النهاية لصالح الاغريق .

ويعتبر ماجون وابن هامليكار أهم ملوك الاسرة الماجونية الذين برزوا في هذا الصراع .

ماجون : بدأ ماجون الكفاح ضد الاغريق بالتحالف مع الاتروسكيين والتصدي للاغريق في الإليا في كورسيكا حيث هزموهم في عام 535ق .م وصارت ايطاليا من جبال الألب الى كامبانيا من نصيب الاتروسكيين ، بينما أصبحت المنطقة الواسعة في الجنوب بما فيها المنطقة التي إحتلها اليونان من نصيب القرطاجيين .

هامليكار بن ماجون : استطاعت روما أن تضعف الاتروسكيين ، وانتصر الاغريق على الفرس في معركة سلاميس البحرية ، وهكذا ضعفت قرطاج أمام اعدائها الاغريق . واستطاع دكتاتور سيراكيوز في صقلية (جيلون) الانتصار على هامليكار القرطاجي في معركة هميرا عام 480ق .م حيث قتل هامليكار .وأنهى القرطاجيون بعد ذلك حكم أسرة ماجون .

قضاة قرطاج (صوفية suffetes): بعد هزيمة الأسرة الماجونية نفى القرطاجيون بقية أعضائها وشكلوا هيئة حاكمة من مائة شخص وضعوا على رأسها شخصاً أعطوه لقب (قاضي) وحدوا من صلاحياته ومدة حكمه حماية لقرطاج من الدكتاتورية ، كذلك جرى اصلاح ديني واضح حيث ظهر الإله بعل حامون والالهة تانيت بعد أن كان الإله (بعل) ينفرد بتزعم مجلس الآلهة ، كذلك فقد أنهت حكومة قرطاج العلاقة التجارية مع اليونان وهو ما أضر بقرطاج كثيراً .

لقد جعلت هذه الامور قرطاج تبدو وكأنها تدخل مرحلة جديدة أسفر عن استقلال قرطاج الثقافي والديني عن أصلها الفينيقي الأول ولذلك توسع القرطاجيون داخل افريقيا ، ومدت قرطاج نفوذها وتجارتها باتجاه سواحل اسبانيا وفرنسا .

هانيبال بن جزجو : في عام (409 ق .م) قام هانيبال مدينة (سيلبنونتة) في صقلية ضد الاغريق ودمر هذه المدينة ومدينة هميرا وقتل 3000 اسيراً انتقاماً للقائد القرطاجي السابق هامليكار ، ثم قائد حملة أخرى عام 406 ق .م هاجم فيها اغريقنتوم وهزمها ودمرها لكنه مات بالطاعون فاستمر بعده هيميلكو .

هيميلكو : استمر في حصار مدينة جيلا وأصبحت صقلية اليونانية مهددة بأكملها فقام الاغريق بتعيين ديونسيوس قائداً لصقلية اليونانية فاحرز انتصارات أولية ثم هزمه هيملكو في معركة بحرية ، ثم انتشر الطاعون في الجيش القرطاجي وعقدت معاهدة بين القرطاجين والاغريق حيث أصبح ثلث صقلية تابعاً للنفوذ القرطاجي .

هسرروبال : في عام 340ق .م انتصر تيموليون الكورنثي على هسيدروبال القرطاجي واجبر على عقد معاهدة نقص في نفوذ القرطاجيين

هامليكار: مع بدء غزو الاسكندر المقدوني للشرق صور عام 332ق .م قام (أجاثوكليس) سيراكيوز الطاغية بالخروج على قرطاج فهزموه وحاصروه في مدينته ، فقام بتنفيذ خطة جريئة جداً حيث قاد اسطولاً حربياً وتوجه نحو (رأسجون) على الساحل الافريقي ثم اشعل النار في سفنه وأتجه نحو قرطاج العاصمة وضرب المدن القرطاجية في طريقه ثم حاصر قرطاج العاصمة بينما كان القرطاجيون يحاصرون مدينته سيراكيوز في صقلية ، واستطاع هزيمة الجيش القرطاجي حول قرطاج .

وبينما كان هامليكار يحاصر سيراكيوز قام أجاثوكليس بالتحالف مع الوالي البطلمي على برقة (اوفيلاوس) على أن يحصل هذا على شمال افريقيا البطلمي على برقة (اوفيلاوس) على ان يحصل هذا على شمال افريقيا واجاثوقليس على صقلية ، وبعد أن تقدم اوفيلاوس بجيشه الكبير قام اجاثوكليس بقلته ، وانتهز اجاثوكليس مؤامره بوملكار للحكم في قرطاج فاحتل اوتيكا وهيبواكرا ، ثم ذهب الى صقلية وترك جيشه وحيداً .

قام القرطاجيون بالهجوم على الجيش واستعادوا أماكنهم في شمال أفريقيا وعبثاً حاول اجاثوكليس انقاذ الموقف حتى عقدوا معه معاهدة أدت إلى نهاية الحرب بينهما واحتفظت قرطاج بكل ممتلكاتها في أفريقيا وفي صقلية إلى نهر هاليكوس (أي ثلثها) وحصل اجاثوكليس على بعض الأموال كتعويض رمزي لما فقده من الارض .

هكذا انتهى الصراع القرطاجي اليوناني والذي دار بشكل أساسي حول صقلية وتنازع النفوذ فيها ؛ وذلك لاهميتها في السيطرة على البحر المتوسط بجزئيه الشرقي والغربي .

جـ-فترة الصراع القرطاجي الروماني (الحروب البونية)

انشغلت كل من روما وقرطاج طيلة القرون الماضية بمشاكلهما الداخلية والخاريجة من دون أن ينتبها الى خطورة بعضهما على الآخر .

ولم يبدأ الاحتكاك المسلح بينهما إلا بعد أن وجدت روما أرض ايطاليا واخضعتها لسيادتها . وهكذا كانت قوة روما البرية ومحيطها اوروبي بينما كانت قوة قرطاج بحرية ومحيطها افريقي . ولكن البحر المتوسط بجزره وسواحله كان مكان الصراع والاحتكاك .

فبعد أن استولت روما على بلاد اليونان أرادت أن تضم اليها صقلية التي كانت تحت سيطرة قرطاج . ونشأ عن ذلك ثلاثة حروب متقطعة استغرقت (118) سنة وهي كما يلي (انظر الناضوري ، 1981 ، عصفور 1981) .

1-الحرب البونية الاولى (231-264) ق.م.

كان السبب الرئيسي لهذه الحروب هو محاولة السيطرة على جزيرة صقلية ، أما السبب الثانوي فهو طموح روما لبسط نفوذها على جزيرة سردينيا ، وكان السبب المباشر الذي أشعل فتيل الحرب هو قيام مرتزقة طليان بدخول مسينا (في صقلية) ، والاستيلاء عليها ، فقام حاكم سيركوز والقرطاجيون لانهاء هذا الوضع الشاذ ، فاستنجد المرتزقة بروما التي هبت لنجدتهم وبدأت الحرب .

وعندما خذل حاكم سيراكوز قرطاجة ، انسحب القرطاجيون الى البحر واستعدوا لخوض معركة بحرية مع الاسطول الروماني الفتي فتغلب عليهم الرومان اولاً ثم تغلب القرطاجيون ، وفكر الرومان بنقل الحرب الى أرض افريقيا فأنزلوا قواتهم شرق عنابة في تونس واستعد القرطاجيون بقيادة (همليكار برقة) لمقاومة حصار روما لقرطاج العاصمة ونجحوا في ذلك ، بل وهزموا الرومان وأسرو قائدهم . لكنّ الرومان اعادو الكرة فغزو الساحل القرطاجي ولكنهم فشلوا ايضا .

انتهت الحرب البونية الاولى بمعركة كبيرة في صقلية عام 241 ق .م وانتصر فيها الرومان واضطرت قرطاج لعقد اتفاقية سلام مع روما تقضي بجلاء قرطاج نهائياً عن صقلية ودفع غرامة مالية كبيرة على مدى 20 عاماً . وهكذا ضعفت قرطاج وخرج الخلفاء الليبيون على جيش همليكار فحاربهم لثلاث سنوات كانت روما خلالها قد بسطت نفوذها الكامل على جزيرتي سردينيا وكورسيكا .

2-الحرب البونية الثانية (202-218) ق.م

حاولت قرطاج أن تعوض ما فقدته من نفوذ وخسائر في الحرب البونية الأولى فشددت على بناء قوتها الداخلية ووسعت نفوذها باتجاه شبه جزيرة ايبيريا (اسبانيا) حيث قام همليكار برقة بقيادة هذا المشروع ثم أكمله زوج ابنته (هروبال) ، الذي بنى مدينة قرطاجنة (قرطاجة الجديدة) على ساحل اسبانيا المتوسطي .

وبدأت الحرب البونية الثانية مع تولي (هانيبال) ابن همليكار برقة حكم دولة قرطاج فقرر الانطلاق من اسبانيا لمحاربة روما وبدأ بحصار مدينة ساجنتوم الموالية لروما فاعلنت روما الحرب عليه وكان هو قد خطط لتسلق اوروبا كلها ثم النزول على ايطاليا من أعلاها وهو ما لم يخطر ببال الرومان الذين توقعوا الحرب في صقلية ، أو على السواحل الافريقية .

ترك هانيبال أخاه (هسروبال) في اسبانيا ليكون ظهيراً له يرسل الامدادات له بانتظام ، وخرج هانيبال من اسبانيا بجيش حرار تتقدمه الفيلة فهزم اولاً قبائل ايبيريا عام (218)ق .م ثم عبر جبال البرانس ثم عبر جبال الالب(12 الف قدم فوق سطح البحر) .ثم عبر مضيق الرون ثم عاد فعبر السلاسل المتبقية من جبال الالب وقمم فيزو وخاض معركة بلاسنتيا (218ق .م) مع القبائل الخالية والكلتية ، بعدها نزل الى حوض نهر البو ، حيث كان الرومان بانتظاره .

وفي ايطاليا خاض هانيبال ثلاث معارك كبيرة هي (تريبيا ، ترازيمين ، كاناي) انتصر فيها انتصاراً ساحقاً على الرومان وكان مهيئاً لحصار روما ودخولها ، ولكنه لم يكن يملك أدوات الحصار المناسبة ، فقامت روما بتشتيت قوة هانيبال بحصارها للمدن البعيدة في ايطاليا مثل (سيراكوز ، كابوا ، تارينتوم) ، ثم قاد سقيبو الافريقي الجيش الروماني ليهزم هيسدروبال في معركتين متتاليتين (قرطاجنة ، ميتاروس) وليقطع الامدادات نهائياً عن هانيبال .

وإزاء ذلك وبسبب طول الزمن الذي قضاه هانيبال في روما (15 سنة) طلب أهل قرطاجة من هانيبال العودة لبلاده فعاد ، لمن سقيبو الافريقي لم يقتنع بذلك فوجه الجيش الرماني نحو قرطاج وخاض مع جيش هانيبال المعركة الفاصلة في (زاما) فمني هانيبال بهزيمة واضحة فرّ على اثرها الى الشرق ، إذ تعاون أولاً مع السلوقيين ضد روما من دون جدوى ، ثم مع ملك ليديا ضد الرومان من دون جدوى . . فلم يجد مفراً من الانتحار .

3-الحرب البونية الثالثة (146-149) ق.م

رغم الخسارة الكبيرة التي خسرتها قرطاج في الحرب الثانية نلاحظ أنها حاولت عن طريق بناء اقتصادها اعادة العافية لمدنها المحيطة بالعاصمة قرطاج عند الساحل الافريقي . واستطاعت ذلك خلال ما يقرب من عشرين عاماً ، وهو ما أفقد صواب روما التي رفعت شعار (يجب محو قرطاج من الوجود) على اثر زيادة(كاتو) لقرطاج للفصل في منازعتها مع نوميديا فهاله ما رآه من حياة نشطة وأخشاب مكدّسة عند الموانئ فأدعى أن قرطاج ستبني اسطولاً بحرّياً جديداً ، وكان ملك نوميديا ماسينيا قد أشعل فتيل الأزمة عندما دخل طرابلس التابعة لقرطاج وهو يلاحق ثائراً ضده من دون أن يستأذن من قرطاج أو روما ، ومع ذلك جاء اللوم على قرطاج من قبل روما ، ثم طلبت روما أن يرحل القرطاجيون عن العاصمة مسافة عشرة أميال حتى يتسنى للرومان تدمير المدينة كلها .

فأدرك القرطاجيون أن روما تريد إبادتهم فأغلقوا أبواب مدينتهم واستعدوا للحصار والحرب وقاموا حصار الرومان ببسالة ثلاث سنوات متصلة شعر الرومان خلالها بالفشل ، فعينوا قائداً جديداً لقواتهم هو (اميليانوس) وطلبوا منه اقتحام قرطاج بأي ثمن ، وتمكن من ذلك عام 146 ثم قام بتدبيرها وأحراقها وباع سكانها كرقيق وزرع أرضها بالملح ثم وزعّت أرضها على الفلاحين الرومان ، وحولّت روما إقليم قرطاج إلى ولاية جديدة هي (أفريقيا) جعلت (أوتيكا) مقر حاكمها وتبعتها للحكم الروماني .

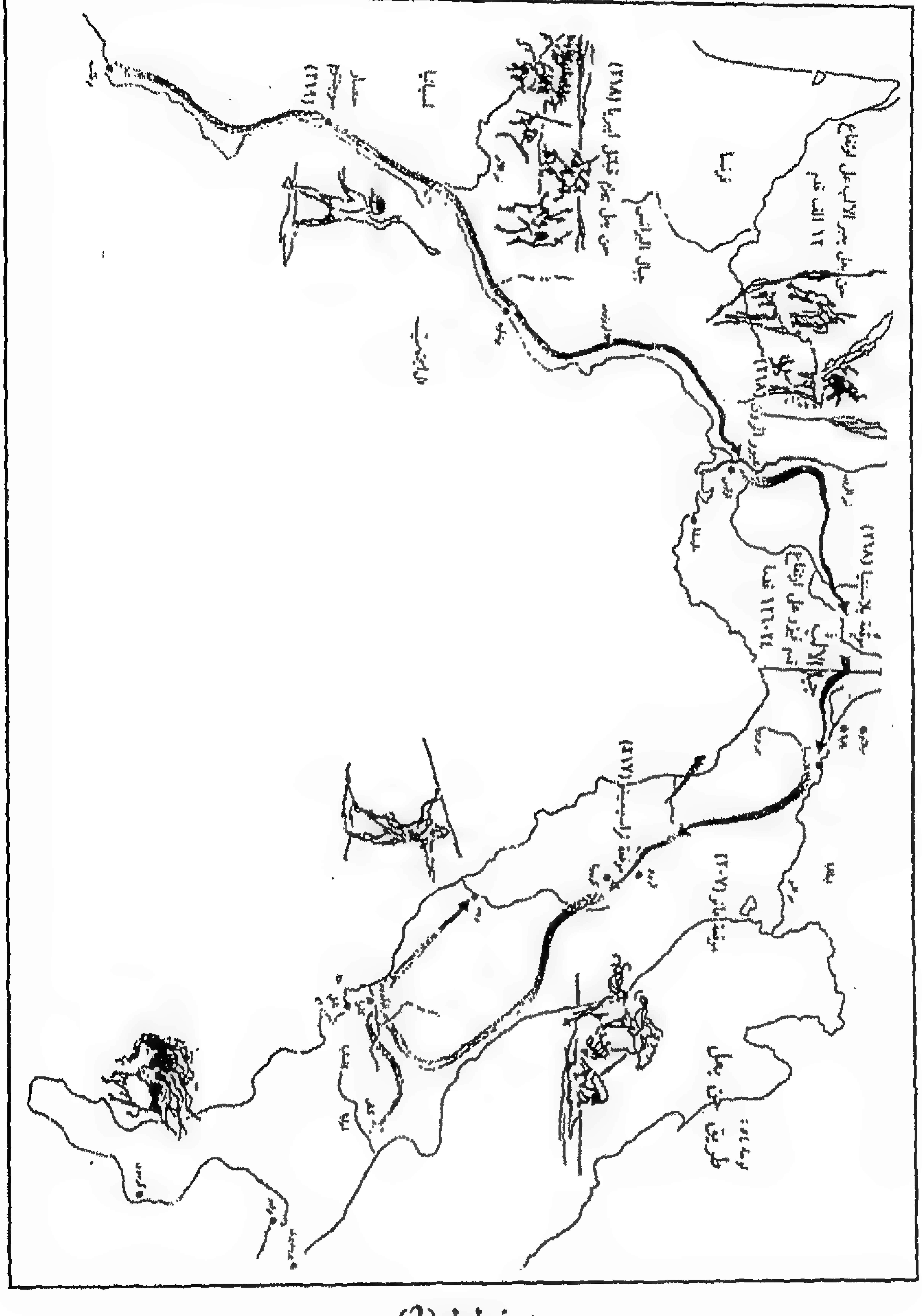

مخطط (2)

الحرب البونية الثانية وصعود هانيبال الى أوروبا ثم غزوه لايطاليا

الفصل الثاني

المثولوجيا الكنعانية

(دراسة في الآلهة والأساطير والرموز الكنعانية)

نضب الإله بعل من أوغاريت

رسم : فاروق كاظم

المبحث الأول

الآلهة الكنعانية

يضعنا موضوع الآلهة والاساطير الكنعانية في شبكة مركبة الطبقات من الآلهة وانصاف الآلهة والابطال والأساطير والحكايات والملاحم النازحة من عصور مختلفة لتاريخ الكنعانيين الطويل ومن بقاع مختلفة من الارض ، أو من الايكومين المتوسطي الذي يتشكل على وفق فسيفساء مثولوجية كنعانية ومصرية واغريقية ورومانية تلتمع فيها ألوان الثقافات والحضارات التي ظهرت في وحول حوض البحر المتوسط .

كما أن المشكلة الاخرى التي تصادفنا في معالجة المثولوجيا الكنعانية تكمن في تنوع وتباين مرجعياتها فهناك شذرات منها في العهد القديم وهناك مادونه الاغريق والرومان عن التراث الروحي الكنعاني وهناك المادة الاثارية لمدن الكنعانيين في صور وقبرص وقرطاج وغيرها . وأخيراً ذلك الكنز الاوغاريتي من الالواح الطينية الاشد عراقة وقدماً ، والذي بدأ بالظهور منذ عام 1929 على يد المنقبين والآثاريين .

كل هذه المرجعيات المتفاوتة في مستوى صدقها وأصالتها تزيد المشهد المثولوجي الكنعاني ضباباً والتباساً ، ولكنها من ناحية أخرى ، تعطينا انطباعاً قوياً بخصوبة وعظمة المثولوجيا الكنعانية .

إن الوسيلة الوحيدة لتفادي المشكلات السابقة هي في انتهاج طريقين : الأول هو تنظيم شجرة دقيقة محكمة لتسلسل انساب الآلهة الكنعانية ، والثاني هو الانطلاق أساسا من الالواح الاوغاريتية واعتبارها المرجع الأعرق والأشد اصالة للمثولوجيا الكنعانية ، لأنها تنقل لنا المشهد الروحي الكنعاني في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد بكل أمانة ودقة .

وسنعمل على انتهاج السبيلين وحرث الطريق الوعر والشائك في هذا الموضوع .

شجرة الآلهة الكنعانية

نفضل العودة الى كتابنا (الآلهة الكنعانية) الذي فصلنا فيه الحديث عن الآلهة الكنعانية واجيالها، والذي طرحنا فيه رأيا جديداً في أصل الآلهة الكنعانية وضبطنا جدول انسابها اللاحقة، ورغم أننا سنجري هنا تعديلاً جديداً وهو إضافة آلهة جديدة سواء في بدايتها مثل (أ ش، دامور، حلكارت)، أو في وسطها في جيل ايل وحيل بعل أو في نهايتها عندما يتحد بعل مع حدد وتظهر عناة بصيغة عرجاتس الارامية ومعهما ابنهما (سيميوس).

تتكون شجرة أنساب الآلهة الكنعانية (مخطط 2) من أربعة أجيال كبرى، يحتوي كل جيل على مجموعة من الآلهة وهي كما يلي:

1-جيل الآلهة القديمة:

لقد سجلنا تحفظنا المطلق على جدول انساب الآلهة الكنعانية الذي وضعه الكاهن الكنعاني الاغريقي (ستخونتين) ثم (فيلون الجبيلي)، واعتباره مربكاً ومشوساً وموضوعاً لصالح الثيولوجيا الهيلينية ثم لصالح مدينة بيروت ورفع شأن آلهتها كما حصل مع فيلون الجبيلي، الذي كان من أبناء هذه المدينة.

وقد ثبتنا اعتراضنا تفصيليا على اعتبار الإله (عليون) والآلهة (بيروت) فآلهة أب وأم لكل الآلهة الكنعانية (أنظر الماجدي 1999 أ: 30-39).

هناك اشارات اركيولوجية كثيرة تأتينا من العصور الحجرية الوسيطة والحديثة والمعدنية (الميزوليت والينوليت والكاكوليت) في بلاد الشام وتعطينا فكرة عن وجود الالهة الأم التي سبقت اكتشاف الزراعة بقليل (في الميزوليت)، ومع اكتشاف الزراعة (في الينوليت) ومع اكتشاف المعادن (في الفالكوليت) .

وتتمثل هذه الاشارات بظهور تماثيل الالهة الأم التي هي الهة محلية في بلاد الشام سبقت مجيء الكنعانيين الى البلاد وعبدها سكان بلاد الشام الاصليين الذين نجهل عنهم كل شيء تقريباً.

لقد ظهرت الاقوام الكبارية والنطوفية في بلاد الشام خلال فترة العصر الحجري الوسيط - الميزوليت -(000n17 -000n8) ق.م ورافق ذلك ظهور بعض التماثيل الآدمية

والحيوانية التي تعبر عن مقدسات العبادة آنذاك مثل تلك التماثيل النطوفية التي عثر عليها في عين الملاحة وعين صخري ومغارة الواد(أنظر كوفان 35 :1988) ، وتوحي لنا هذه التماثيل باشكال بشرية ذات طبيعة غامضة ، بينما يعطينا تمثال (العاشقين) من عين صخري فكرة عن الصورة الهيولية الأولى للجنس ، باعتباره طاقة مخصبة ، فهو يمثل ببراعة نادرة عناقاً جنسياً لذكر وانثى لعلهما اولى الالهة في بلاد الشام وهي في طور تناسلها (الشكل 4) .

شكل (4)
العاشقان (دمية من عين صخري)
العصر النطوفي 9000 ق.م
لعلها تمثل اول الالهة المتناسلة.

أما النيوليت الشامي (8500-4500) ق .م فقد اعطانا الواناً جديدة للإلهة الأم ، فهناك الإلهة الأم الافعوانية الشكل كما هي تماثيل المنحطة والدمى الجالسة من البيضا وتماثيل

الالهة الأم في تل المريبط والمنحطة وشاروهان ، ثم ظهور ذلك الشكل الغريب للالهة الأم التي عرفت بـ(الأم الرهيبة Mere terrible) في المنحطة حيث ظهرت الإلهة الأم بصورة مركبة تحتوي على الانثى والحيوان والافعى والشكل الشيطاني الغريب وربما الذكورة التي جعلتها تبدو وكأنها حاوية على قوى الطبيعة كلها . وكذلك تظهر الإلهة الخنثى الافعوانية الشكل من تل الرمد في سوريا .

(1)
الإلهة الأم . تل الرمريبط 8000ق .م .

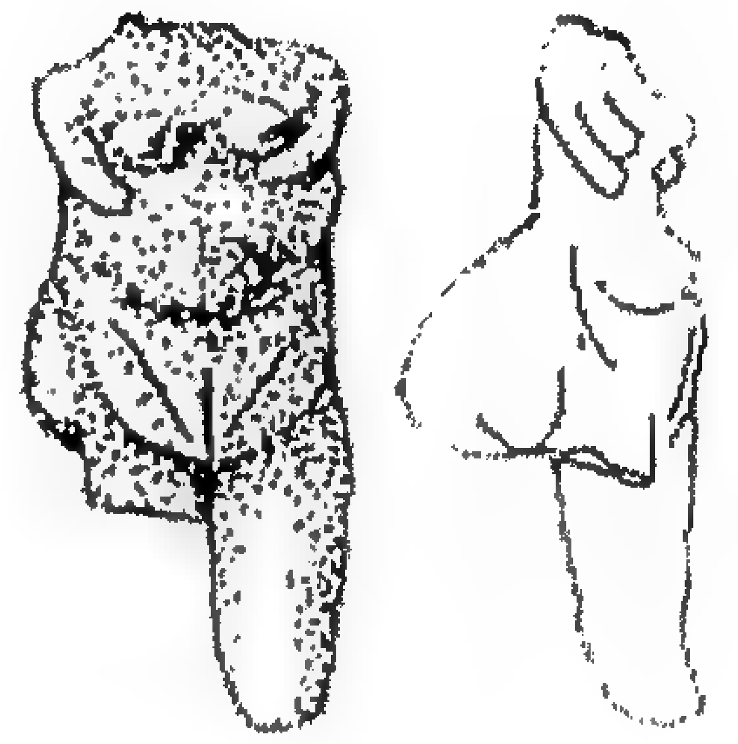

(2)
الإلهة الأم . الخنثى/ تل الرمد 6000ق .م .

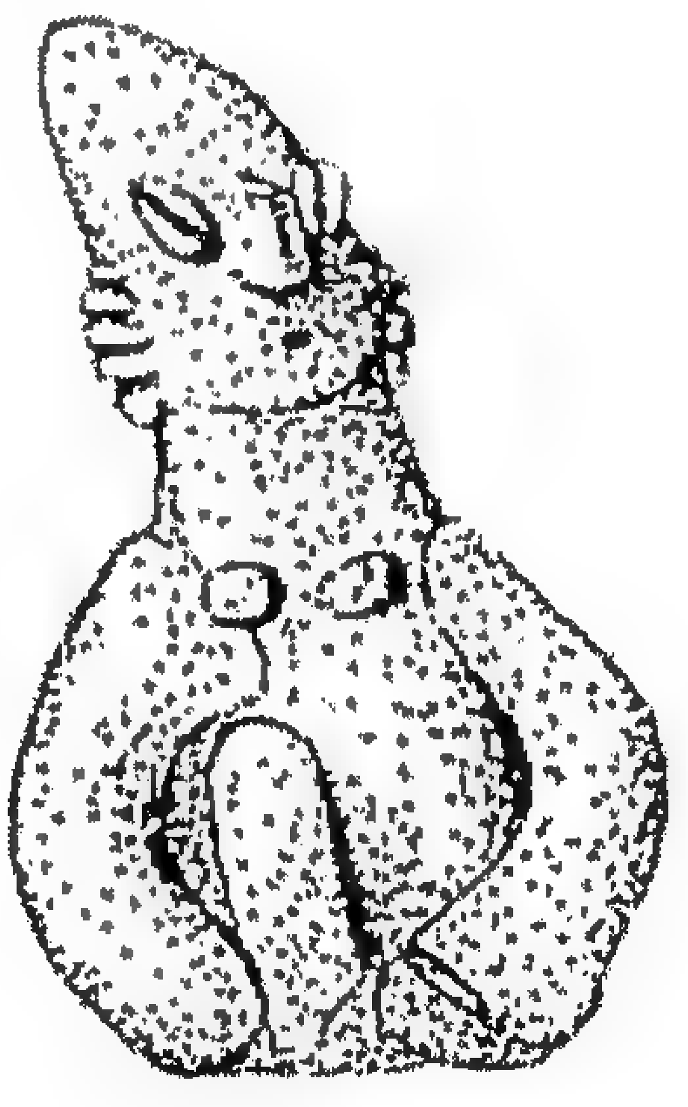

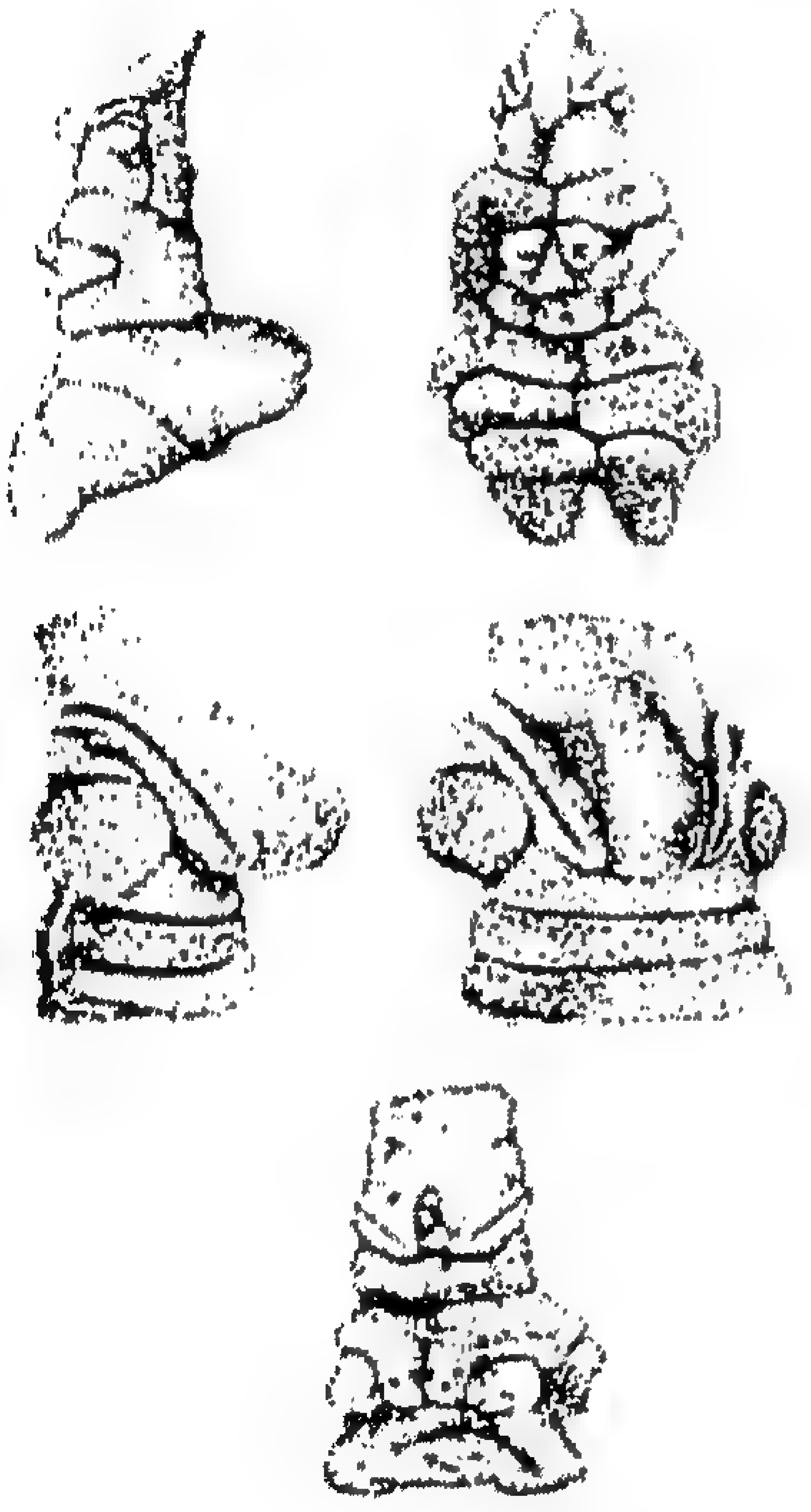

(3)
الإلهة الأم الرهيبة/ منطقة المنحطة 5000ق .م .

شكل (5)

تماثيل الألهة الام في بلاد الشام، العصر الحجري الحديث (النيوليت).

أما الكالكوليت في طوره النحاسي من (4000-3200) ق.م ، فقد أ انطباعاً قوياً بحصول الانقلاب الذكوري وتهميش الالهة الأم وتحولها الى ما يشبه الرمز الذي يظهر واضحاً في جداريته قليلات الغسول الاردنية المسماة (نجمة الغسول) والتي ربما جمعت في رمزيتها هذه كل الكواكب سواء كانت انثوية أم ذكرية . (انظر الماجدي 98-97:1997) .شكل (3) .

شكل (6)

نجمة الغسول المرسومة على جدار في حدود الألف الخامس ق.م. وهي نجمة ثمانية ويداخلها نجمة ثمانية تضم نجمة ثمانية ثالثة وترمز النجمة الثمانية لفكرة الإله تليلات الغول الأردن

رغم ذلك أحيا ظهور الكنعانيين في بلاد الشام اتباع الآلهة الأم القديمة ، ولكن الاختلاف ظهر حول هوية هذه الإلهة وطبيعتها .

يضللنا فيلون الجبيلي عندما يضع على رأس شجرة الآلهة الكنعانية ، الإله الذكر عليون Eylon أو اليون Elioun ، كإله أول وكزوج للإلهة بارات أو بيروت ؛ لأن هذه المدينة هي مدينته فكان لا بد من رفعها الى مستوى الأم الأولى ، أما عليون فهو الإله الذي يذكره العهد القديم ونصوص رأس شمرا وتدوينات أخرى .

لقد أهمل العلماء المختصون مناقشة هذا الموضوع وملاحظة الالتباس والخطأ الذي تصدر عنه بداية الآلهة الكنعانية واستسلموا دون مناقشة لرواية فيلون الجبيلي ، ولذلك نرى هنا ضرورة مراجعة هذا الأمر الذي سيصحح لنا مسار فهمنا الكامل للدين الكنعاني كله .

ولكي نساهم مساهمة متواضعة في هذا الموضوع فإننا سنقدم مقترحاً استنتاجياً يمكن أن يكون بديلاً معقولاً عن ذلك الارباك الذي وضعه فيلون الجبيلي ، ويكمن مفتاح هذا الحل في المثولوجيا الرافدينية وبمساعدة قوائم اسماء الآلهة الاوغاريتية .

تمنحنا قوائم اسماء الآلهة التي عثر عليها في اوغاريت والتي تحمل اسماء أكدية (بابلية) واسماء اوغاريتية ، تمنحنا هذه القوائم تقابلات بين الآلهة الاكدية والآلهة الاوغاريتية ، فعلى سبيل المثال يرد اسم الالهة (تامونو) أي (تيامت) الواردة باللغة الاكدية ويقابلها اسم الإله (يمو) في الاوغاريتية (أنظر شيفمان 76 :1988) .

لكننا عندما نرجع الى الاساطير الكنعانية نجد أن اسم الإله (يمو) او (يم) مندرجاً في اسفل سلم الآلهة . وتظهره اسطورة صراعه مع الإله بعل على أنه إله مندحر يقوم بعل بالانتصار عليه ليصبح بعل بعد ذلك (ملك الآلهة) ، وتذكرنا هذه الحادثة بانتصار مردوخ (الذي يسمى بل أيضا) على الالهة تيامت فيصبح بعدها (ملك الالهة) .

إن هذه المقارنة بين (تيامت) و(يم) صحيحة جداً تدعونا لاستنتاج جديد وهو ان (يم) او (يمو) هو الإلهة الام عند الكنعانيين وهو ليس بإله ذكر . لكن الانقلاب الذكوري من ناحية ، ومحاولة المحو المتعمد لاصول الالهة الكنعانية من ناحية أخرى انزلت هذا الإله من مرتبة الإلهة الأم وتحويله الى إله مهزوم يعبر عن البحر ولا يعبر عن شيء آخر .

إن الاله (يم) الذي يعبر عن المياه الهيولية الأولى وعن مياه البحار والمحيطات موجود كإسم في ثنايا اسم (تاموتو) او (تيامت) وهو أيضا في صيغة (يمو) يقترب من الإلهه السومرية الأم الأولى (تمو) في صيغة (يمو) يقترب من الإلهة السومرية الأم الأولى (تمو)

ولذلك أرى أن هذا الإله كان في أصله إلهة أنثى معبرة عن الإلهه الكنعانية الأم الأولى التي اصبحت إلها ذكراً مع تصاعد حمى الانقلاب الذكوري وانزلت الى إله ذكر مغلوب وهامشي .

وفي تقليبنا وبحثنا في الاسماء الاوغاريتية وجدنا اسم (ثمتم Themtm) الذي يشير الى المحيطين السماوي والارضي وهما في حالة اندماج وهذا المحيط المزدوج هو الذي نلمحه عند آفاق البحر المترامية حين تتحد مياه البحر بحدود السماء في خط واحد متصل يكاد يكون على شكل دائرة كونية (اذ كنا في وسط البحر) .

ونرى أن هذا المحيط السماوي البحري هو الذي خرج من الإلهة الأم الأولى (يمو) وهو يقابل محيط السماء والارض السومري المزدوج (أن- كي) الذي خرج من (نمو) الإله السومرية الام .

وهكذا انفصل هذا المحيط بعد ذلك الى إلهين ، هما عبارة عن محيطين منفصلين عن بعضهما (شم أو ثم وهو محيط السماء) و (تم أو دم وهو محيط الارض) .

ومن كل منهما نشأ اله السماء (شميم او شاميما) من المحيط السماوي (شم أو ثم) والهته الارض (أديم او أدمة) التي يمكن أن يكون قد استعمل لها مرادف آخر هو (ارسو) ، الذي يعني الارض او إلهة الارض .

ومن تزاوج إله السماء (شهيم) مع آلهة الأرض(أدمة) يظهر الإله (إيل) واخوته من الآلهة الاخرى .

وبذلك ينهار البناء الذي صممه ، بشكل متعسف ، فيلون الجبيلي والذي ألغى فيه الآلهة الأم واستبدلها بإلهة محلية ثم صاغ الهة السماء والارض صياغة اغريقية .

وبذلك أيضا نكون قد وفقنا الى وضع انساب الآلهة القديمة التي سبقت ايل ، ولكي نرى بصورة أوضح ما افترضناه نضع الجدول الآتي ، الذي يقارن بين جدول فيلون الجبيلي ومقترضا الجديد :

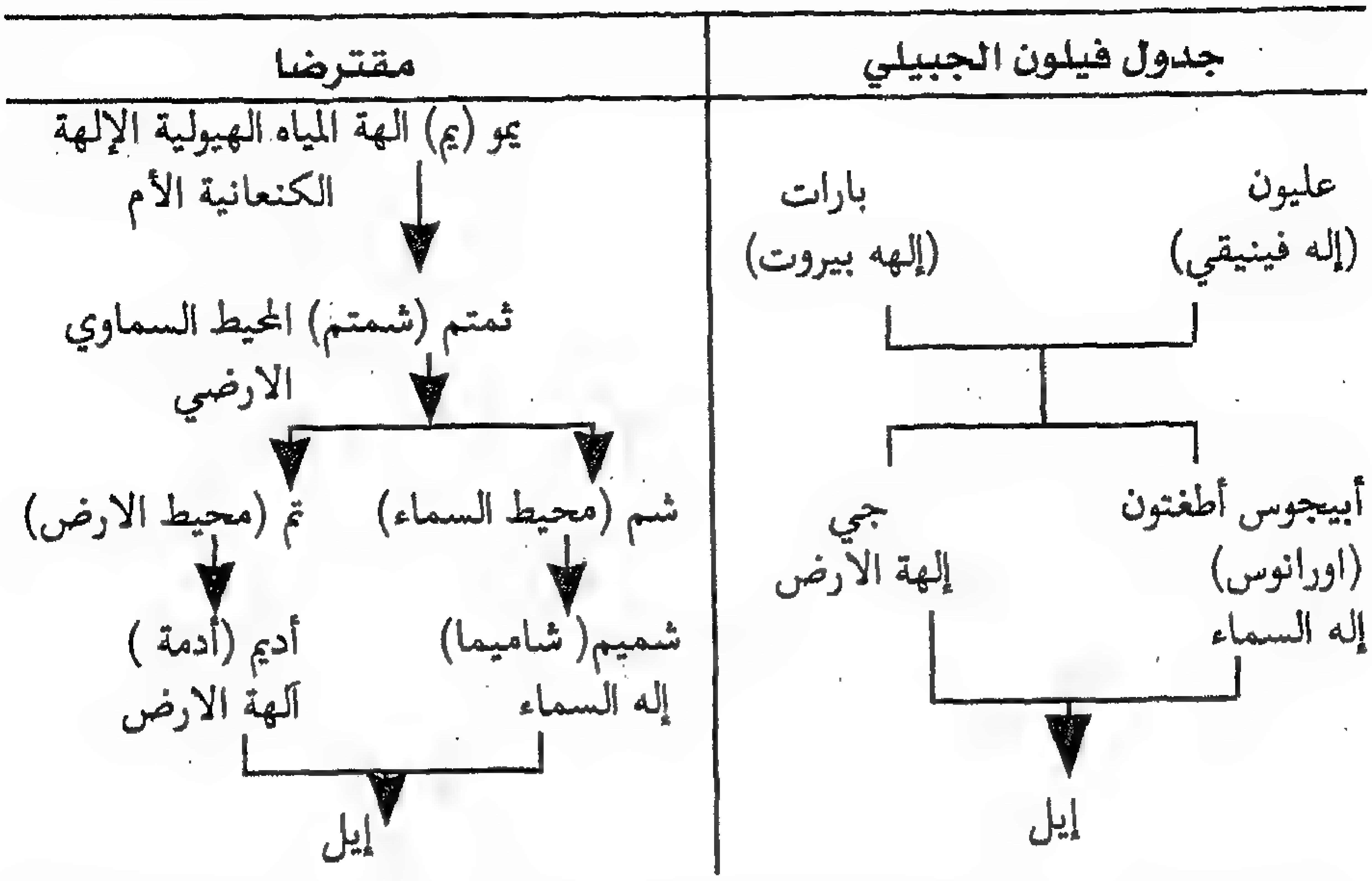

يفتح لنا هذا المقترح المجال واسعاً لتصور آلهة كنعانية اصيلة وحقيقية نابعة من أرض وطبيعة كنعان نفسها تناسب الخلق الأول والتكوين الاول . . ولذلك ازحنا من شجرة الانساب التي وضعناها للالهة الكنعانية مخطط فيلون الجبيلي واعتبرناه مقحماً اضافة الى الاخطاء والارباكات الكبيرة التي حفل بها مخططه لانساب الالهة الكنعانية والتي لا محال للرد عليها هنا وهي واضحة ، على أية حال ، لكل مهتم بهذا الموضوع .

وهكذا صار بامكاننا وضع شجرة انساب الالهة الكنعانية باصول واضحة لا لبس فيها بل أن هذه الاصول ستعدل مجمل سياق هذه الشجرة بل وتعدل اساطير الالهة الواردة فيها كما سنرى (أنظر شجرة انساب الآلهة الكنعانية) .

2-آلهة الكون (العناصر الاربعة)

تضم هذه الطبقة من الآلهة مجموعة الآلهة الآباء والآلهة الامهات الكبار ، وهؤلاء الالهة نتاج تزاوج السماء والارض فهم يمثلون مظاهر الطبيعة والكون في أعظم اشكالها ، وإذا نظرنا بعمق الى جوهرهم فستجدهم يكونون عناصرها الطبيعية الأربعة (النار ، التراب ، الهواء ، الماء) ولو عدنا الى شجرة الآلهة الاغريقية التي نرجح أن تكون قد أخذت حرفيا من شجرة الآلهة الكنعانية ذات يوم كما يؤيد ذلك فيلون الجبيلي وسانخونتين . إذا عدنا لهذه

مخطط رقم (3)

شجرة أنساب الآلهة الكنعانية

وضع التصميم : د. خزعل الماجدي

انظر صفحة (307) في آخر الكتاب.

الشجرة فسنجد أن ما يقابل هذا الجيل عند الاغريق هو ذلك العدد الهائل من الآلهة الكونية القديمة والتي تتكون من الجبابرة والعمالقة والصقالبة (من السيكلوب ذات العين الواحدة) والعمالقة الجدد من دم اورانوس والصقالبة الاورانيون وغسل الإله بونتوس (الموج البحري) ونسل طيفون .

هذه الانواع الإلهية السبعة التي خرجت من تزاوج الأرض والسماء ، أو من السماء لوحدها أو من الأرض لوحدها يمكن أن تهدينا الى رتق ماضاع من الآلهة الكنعانية في هذه الطبقة ورغم ان الآلهة الاغريقية ما قبل الاولمبية Pre-olympeic تعج بعشرات الالهة المشوهة الخلق والتي لم تأخذ بعد الشكل الإلهي المستقر الذي يشبه الانسان ، لكن هذه الآلهة تمثل الخليقة الكونية ومظاهرها بعد ظهور الارض والسماء .

تقع كل هذه الآلهة بين مستويين هما : السماء والارض ويمثلها في الكنعانية (شميم وأديم) وفي الاغريقية (اورانوس وجيا) والمستوى الآخر هو جيل المطر والخصوبة ويمثلها في الكنعانية (بعل وعناة) وفي الاغريقية (زيوس وهيرا) .

بين هذين المستويين تظهر الآلهة الكنعانية الآتية :

أ- آلهة الهواء والنار: وهم نسل الإله (عوص) أو (أوسوس) وأصله (أش) أي النار ، وهو أخ إله السماء شميم حيث ظهر منه الإله (دامور) الذي هو الإله (ذ .مر) أو (دمناروس) إله الأموريين وهو إله الهواء القديم والإله الآخر الذي يتوّحد به عوص هو الإله ملقارت أو ملقارت وهو نظير هرقل الاغريقي اله النار واله مدنية صور وقرطاج .

ب-إلهة الماء والتراب وينقسمون الى قسمين :

1-نسل الآلهة الذكور المولودين من تزاوج السماء والارض :

كل هؤلاء الآلهة يمثلون المياه بمختلف اشكالها :

إيل : الإله الأب يمثل المطر .

بيتيل : وهو إله يمثل مكان إيل في المياه عند منبع النهرين

عتل(اطلس) : وهو إله البحر والملاحة

عاي(ايا) : وهو إله المياه البابلي الذي صار اليه مدينة عاي الكنعانية

داجون : إله الجنوب والمطر والأسماك واحياناً يوصف كأله للطقس .

سيتون(صيد) : إله الصيد البحري والبري .

2-**نسل الآلهة الإناث المولودات** من تزاوج السماء والأرض وكلهن يعبرن عن الأرض (التراب) ، وهن أخوات الالهة عشيرة (عشتارة) ، ريا (رحيا) ، بعلتيس ، انوبرت) .

جـ- انصاف الآلهة: من الحكماء أو العماليق الذين ظهروا مباشرة بعد خلق الأرض والسماء وهم الذين علموا الانسان نواميس الحضارة وتختلف الروايات في ذكر عددهم فهم يتراوحون بين (12-7) مثل (فوس= الضوء ، فير= النار ، فلوكس = الشعلة ، هيفسورانيوس =الواح القصب ، صيد= الصيد ربما هو نفسه سيتون ، خوسور=الحديد والصناعة وهو الإله كوثر ، تؤوتوس=الكتابة . . الخ) .

وعند مقارنة هؤلاء بالحكماء السومريين الخارجين من المياه اتباع (إيا) يمكننا أن نطلق على هؤلاء (الألكالو الكنعانيون) اي الحكماء الكنعانيين .

د-التنين تيفون: وهو (يطفن) في الأساطير الكنعانية ويكون على شكل ثعبان كبير يصارع الإله ملكارت . .كما صارع تيفون هرقل .

هـ-الانسان : وهو الكائن الذي ظهر بعد خلق السماء والأرض مطابقاً لهما في صورة ذكر وانثى هما (شمم وادمه) ثم (أدم وأدمة) وربما (آدم وحواء) واكتمل نسلهما بسلالة بشرية متتابعة .

3-جيل إيل:

يستمر النسق الالهي من خلال جيل إيل وتحديداً من خلال الألهين (إيل وعشيرة) باعتبارهما مركز الثقل في هذا الجيل ويصبح الأله (إيل) أب الالهة والبشر ويستوي على كل شيء حتى على ماضي آبائه واجداده من الآلهة وربما كان كهنة إيل وراء حذف وتشويه سلالة الآلهة ما قبل إيل .

ويتزوج الاله ايل عشيرة بشكل خاص رغم أن له علاقات جنسية واسعة من اخواتها . ورغم أن اخوته الذكور هم أزواج لهن ، ولكن هذه الحقائق تطمس احتفاء بذكورية وبطولة إيل .

وتعتبر الإلهة عشيرة الزوجة الرسمية للإله ايل وهي الإلهة الأم الجديدة وتلقب (ايلات) على ضوء اسم زوجها إيل وتنجب منه نسل سبعون إلها هم آلهة الجيل القادم الذي يضم بالدرجة الاساس(بعل وعناة) .

ويضم جيل الالهات ايضاً الالهات اللائي يرتبطن مع الإله إيل بعلاقة جنسية وينجبن منه مجموعة كبيرة من الآلهة الغريبة .

فالإلهة (عشتارة) أو (عشترون) تمثل الهة الحب والجمال وتأخذ دور الإلهة العذراء لكنها تنجب من إيل سبع إلهات إضافة الى انجاب عشيرة وعشترون من إيل عن طريق التقبيل الإلهين (شهار وشاليم) .

أما الإلهة (ريا) التي تأخذ موقعاً مركزياً في الآلهة الاغريقية فهي زوجة (كروزس) مقابل (إيل) أي أن مكانها هو مكان عشيرة هذه الإلهة تنجب سبع أبناء منهم الإله (موت) .

أما الإلهة (بعلتيس) وتسمى (ديوني) فإنها تنجب سبع بنات أيضاً .

وتنجب الحورية (أنويرت) من الإله إيل سبع أبناء منهم الإله جنود (إله الأضاحي) .

وبذلك يكون عدد أبناء الإله (ايل) مائة إله بالضبط .

4-جيل بعل

وهو الجيل المقابل للإلهين الاغريقيين (زوس) و(هيرا) ويسمى عند الاغريق بـ (الكرونيديون) نسبة الي كرونوس ويمكن أن نسميه عند الكنعانيين بـ(الإيليين) ، نسبة الى الإله ايل فهم جميعاً أبناء الإله إيل .

ويمثل الأله بعل (ملك الآلهة) لأنه مثل (مردوخ) ينتصر على قوى الهيولي المائية الاولى ممثلة بـ(يمو) ثم يبني بيته وعرشه ويحكم الكون . ويتخذ له رفيقة أساسية هي (عناة) .

ويشمل جيل الإله بعل من الذكور والاناث على ما يأتي :

أ-آلهة الكواكب : وهم آلهة الشمس والقمر والزهرة ، ويمثل القمر الإله (يرح) وهو (باريشي) إله اريحا الذي يتزوج نيكال إلهة القمر . أما الشمس فيمثلها الألع شغش أو شبش ، وإلها الزهرة هما من تزاوج الإله ايل مع الألهتين عشيرة وعشتار عن طريق التقبيل وهما شاليم نجم المساء وإله اورشليم والإله شهار نجم الصباح .

ب- آلهة الحرب والنار والشفاء : وهم الآلهة حرون ، إله الحرب والحرارة واشمون إله النار والطب في صيدا وشررافا إله الشفاء زوج الآلهة شديد .

ج-آلهة الخصب وهما الإلهان أدونيس إله جبيل الذي يرتبط بقصة مأساوية مع عشترون (عستارت) إلهة الحب والجمال . والإله شان ، إله الحقول ، وهو إله مدينة بيسان (بيت شان) .

د-إلهات الحب والولادة والشفاء والجبل وهي الألهات عستارت (عشترتا) ، التي هي شكل من اشكال الآلهة التي كانت في الجيل السابق (عشترون) والإلهة نيكال الهة القمر وهي إلهة سومرية ، والإله قادش المقدس أو المطهرة والإلهة عجالين ملكة الجيل الهة مدينة عجلون ، والإلهة بارات إلهة مدينة بيروت ، والإلهة سديد زوجة شدرافا إلهة الطب ، والإلهات كوثرات الهات الحمل والولادة .

وينتمي لهذا الجيل أيضاً الهة والهات من نسل ايل مع أخوات عشيرة مثل التيتانات السبع من عشتارة والآلهة الكروبيم السبعة ، ومنهم موت من ريا (رحيا) ، والإلهات السبع من بغليتيس (ديوني) ، والإله وحيد (جنود) من الحورية انوبرت .

5-البعول: أشكال وأبناء بعل

بعد انتصار بعل وسيادته التدريجية على مقدرات الكون بدلاً من إيل اصبحت مظاهر الكون كلها بعلية وتحول المدن والاماكن كلها ، لصالح بعل . . . بل ارتد ذلك الى الآلهة القديمة واصبح شميم إله السماء هو بعل شميم او بعل شماين وهكذا اصبح كل شيء اما شكلاً من اشكال بعل او ابناً له .

لكننا استطعنا أن نرصد بعض الآلهة البعلية المذكورة في الألواح والأساطير وقمنا بتصنيفها الى البعول التالية :

أ- بعول المدن والأماكن: ومنها بعل بقاع (بعلبك) ، بعل كرم اللوز(كرمل) ، بعل دوليخ ، الذي كان يسميه الرومان جوبيتر دوليخوس ، بعل صفون وهو بعل جبل صفون ونرى أنه الإله بعل الحقيقي ، لأن مقر سكنه الدائم هو جبل صفون ، حيث بنى بيته هناك ويسمى هذا البعل أيضاً بعل الشمال .

وبعل صور وبعل معدن وبعل دمشق التي ربما كانت آلهة غير بعلية لكن استعمال كلمة بعل هنا بمعنى (رب) مثل بعل دمشق الذي هو (رامان) ، وهو إله آرامي وليس كنعاني .

ب- بعول الصفات: ومنها بعل أدير او القدير ، وبعل قرنيم ، أي : ذو القرنين وهي صفة اطلقت على بعل حمون القرطاجي ، وبعل مرقد(الرقص) ، وبعل بريت (المواثين) وبعل بور (فاعز الفم) المؤابي ، وبعل زبوت وهو إله الذباب والأمراض .

جـ- بعول الحضارة (الصناعة) : واغلبها آلهة تابعة للأله بعل وتعمل بمثابة الخدم له : كوثر وحاسيس وهما إلها الفنون والحرف ، وإلش منزل المطر وهو بخار بعل ، وجفن أو جوبان وهو إله الكروم ورسول بعل وأوجار وهو إله الارض الزراعية رسول بعل ورب مدينة أوجاريت والإله عليون الذي ارتبط اسمه بالحدادة ، رغم أن عليون كان أحد اسماء إيل ، وهو الإله الذي رفع الى مستوى إله خالق وارتبط بالإلهة بيروت عند فيلون الجبيلي .

د- بعول الكواكب : مثل عجل بعل إله القمر وملك بعل إله الشمس .

هـ- الابن الوريث لبعل وهو عاليان أو عليان وهو الذي يذكر وكأنه بعل حيث تتحدث الأساطير عنه كما تتحدث عن بعل ، وقد يذكر اسم بعل على هيئة : بعل عليان ، ولذلك علينا أن نعده إله الطقس الجديد ابن بعل ووريثه .

و- بعول النار وهم الإله رشف والإله حموت إله المباخر الذي صار يطلق عليه في شمال افريقيا بعل حمون زوج تانيت ، والإله بعل حارات إله النار .

ز- الثالوث الأول لبنات بعل : وهن الإلهات اللائي ارتبطن بالزراعة البعلية (المطرية) ويمثلن مظاهرها مثل الألهة (إناتا) إلهة المحاصيل وتوصف بأنها الإلهة العذراء وربما كانت وريثة عناة (أنات) وهي أساس اشتقاق اسم تانيت .

ح- الثالوث الثاني لبنات بعل : وهن الإلهات اللائي ارتبطن بمظاهر الكون الكبرى مثل أرصاي الهة الارض ، وبدراي إلهة البدر أو القمر وطلاي إلهة الندى أو الطل الذي يسقط فجراً على النباتات في الصيف .

6-الثالوث الكنعاني الآرامي

ظل الإله بعل يلعب الدور الأساس في المثولوجيا ولكنه تنشط أكثر عندما ارتبط بنظيره الآرامي (حدد) ، إله الطقس عند الآراميين ولا شك أن هذا حصل مع أفول الكنعانيين في الشام وظهور الآراميين كقوة سياسية وحضارية جديدة .

ثم ظهر ثالوث جديد من الإله الابن (سميوس) الذي انشطر الى مظهرين : الأول ذكري كان يمثله إله البحر (سيميون) الذي لقب اختصاراً (سوما)والثاني انثوي الذي كانت تمثله آلهة الحمام (سميرنا) التي لقبت اختصاراً (سيما) .

وكان الثالوث الأول الارضية الروحية والفكرية التي ترسخت عليها المسيحية في ثالوثها المعروف(الأب والابن والروح القدس) حيث كانت الروح القدس هي الأن قبل ذلك .

وهكذا التقت نهاية الشجرة الكنعانية بنهاية الشجرة الآرامية واندمجتا ، ثم احاطت اندامجهما عناصر هيلنستية وورومانية ثم مسيحية .

●●●

إن شجرة الآلهة الكنعانية المكونة من الطبقات أو الاجيال الستة تعطينا انطباعاً قوياً عن ذلك الايقاع التطوري الذي مرت به الحياة الروحية الكنعانية من التوحيد الى التفريد الى التعدد وهو ايقاع نابض بالحياة يعكس بيئة وحياة وطبيعة الكنعانيين أو الفينيقيين .

ظهر من الاتصال الآلهة الكنعانية مع الآلهه الارامية في جيل البعول وفي نهاية شجرتي الآلهة الكنعانية والآرامية صورة جديدة للإله بعل تمثل اندماج إله الطقس

الكنعاني بعل مع إله الطقس الآرامي (حدد) في صيغة بعل حدد الذي أصبح يلخص إله الطقس الشامي أو السوري بشكل عام .

كذلك اندمجت الإلهة الآرامية (عتر) مع الإلهة الكنعانية (عناة) في صورة واحدة نتج عنها ظهور الإلهة الجديدة (عتر عناة) في صورة واحدة نتج عنها ظهور الإلهة الجديدة (عتر عناة) التي أصبحت (عترغات) والتي تحولت نهائياً الى (عتر غاتس) أو (اترغاتس) وهي الإلهة الشامية أو السورية الأم إلهة السمك والقمح .

ثم تكون ثالوث الهي يتكون من الأب والأم والابن ، وهم بعل حدد واترغاتس وسيميوس ، الذي أصبح الثالوث الآرامي الهيلنستي عندما تطابق بعل حدد مع زوس واترغاتس مع هيرا وسميوس مع ميركوري (هرمس) الرسول .

المبحث الثاني

الرموز الدينية الكنعانية Typology

كانت قوة الإله تكمن في رموزه ، ولذلك كانت الرموز الدينية اشارة الى القوة الدينية

1-رموز الفينيق:

(النخلة والطير)

تشير رموز الفينيق (كما تحدثنا عنها في المبحث الأول) الى الانبعاث من الموت ، وكانت النخلة بثمرها وطلعها تشير الى الفينيق أيضاً . لكن الفينيق تركز أكثر في الطير المجنح ، الذي ينبعث من رماده ، والذي كان يأخذ احياناً شكل امرأة مجنحة .

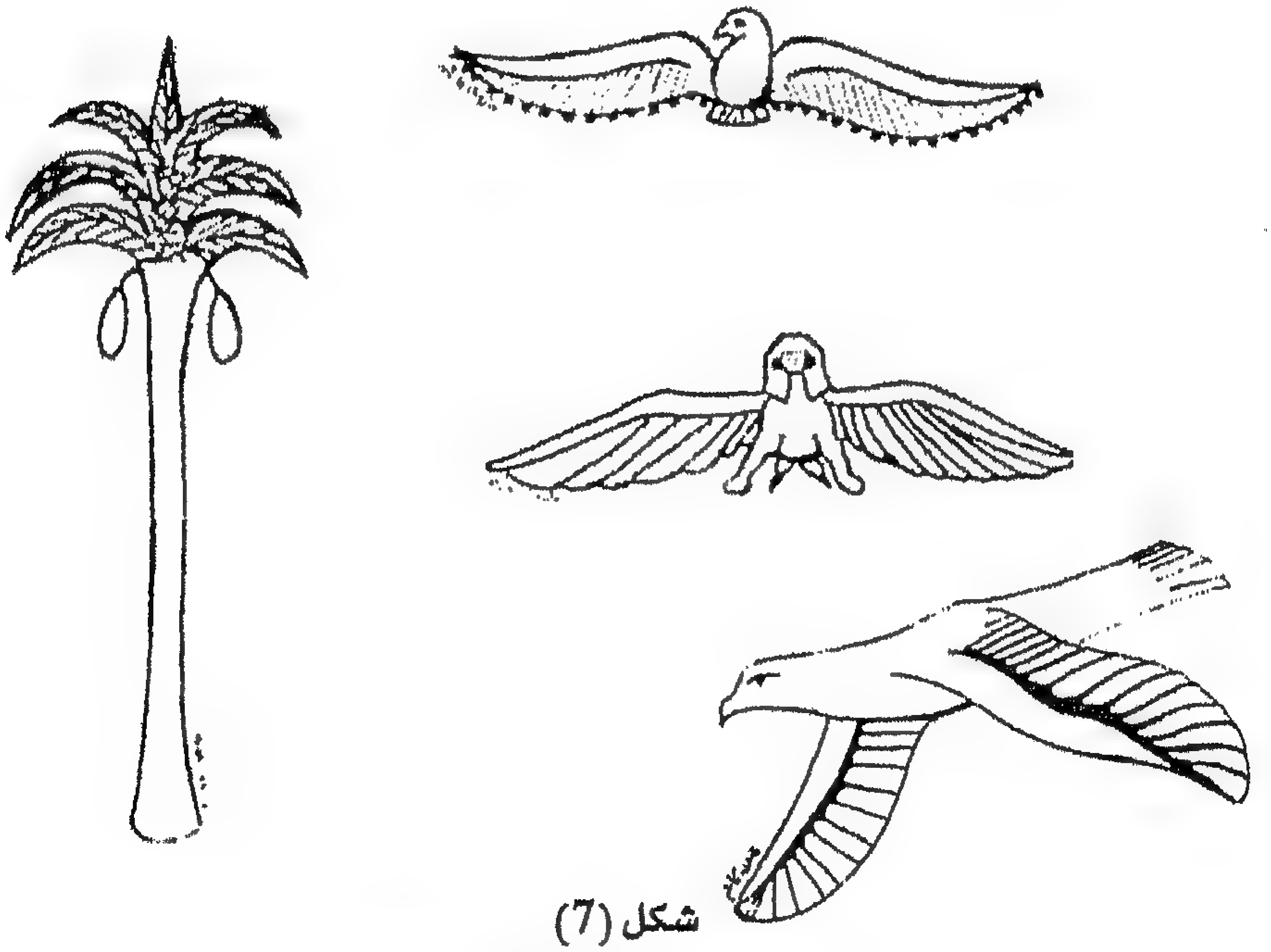

شكل (7)

رموز الفينيق . رسم فاروق كاظم

أ- طائر الفينيق بشكلية الحيواني والانساني ب- نخلة الفينيق.

2-رموز إيل:

كانت الخوذة المتمرنة التي تشبه بنات الذرة رمزاً اساسياً للإله إيل فقد كانت تتكون من كوزين يشبهان اكواز الذرة ويبرز من مقدمتهما قرنان يدلان على . الملوكية أو الالوهية (شكل 8 أ) . وكان قرص الشمس المجنح رمزاً آخر من رموز الإله إيل حيث يظهر دائماً أعلى نقش صورته (شكل 8ب) ومن رموز ايل الأخرى القوس الحاد ، والسهام الملتهبة .

شكل (8)

رموز بايل، رسم (فاروق كاظم)

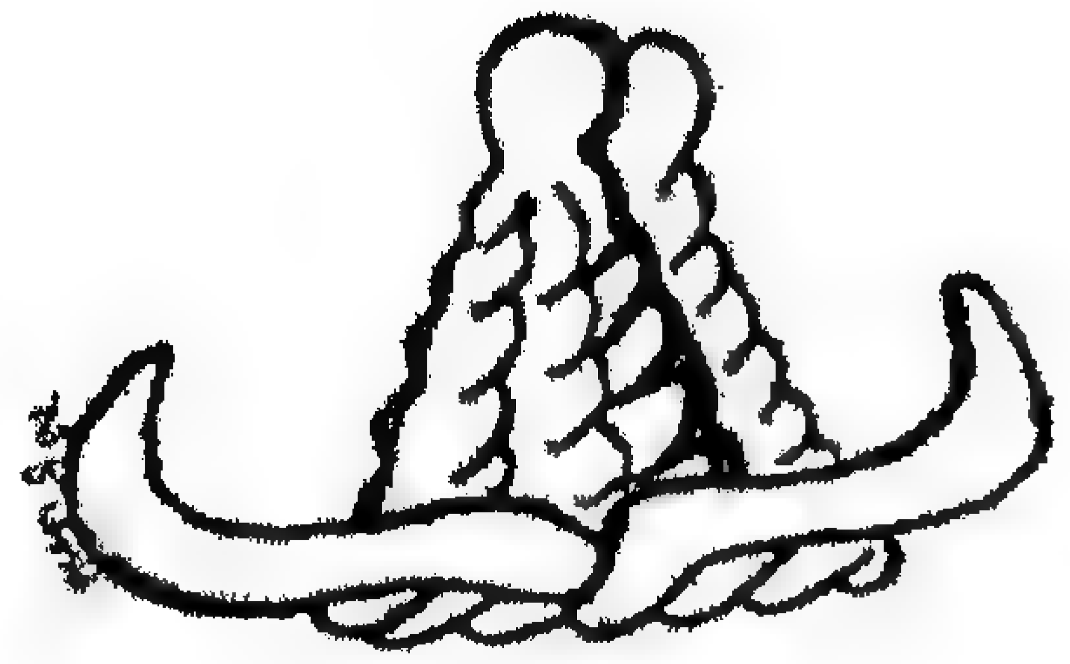

أ. التاج المقرت لأيل

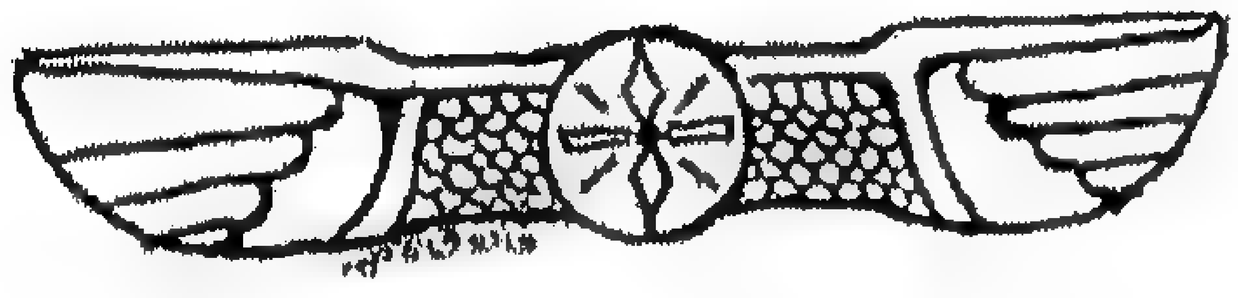

ب-قرص الشمس المجنح :

حيث يظهر القرص الذي يحمل رمز الالوهية (الأشعة الثمانية) محمولاً بجناحين متميزين يختلفان عن الرمز الآشوري أو المصري المقابل .

3-رموز غشيرة:

كان غطاء رأس عشيرة الذي يشبه الخوذة المذيلة يرمز لها . وكان مزوداً بقرن ملفوف في مقدمته يدل على الألوهية (شكل 9أ) .

وكذلك كانت أوراق نبات الذرة تشير الى عناة حيث تظهر في نقوشها وهي تطعم الجداء بهذه الاوراق وهو ما يشير الى كونها

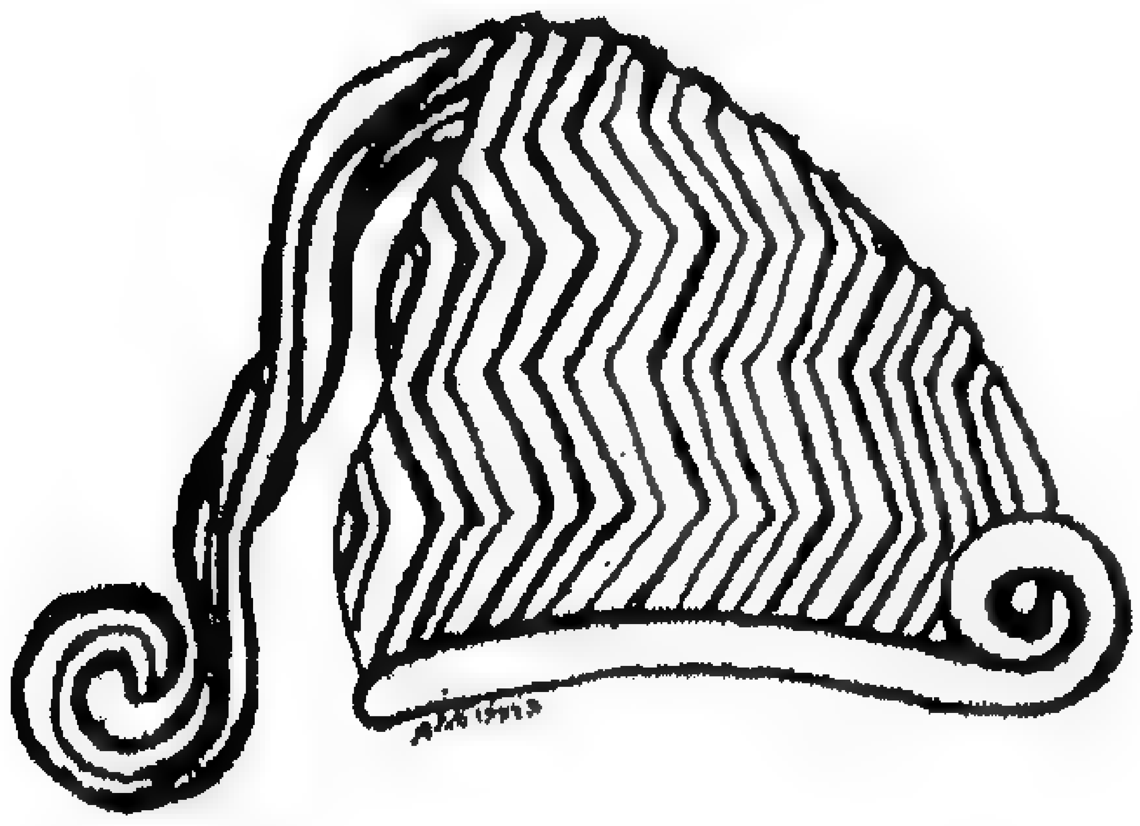

الشكل (9)

رموز عشيرة ، أ- الخوذة المذيلة لعشيرة

رسم (فاروق كاظم)

آلهـة النبـاتات الخضـراء والخصـوبة .
(شكل9ب) .

ب- أوراق نبات الذرة

4-رموز بعل:

1- الرمح المورق : وهو الرمح الذي اعـتـاد بعل على الامساك به في يده اليسرى ، بينما كان يمسك هراوة في يده اليمنى . ونرى أن الرمح المورق رمز أصيل من رموز بعل فهو يوحي بالخصب والقوة بالحب والحروب معاً .

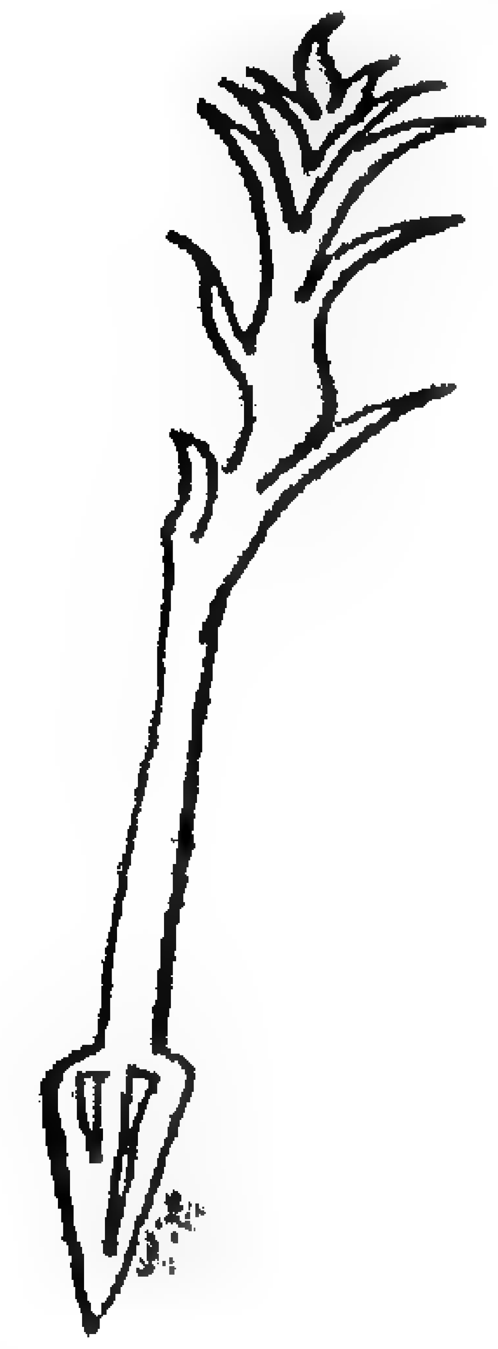

ونود الاشارة الى أن رمز الصاعقة (شوكة الصاعقة المفردة أو المزدوجة) هو رمز آرامي ذو أصول سومرية وبابلية تسرب بعد الألف الثاني الى بعل وعندما أصبح بعل يمسك به صرنا نطلق على الإله اسم (بعل حـدد) ، أي أن الصـاعـقـة رمز (حـدد) ولذلك نعـتـبر هذا الرمـز آراميـاً وليس كنعـانيـاً ، ونتـمسك بالرمح المورق والهـراوة كرمـزين كنعانيين أصيلين (شكل 10أ) .

شكل (10)

رموز بعل، أ- الروح المورق (فاروق كاظم)

2-الخوذة الكونية المقرنه : اشتهرت الخوذة الكونية المخروطية الطويلة كرمز اصيل وقديم لبعل ، ثم أصبحت الخوذه القصيرة المخروطية ذات القرون هي لباس الرأس الشائع للإله بعل (شكل 10ب) .

3-الهراوة : وهي سلاح بعل التقليدي الذي كان يمسكه بعل بيده اليمنى وكان يمسكه آلهة اخرون مثل الإله (موت) (شكل 10جـ) .

ب- الخوذة الكونية المقرنة

ج- الهراوة

5-رموز عناة

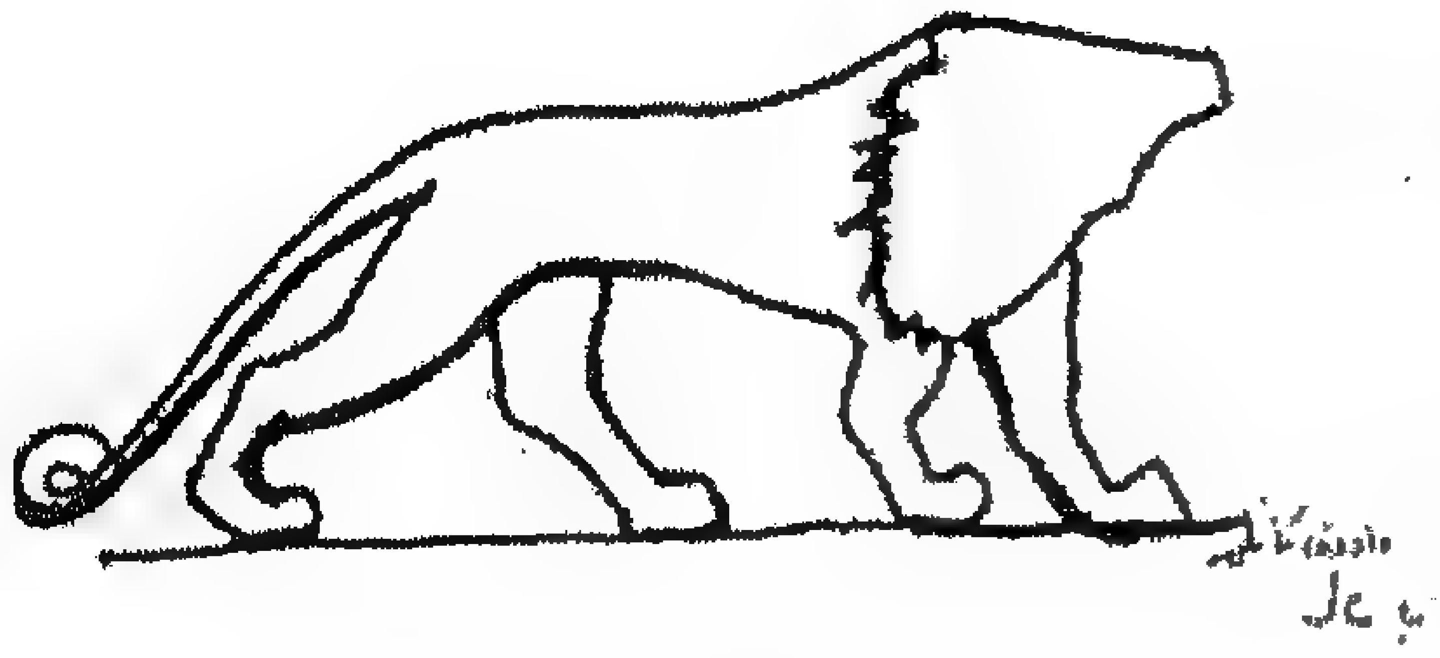

(شكل 11)

رموز بعل: رسم (فاروق كاظم)

1-الأسد : وهو رمز قديم للإلوهة المؤنثة كانت إنانا وعشتار تتخذه وجهاً من وجوه القوة والحرب لهما . وقد حافظ الأسد على ارتباطه بعناة باعتباره رمزاً للقوة والحرب . ولنلاحظ أن الأسد رمز شمسي ، ولأن عناة كانت تبدو في اغلب اساطيرها قوية عنيفة كان الأسد رمزاً مهماً من رموزها وتبدو عناة وهي تعتلي ظهر الأسد وتمسك بيديها نباتي البردي واللوتس (شكل 11/أ) .

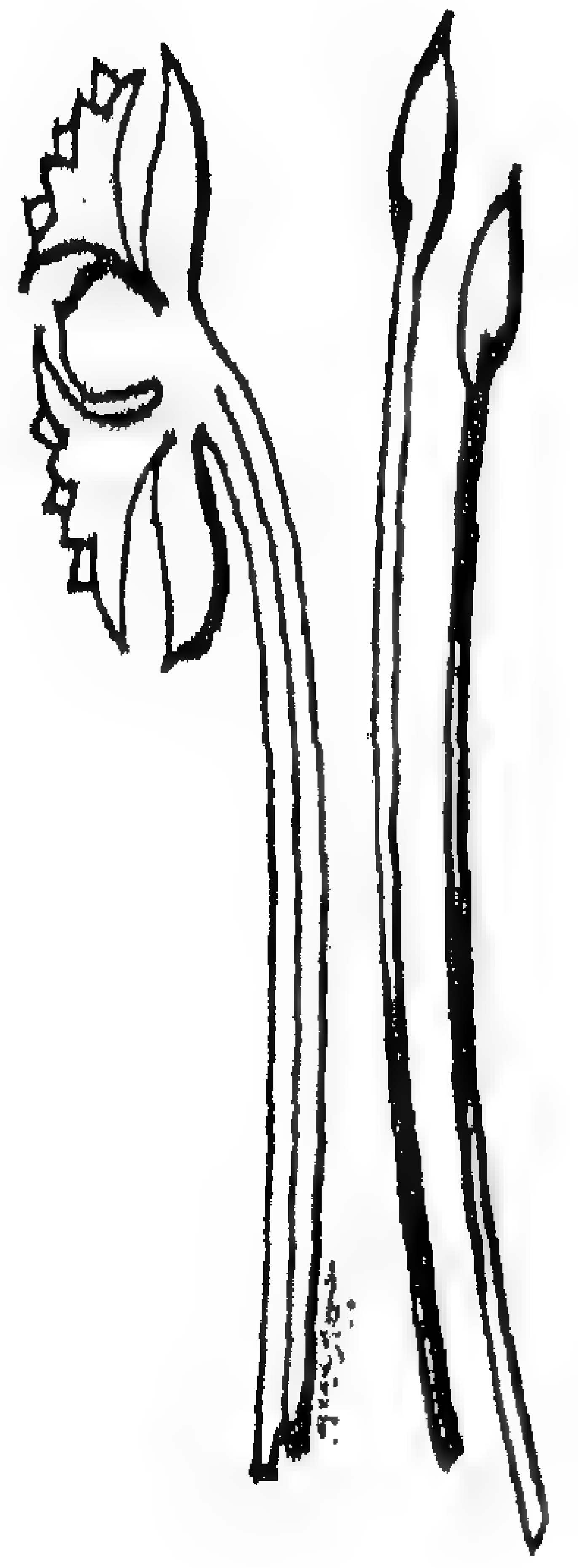

2-البردي واللوتس : وهما رمزان تعودت عناة أن تمسك بهما . ونعتقد أن هذين الرمزين ارتبطا بعناة من خلال الاتصال مع التراث الروحي المصري (شكل 11/2) .

3-المحراث :

4-قرن الفاكهة : الذي أخذه الاغريق ثم الرومان ليكون أحد رموز إلهة الحظ (تايكي) ، أو (فورتونا) .

5-الصاعقة .

6-الاجنحة .

7- السلاح .

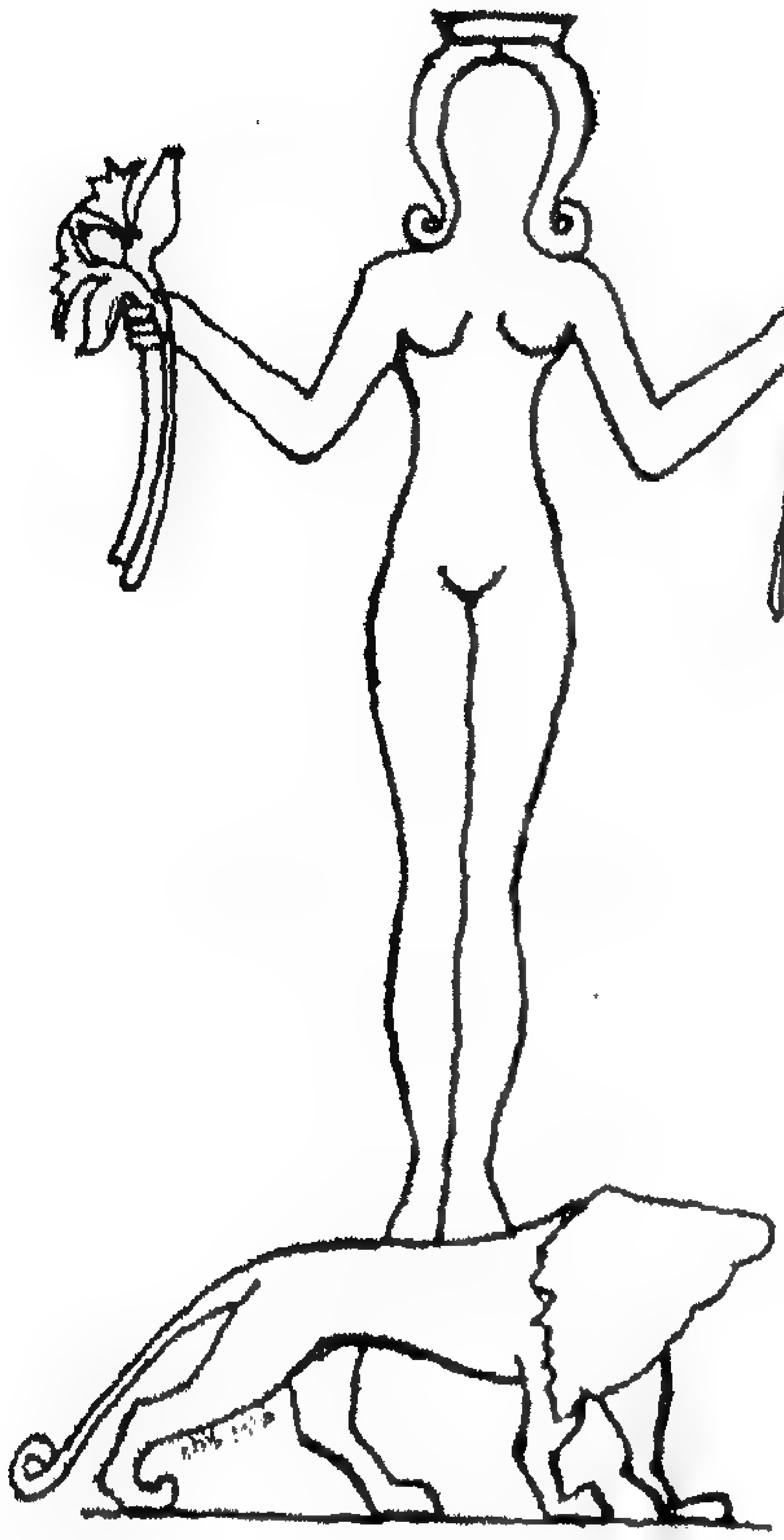

شكل (12)

الإلهة عناة مع رموزها: البردي، اللوتس، الأسد، التاج .

رسم : فاروق كاظم.

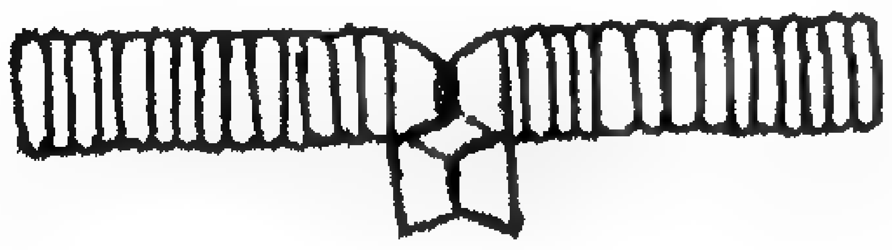

8-طوق الشعر : وكان طوق الشعر الموضح في هذا الشكل خاصاً بعناة وربما كان شكلاً من اشكال التيجان . (شكل 11/3 و4) .

9-التاج المقرن : كان التاج المقرن يرمز الى الالوهية والملوكية في آن واحد ، وقد لبست عناة عدة انواع من التيجان المقرفه .

وأعتادت عناة أن تظهر بقرنين كبيرين على رأسها تتوسطهما ايقونة مزخرفة جميلة . وربما أشار القرنان الى وصف عناة بالبقرة وهو وصف إعتدنا على مصادفته (شكل 11/5) .

وهناك التاج المقرن(ذو القرون الاربعة) والذي لو تمعنا فيه لوجدنا أنه عبارة عن جديين أو عنزين جانبين يحيطان رأس عناة فتظهر القرون الأربعة كدليل على الملوكية أيضاً . ويظهر على قمة رأسها عادة المخروط التقليدي الذي كان يظهر به بعل .

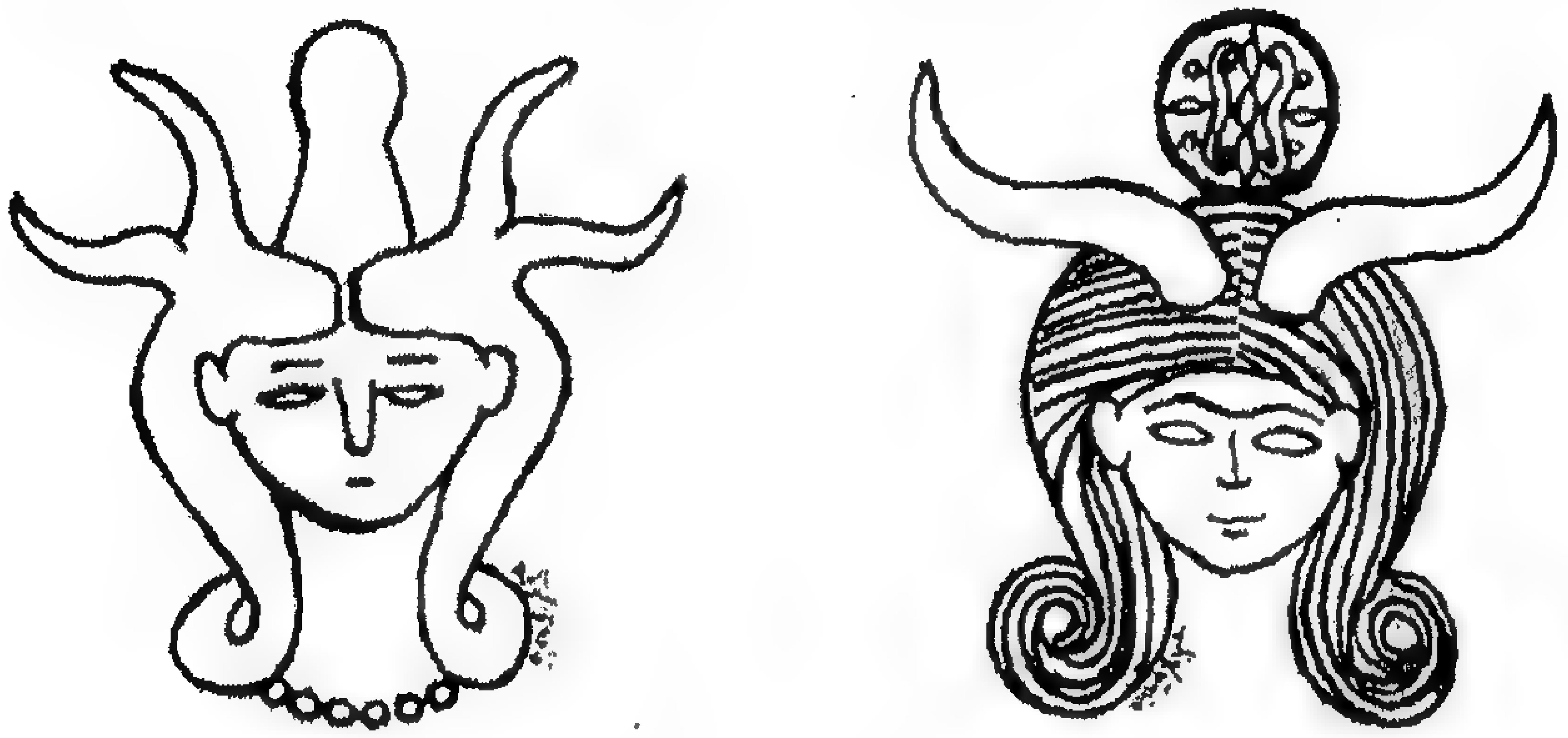

(شكل 11/6) التاج المقرن

أ- عناة ذات القرنين .   ب-عناة ذات القرون الأربعة.

10- **العانه** : كان مثلث الشعر الذي يوضع عادة تحت أشكال عناة يشير إلى الموضع الجنسي للإلهة الأنثى . وربما كانت كلمة (عانه) مشتقة من عناة (من يدري!!) .

(شكل 11/7، 8)

الإلهة عناة وهي تظهر بمثلث شعر العانه

11- الجداء : كان الجدي يرمز للإلهة عناة وكانت تظهر في بعض رسوماتها وهي تحمل جديين بيديها (شكل 11/9) .

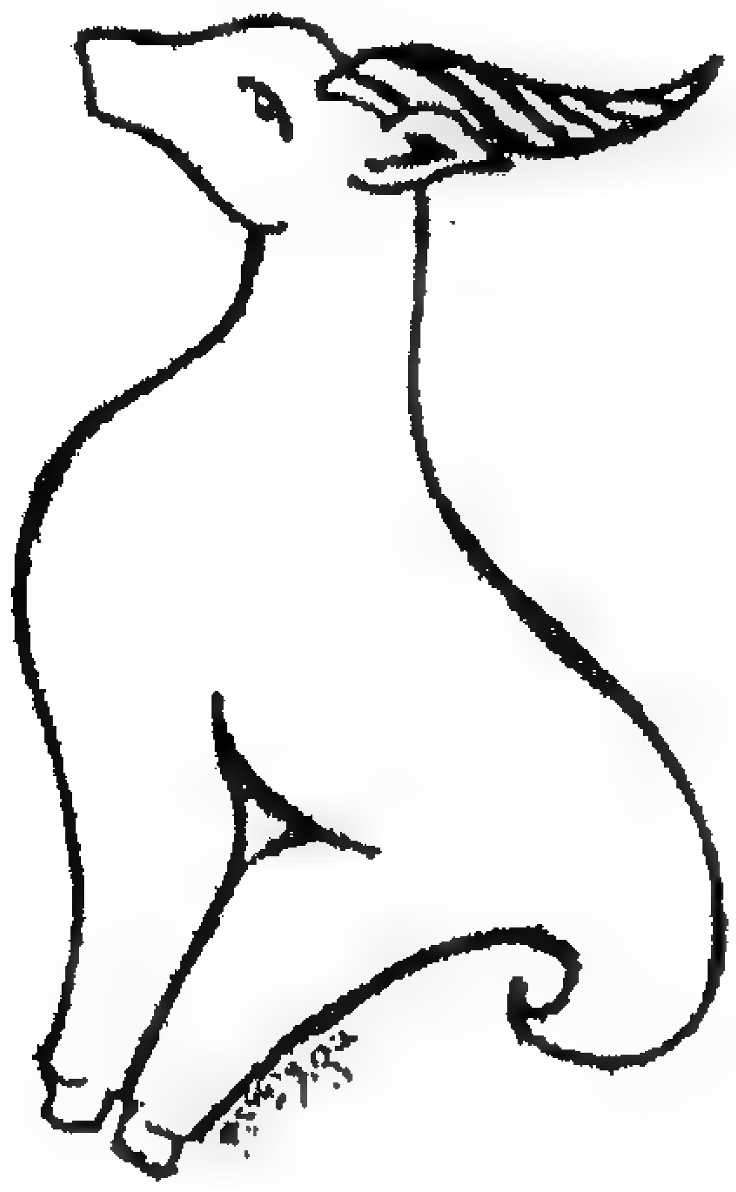

شكل (11/10)
الأفعى رمز عناة

12- الافعى : وكانت تظهر بطريقة مزدوجة تحيط جسد عناة والأفعى رمز قديم للإلوهة المؤنثة (شكل 11/10) .

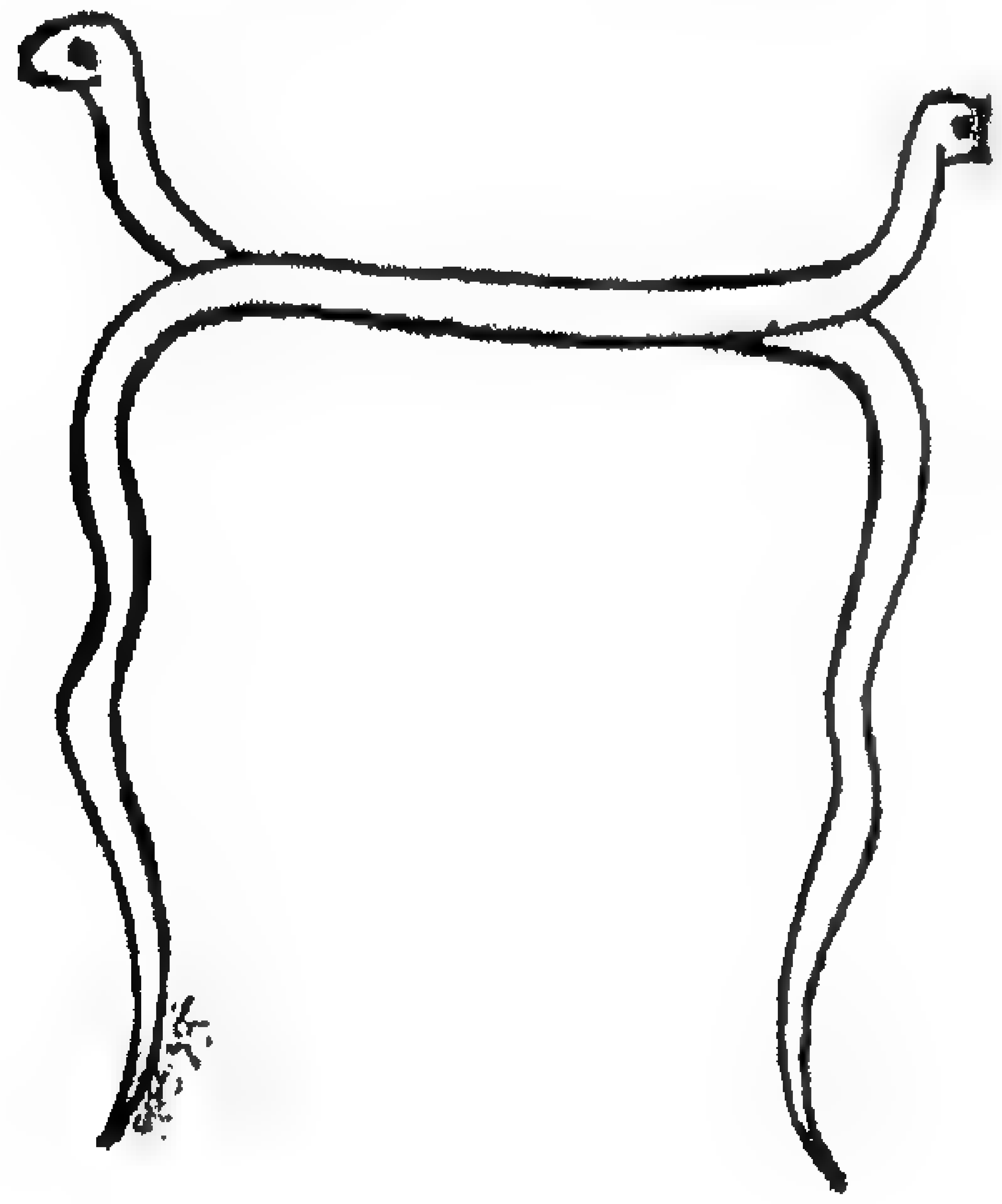

شكل (10/8)
الأفعى رمز عناة

رموز تانيت

1- **اليد المرتفعة** : التي تمثل المباركة والحماية والدعاء .

2- **الصولجان** : حيث يتألف من عصا متوجه بهلال يعلو قرصاً وتخرجج من القرص ذؤابتين جانبيتين ثم يخرج شريطان جانبيان من العصا ، ويرمز الشكل عموماً الى جسد إمرأة ، وعادة ما يوضع الى جانبها علامتين تقليدتين لتانيت .

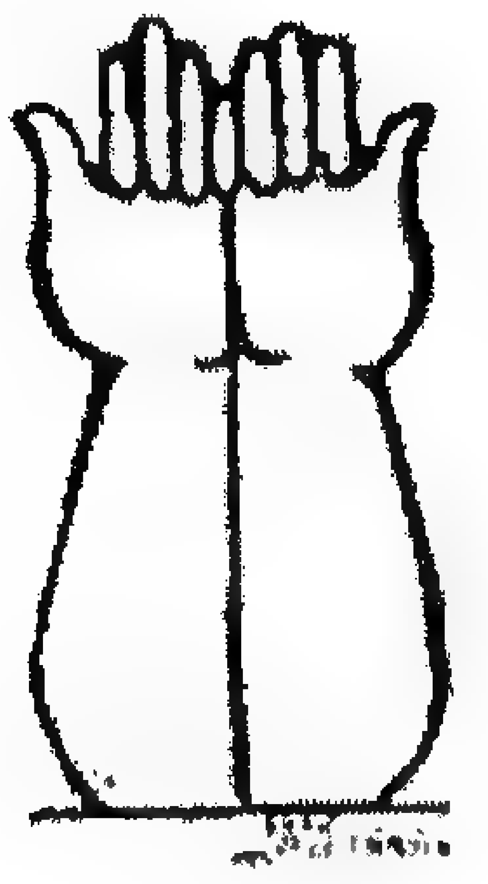

شكل (13)

رموز تانيت 1- اليد المرتفعة

رسم (فاروق كاظم)

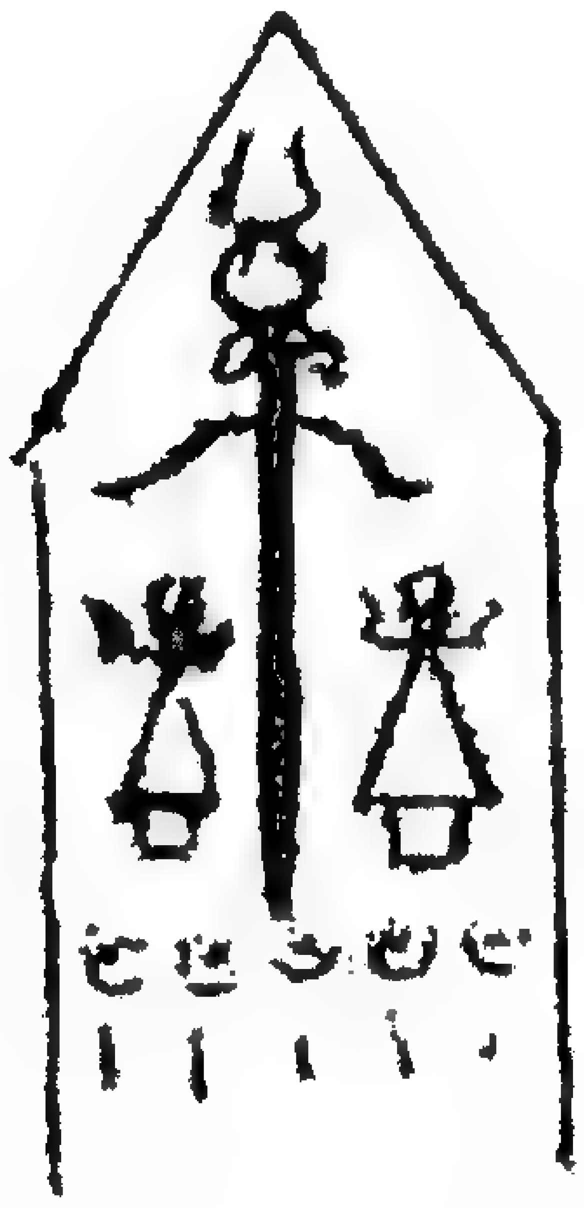

2- صولجان تانيت

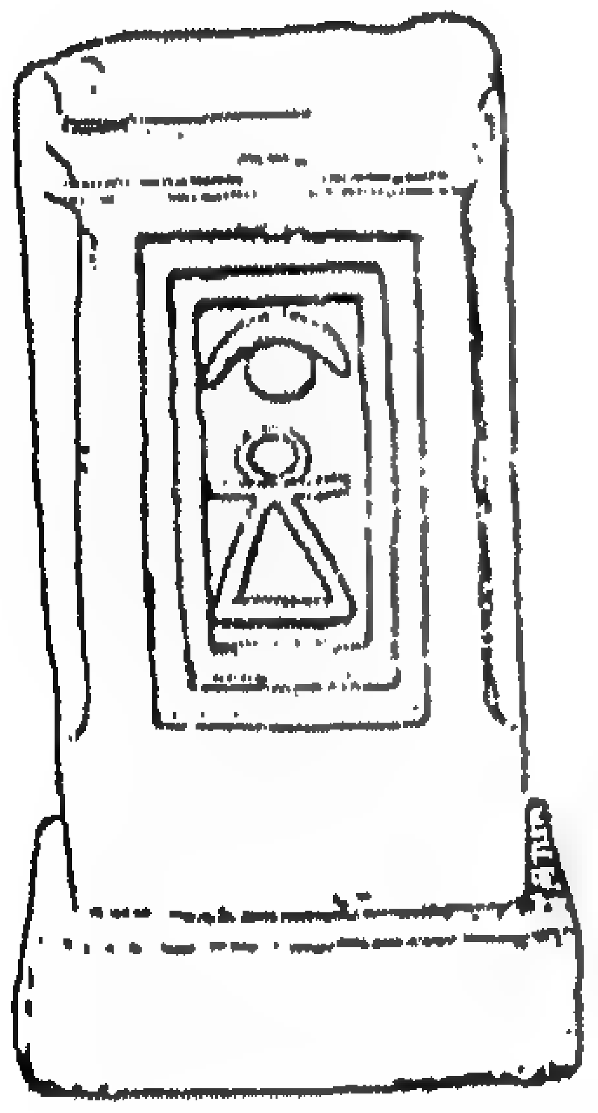

3- علامة تانيت على شاهدة قبر قرطاجية

3- **علامة تانيت** : هي الرمز التقليدي لتانيت في المشرق والمغرب ، والحقيقة أن مرجع هذه العلامة قديم جداً قد يرجع الى عصور ما قبل التاريخ حيث يمثل الانثى التي تفتح ذراعيها ورجليها ترميزاً للجنس .

وقد تطورت هذه العلامة حتى أصبحت على شكل دائري على مستقيم وتحت المستقيم مثلث . وربما يقترب هذا الشكل من علامة الحياة المصرية (عنخ) . وعادة توضع في قرطاج علامة الهلال المقلوب والقرص فوقها .

نرى أن علامة تانيت كانت قد ظهرت في زمن مبكر جداً في شمال افريقيا ، تشير الى ذلك لرسوم البدائية على الصخور في ليبيا والتي تعود الى ما يقرب الألف الثامن والتاسع قبل الميلاد .

وقد اتخذت علامة تانيت شكلاً هندسياً صارماً في قرطاج كان الحجر يُرصّع أو ينحت على شكلها . إضافة الى الميزة النجمية التي تكمن في الشكل الدائري له .

وأحياناً تجسد هذه العلاقة تانيت وحمون معاً . (شكل 13/5) .

وكانت علاقة تانيت تميل أحياناً الى تجسيد انثوي بظهور ثديين صغيرين على قاعدة المثلث (شكل 13/6) .

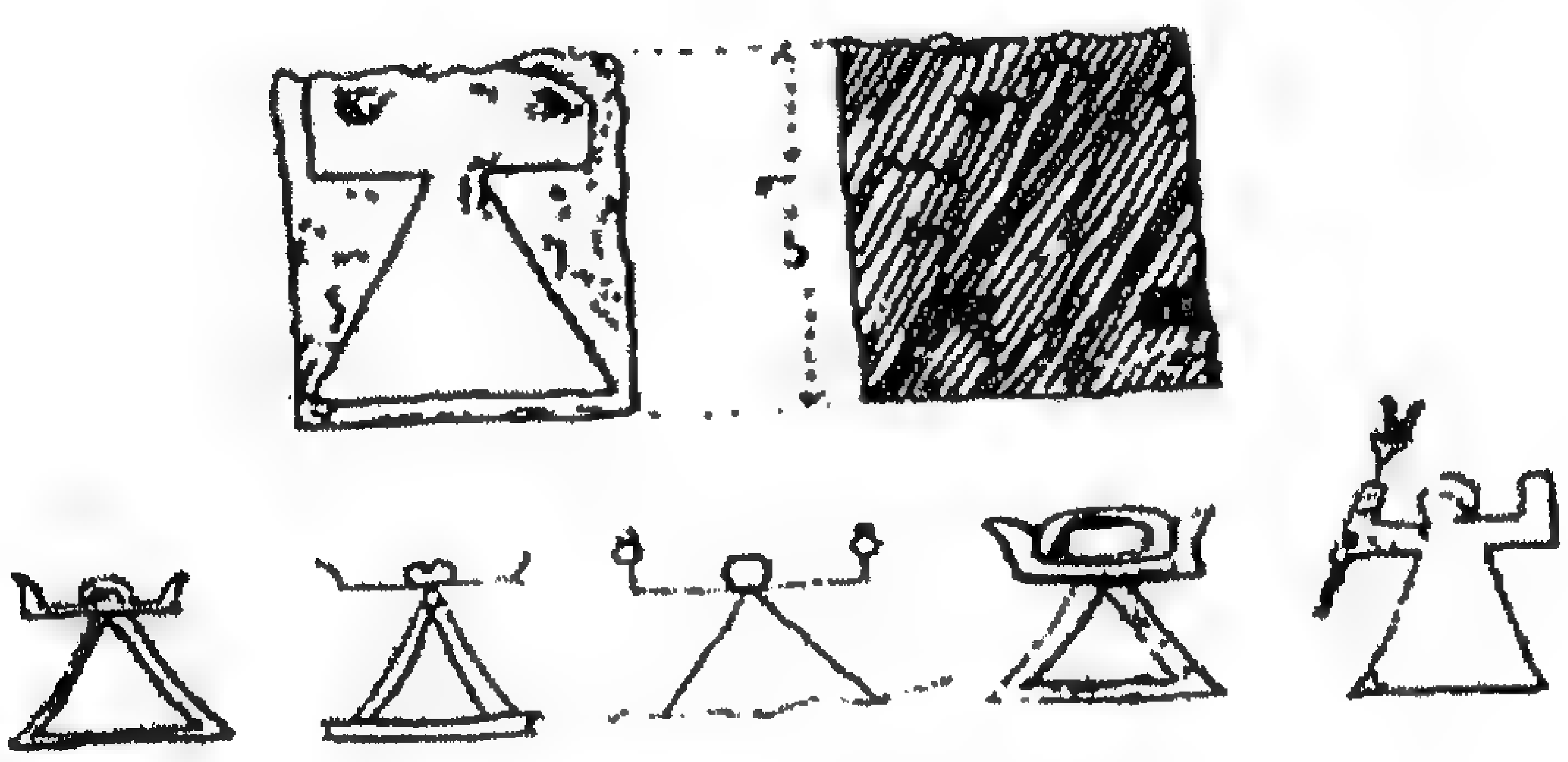

4- علامة تانيت في لبنان

4- الصولجان الذي يتألف من قضيب من الغار أو الزيتون ويحمل في أعلاه جناحين وتلتف حوله حيتان احياناً (شكل 13/7) .

5-الرمان .

6- الغصون .

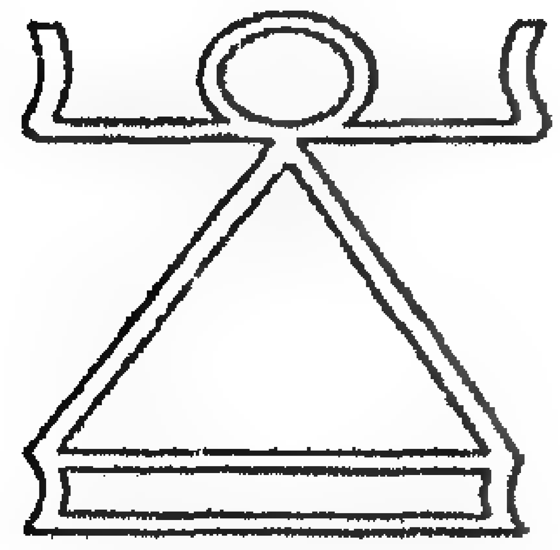

5- علامة تانيت في قرطاج

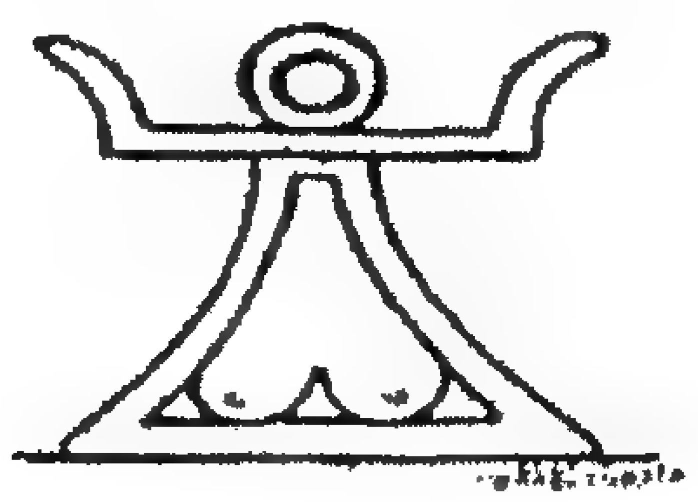

6- علامة تانيت في قرطاج مع تجسيد جنسي رسم: فاروق كاظم

7-السنابل .

8- القرص والهلال (شكل 13/8)

9- النجمة المشعة (نجمة الزهرة) وزخارفها .

10- السمكة وتشير الى علاقتها بالبحر والى صفة الامومة فيها (شكل 13/99) .

7- الصولجان

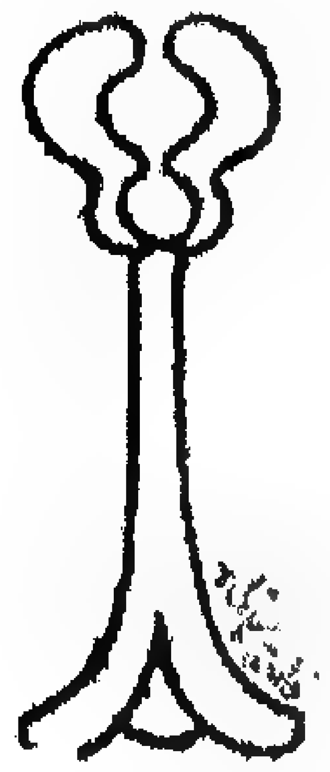

8- القرص والهلال

10- السمكة

11- الهلال والنجمة : ولعل الكثير من النقوش البونية كانت تحمل رمز الالهة تانيت على شكل كوكب الزهرة يتصل به هلال ويشير هذا الرمز الى أمرين أولهما العذرية حيث يرمز له من خلال القمر وتطابقت فيه تانيت مع العذراء (كايلستس) في الحقبة الرومانية . والثاني يرمز الى الخصوبة والامومة التي عرفت بها (نوتريكس) ، النجمة ، أو يرمز لها برمانة أو حمامة او سنبلة .. الخ .

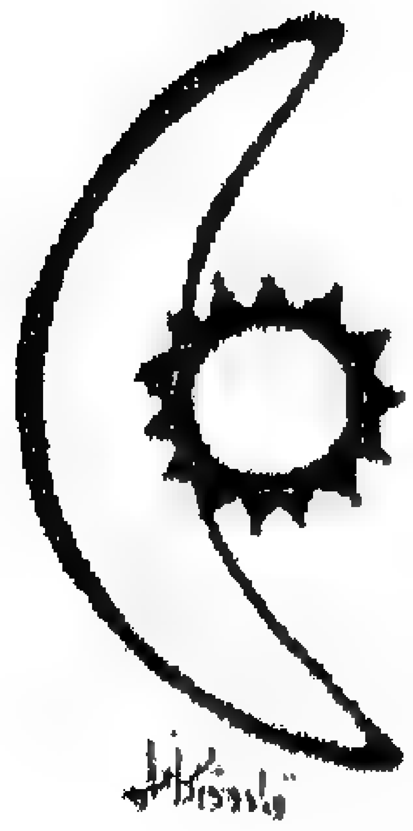

10- نجمة وهلال

11- المعيّن : وهوشكل هندسي موضوع على حجرة مستطيلة داخل أخرى مستطيلة وربما أشار هذا الشكل الى شكل العضو الجنسي للمرأة (الإلهة) .

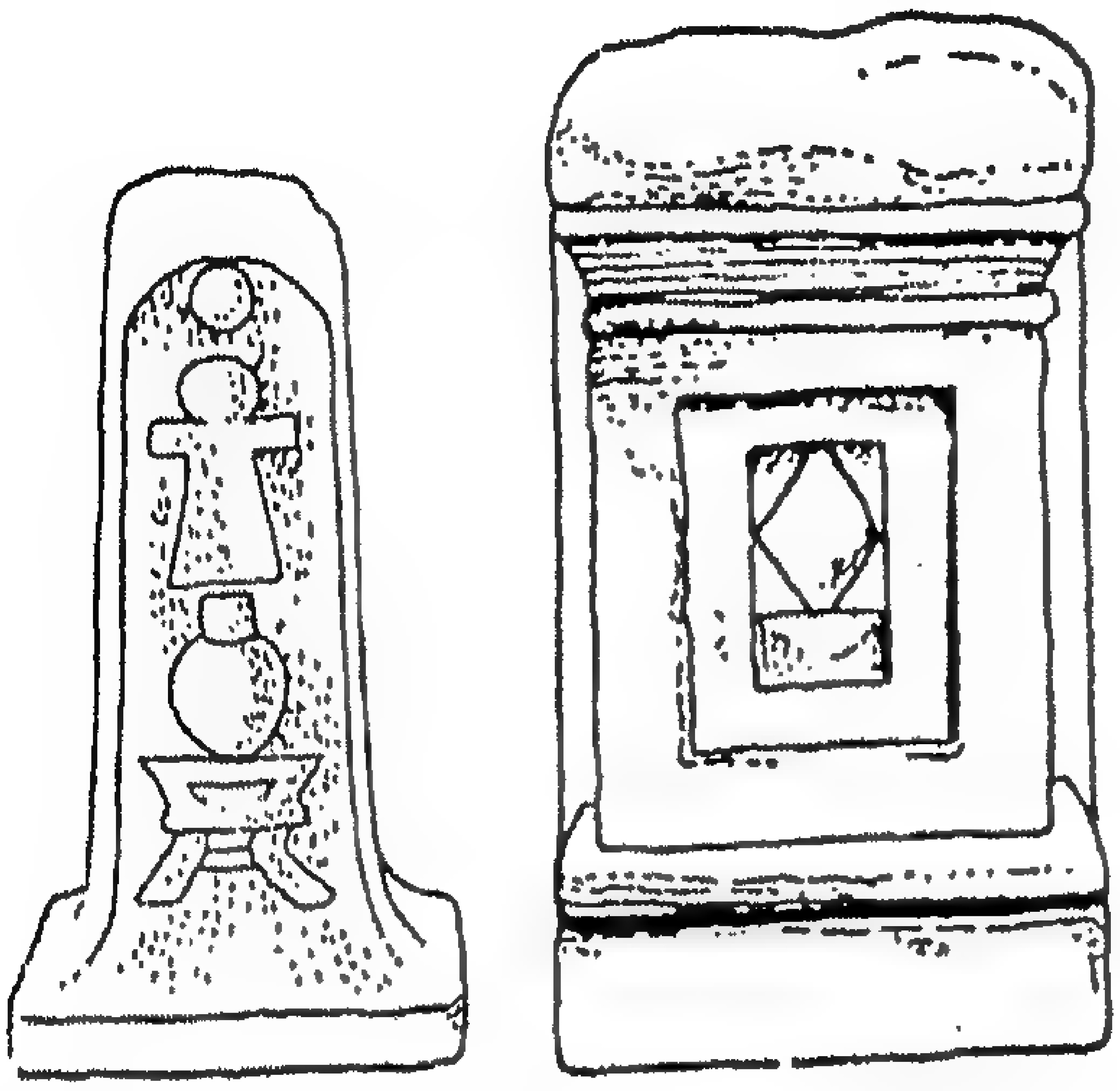

11- المعيّن والقنينة والصنم
(عن Garden 1962 : 98)

13- القنينة والصنم : يتكون من منضدة صغيرة عليها قنينة أو جره وفوق الجرة رمز تانيت الذي تعلوه دائرة تدل على الشمس أو القمر .

14-الاذن المصغية : تعتبر الاذن المصغية رمزاً للالهة تانيت كما هي للإله حمون دلالة على الصلاة والادعية التي توجه لهما . وكانت تنقش على الحجر مفردة أو مزدوجة .

7-رموز عشتارة

كانت عشتارة تمثل الحب الاباحي ، ولذلك كان من أهم رموزها (العري) ، فكانت تظهر عارية في صورها ونقوشها ، وكان (الحصان) أحد رموزها المهمة لما يمثله من القوة والطيش ولأصولها الآسيوية ، لكنها كانت تظهر أيضاً برموز مصرية معروفة مثل التاج المصري المضاف له قرنين جانبيين ، وعلامة الحياة المصرية (عنخ) ، التي كانت تمسكها الإلهات المصريات .

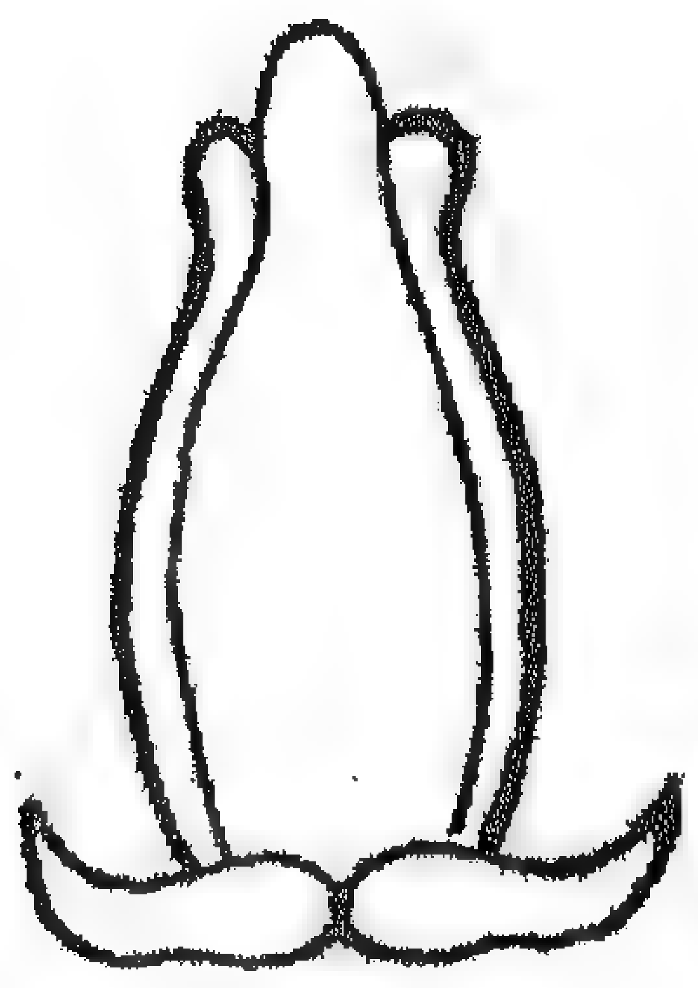

1- التاج المصري المقرن

2- عنخ رمز الحياة المصري

شكل (14)

رموز عشتارة   رسوم (فاروق كاظم)

8- رموز موت :

كان للآلهه موت عدة رموز أهمها :

1- الرمح

2-الخنجر المستقيم .

3-القبعة النبلية المقرنة .

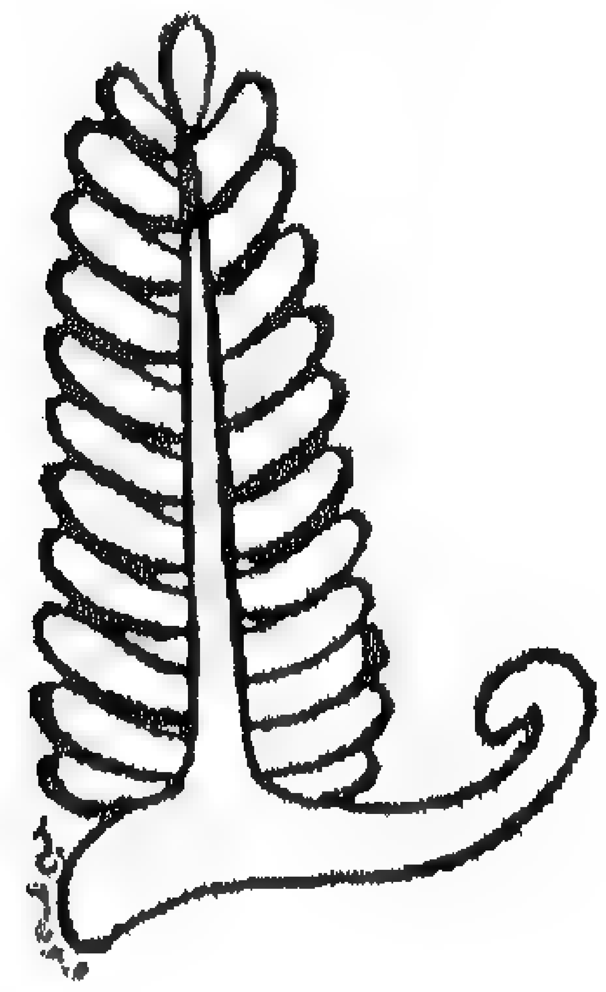

1- السنبلة المقرنة

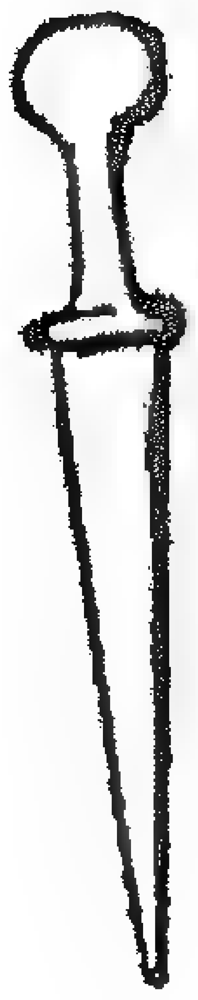

2- الخنجر المستقيم

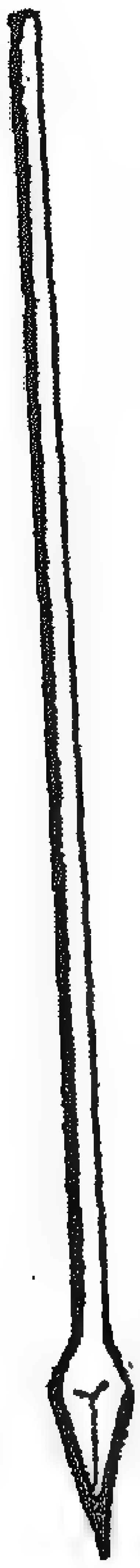

3- الرمح

شكل (15)

رموز موت رسم (فاروق كاظم)

9-الرموز الدينية الأخرى :

1-زهرة اللوتس والورق القلبي : رمز الزمن عند البونيين .

2-تاج الورق : رمز العالم السعيد للولد المضحى به عند البونيين .

3- الخطوط المتقاطعة : رمز العالم الاسفل .

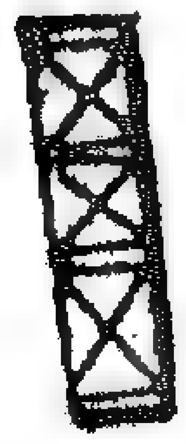

وقد جمع لوح عثر عليه في شمال افريقيا رموز تانيت المختلفة(انظر الشكل) ويبدو كأنه لوح نذري أو شاهدة جنائزية ، فهو مستطيل الشكل يظهر في أعلاه نتوءان جانبيان ومثلث بينهما يحتوي على رمز الهلال والرص لتانيت والذي يبدو وكانه عين وحاجب وفي متن اللوح تندرج رموز تانيت من الأعلى الخطوط المنكسرة المحيطة برمز المعين وتحت هذا السطر النقشي كتابة يصعب قراءتها وتحتها ثلاثة رموز لتانيت هي الكف المرفوعة ورمز تانيت الرئيسي المزود بثديين ومز الصولجان وفي السطر النقشي الأسفل تظهر نقش السمكة وهو أحد رموز تانيت المائية الأمومية .

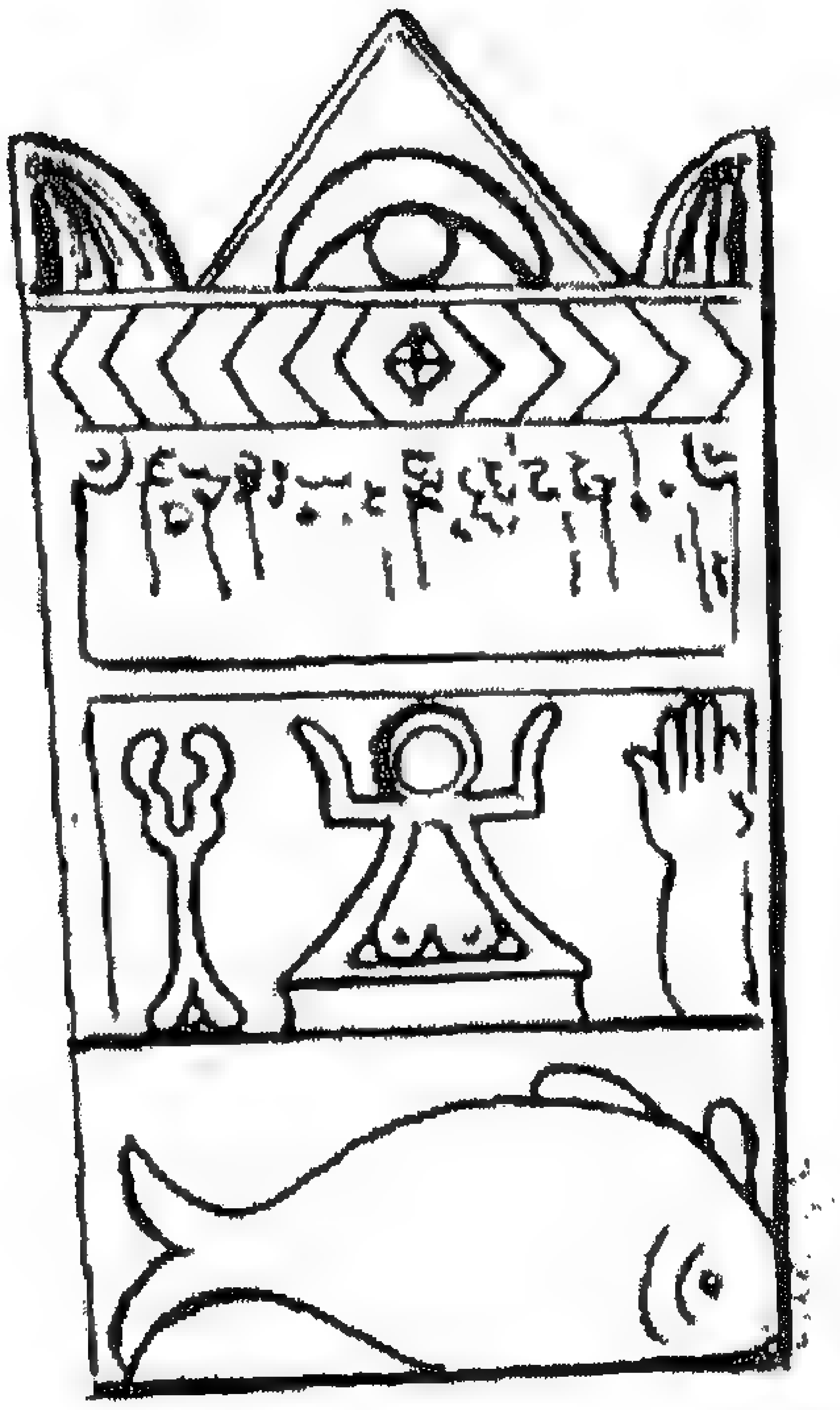

لوحة نقشت عليها رموز الآلهة تانيت

رسم: فاروق كاظم

المبحث الثالث

الأساطير الكنعانية

تشكل الواح اوغاريت المصدر الأول للمثولوجيا الكنعانية التي يصح أن نسميها هنا (المثولوجيا الاوغاريتية) ، وتعود هذه النصوص الى حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ولذلك تعد النصوص الأقدم والأشد عراقة بين النصوص الكنعانية .

بالرغم من أن حفريات جبيل(ببلوس) زودتنا ببعض الإشارات والنصوص التي سنأخذها في نظر الاعتبار ، إلا أن هذه النصوص يطغى عليها الطابع المصري ؛ بسبب وقوع هذه المدنية مباشرة تحت النفوذ المصري منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

لكننا لن نهمل ما تحدث به سنخاوتين وفيلون الجبيلي عن خلق الكون وقصة الخليقة الكنعانية وتأسيس مدينة صور ؛ لأن ذلك سيكون معيننا الأول لمثل هذه الاساطير رغم أننا سنقوم بمناقشتها وفق استنتاجاتنا الخاصة بالخليقة الكنعانية .

إن المثولوجيا الكنعانية تعتبر بحق مثولوجيا الصراع بين الخصب والجدب فهي تدور في أغلب مواضيعها حول هذه الثيمة .

كان الكنعانيون يحرصون على وفرة المطر في الشتاء والندى في الصيف وكان أكثر ما يخشوه هو الشتاء عديم المطر والصيف عديم الندى وهبوب الجراد . ولذلك ظهر ذلك في أساطيرهم . ولكن طبيعة كنعان كانت تمتاز بميزة خاصة وهو تعاقب سبع سنوات من المطر والندى والخصوبة بعد سبع سنوات من انحباس المطر والندى واليباب وهكذا ظهر ايقاع الطبيعة هذا واضحاً في آساطيرهم .

وسنرى أن الآساطير الكنعانية تهمل كثيراً الكواكب ولا تتعامل مع مظاهرها إلا بما ينفع الخصب والجدب على عكس الاساطير الامورية ذات الطابع الكواكبي والأساطير الآرامية المهتمة بجدل النور والظلام .

إن هذه الصفات شكلت باجمالها أساطير بلاد الشام منذ القدم قياساً لطبيعتها المتنوعة ومشارب أقوامها النازحين من طبيعة مختلفة وبيئات متفاوتة .

1- أساطير الخليقة:

رغم عدم وجود أسطورة خليقة كنعانية خاصة في ألواح اوغاريت إلا أننا نرى أن هذه الأسطورة موجودة في القسم الأول المحذوق عمداً من اسطورة صراع بعل ويم وسنثبت ذلك .

لكننا قبل الدخول في هذا الأمر لا بد من القول أن الرواية الاسطورية التي وردت على لسان سانخونتيس ثم فيلون الجبيلي حول بداية الخليقة يمكن أن تكون مرشداً لنا في استنتاج المحذوف من اسطورة صراع بعل ويم والخاص بالخليقة الكنعانية ، رغم أن هذه الرواية الاسطورية تحمل مؤثرات هيلنستية واضحة .

ما هو المحذوف عمداً من أسطورة بعل ويم؟

كنا قد توصلنا في المبحث السابق إلى وضع نسب الآلهة القديمة الكنعانية ، تلك التي بدأت الخليقة ، وقد وضعنا نظرية تقول أن الإله (يم) كان الإلهة الأم الكنعانية الأولى التي أطيح بها من قبل الإله بعل فتحولت تدريجياً الى إله ذكر هامش لا قيمة له .

ونرى أن اسطورة صراع (بعل ويم) هي الاسطورة التي يمكن أن تمنحنا اسطورة الخليقة الكنعانية ، ولكن كيف يحصل ذلك وهذه الاسطورة تبدأ بداية أخرى لا علاقة لها بما نريد؟

إن مفتاح الحل هو في قناعتنا الراسخة بأن هذه الاسطورة التي تبدأ بصراع بعل ويم تشبه اسطورة صراع مردوخ وتيامت (خصوصاً ان مردوخ يطلق عليه اسم بيل او بعل) ، ولذلك نرى أن هذه الاسطورة ما هي إلا اسطورة الخليقة الكنعانية وقد اعيدت صياغتها وأن إعادة الصياغة هذه تمت من خلال حذف الجزء الاول الخاص بالخليقة الكنعانية حيث خلق الكون والآلهة حتى وصولنا الى بداية الصراع بين (بعل/ مردوخ ، ويم /تيامت) .

كما أن اعادة الصياغة شملت أيضا تغيير شخصية (يم) الذي تحول الى ذكر مناوىء للإله بعل في حين أنه إلهة أنثى هي الإلهة الأم الكنعانية الأولى وهي(يموه) .

وهكذا يكون من الطبيعي تتبع سياقات اسطورة الخليقة البابلية في أطرها العامة لاستنتاج كيفية خلق الكون عند الكنعانيين .

وسيشمل عملنا هذا اعادة تركيب اسطورة خلق الكون (كوسمو غونيا Cosmogoney) واسطورة خلق الآلهة (ثيوغونيا Theorgoney) واسطورة خلق الانسان (انثروبوغونيا Anthropogoney) .

أ-الكوزموغونيا والثيوغونيا الكنعانية من الهيولي الى السماء والأرض

1-بدأت الخليقة من ظهور المياه الهيولية الأولى (يمو) وهي مياه البحر الأول الساكن الذي يبدو أنه تحرك إما بفعل ازدواج عنصري الأنوثة والذكورة فيها(يمو ويم) ، أو أن ريحاً هبت على هذه المياه من داخلها .

ولكي نثبت وجود هذه الرياح أو الروح أو الهواء نقول : إن الإلهة الأم الكنعانية ترتبط بشكل حميم مع الإلهة الأم الأمورية والآرامية وهي الريح (إم) ، وهو ما يفسر الاصل الواحد للكنعانيين والاموريين .

وهكذا يمكن أن تكون الإلهة الأم الكبرى للأموريين والكنعانيين هي (م) التي تكون (إم) الريح عند الأموريين و(يم) عند الكنعانيين وهكذا اجتمعت منذ البداية قوتا الهواء والماء في الإلهة الأم الكبرى .

لقد تحدثنا بتوسع عن الإلهة (ام) في كتابينا عن الدين الأموري والآرامي ، ولاستكمال صورة الخليقة القديمة نفضل العودة اليهما .

إن الهواء والماء هما أهم عناصر الآلهة الكنعانية اللاحقة لانهما يجسدان المطر الذي يتجلى أولاً في (إيل) ثم ابنه (بعل) . ولذلك لا بد أن يظهر منذ بداية اسطورة الخليقة الكنعانية ما يشير لهما .

وإذا عدنا الى اسطورة (صور البهية) الواردة على لسان فيلون الجبيلي فسنرى أن الخليقة الكنعانية تبدأ من تصور وجود هواء يتعانق مع فضاء ، ثم يبدأ هذا الهواء بالتكاثف فينتج عنه عاملان هما الريح والشهوة .

ومن تزاوج الريح والشهوة يظهر (موت) على شكل بيضة ثم تلقح الريح البيضة وتبعث فيها الحياة ثم تفقس البيضة وتخرج منها الكواكب والنجوم والشمس والقمر وبفعل ظهور النور تنفصل المياه واليابسة عن السماء .

ولنلاحظ أن هذه الموتيفة الاسطورية الكونية متأثرة بالخليقة المصرية حيث تذكر بعض اساطير الخليقة المصرية أن الإله (بتاح) خلق الكون على شكل بيضة ثم فقست فخرج منها الكون وهي كذلك متأثره باسطورة الخليقة الاغريقية التي ترى أنه لم يكن يوجد شيء

سوى (خاؤوس) وهو العنصر الذكري الذي يمثل الخواء في الأسفل وهو يحتضن (نوكوس) العنصر الانثوي الذي يمثل الظلمة في الأعلى وانهما عن طريق الحب (ايروس) أنتجا (اثير) ، وهو قبة الفضاء و(تيرا) أي : الارض الاولى . وهناك رواية أخرى تقول أنهما عن طريق الرغبة (باثوس) أنتجا(اورانوس) ، وهو إله السماء و(حيا) ، وهي الهة الارض (أنظر غريمال 23 :1982) .

ويتضح من هذه الروايات الهيلنستية خلط التراث الكنعاني بالتراثين المصري والاغريقي . . لذلك تفضل العودة الى الرواية التي افترضاها حول(يم) و(إم) عنصري (الماء) و(الهواء) ، حيث حرك الهواء الماء ، لأنه عنصر الروح والريح . ونتج عن ذلك كثافة في الماء كونت فيما بعد الكون البدائي .

وإذا كنا نفتقد لظهور صورة أو رسم لهذه الآلهة الهيولية عند الكنعانيين فاننا نجدها عند السومريين ، فقد استنتجنا أن الإلهة (إم دوكد) هي الإلهة الأم القديمة للريح وهي التي تعبر عن الإلهة (إم) التي كانت موجودة في بدء الخليقة مع الإلهة (يم) والتي تعبر عنها المنحوتات والرسوم السومرية كما في (الشكل 17) .

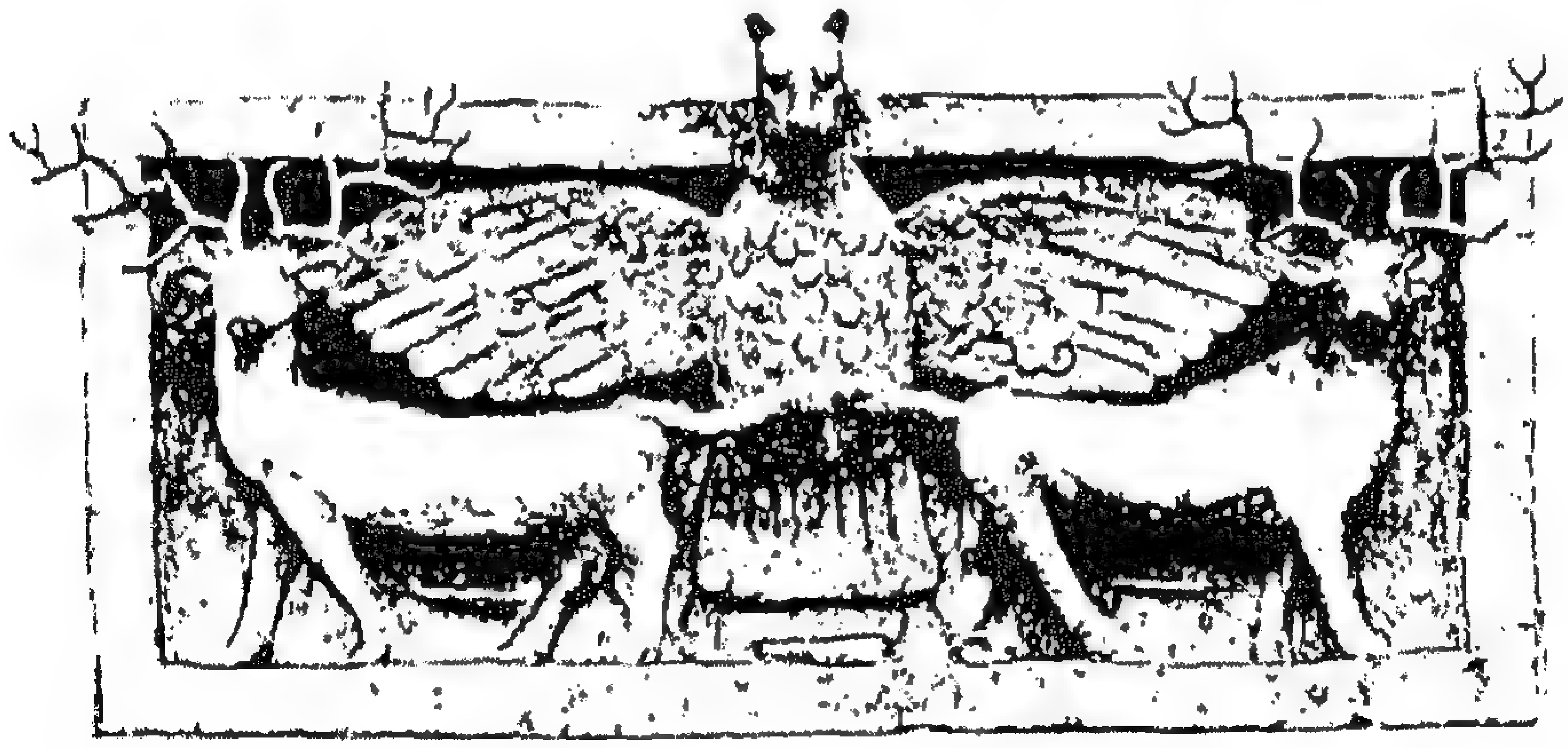

شكل(17)

إمدوجد (إلهة الريح القاسية)

على شكل لبوة بجناحي نسر تقف على غزالين الألف الثالث قبل الميلاد. سومر

2-بعد أن ظهر الكون الأول الذي نرى أن اسمه يمكن أن يكون (ير-مر) أو (مر -ير) وهو الاسم القديم الصحيح الذي يعني (السماء- الأرض) ، ولكن هذا الاسم تحول (وفق اللغة الكنعانية وانفصالها عن اللغات التي كانت من ضمنها) الى اسم مرادف لها هو (ثم-تم) أو (شم- تم) حيث (شم) تعني السماء و(تم) تعني الأرض .

ويرد اسم (ثمتم Thmtm) ليدل على المحيط المزدوج السماوي والأرضي في الكتابات الأوغاريتية القديمة (انظر شيفمان 75 :1995) ويشبه هذا الكون الأول الكنعاني ما يرد عند السومريين (أن -كي) الذي يخرج من المياه الأولى (نمو) ، كذلك يشبه ما يرد عند البابليين (لخمو ولخامو) و(انشار وكيشار) وهما الطمي الأول والأفق الأول لذلك الكون البدائي منقسماً الى ذكر وأنثى في حالة اتصال وانفصال .

3-ينفصل الكون البدائي(شمتم) الى عنصرين الأول سماوي أو يمثل قبة السماء (شم) والثاني أرضي يمثل هاوية أو محيط الأرض (تم) أو (دم) ونرى في الاسمين ما يقترب من المساء (شماء) والارض (أدمة) .

4-يظهر من (شم) الإله (شميم) أو (شاميما) وهو إله السماء الذي عبرت عنه المثولوجيا الكنعانية باسم (بعل شماين) أو (بعل شمين) إله السماء واعتبرته أقدم الآلهة ، ولكننا حفاظاً على السياق نفضل تسميته (شميم) .

ويظهر من (تم) الإلهة (أديم) او (أدمة) إلهة الأرض التي عبرت عنها المثولوجيا الكنعانية باسم (أرسو) ، أي الارض وهي إلهة قديمة جداً تعبر عن الأرض الأم الأولى .

ويبدو أن الإله (شميم) كان منتشراً بشكل واسع جداً في فينيقيا كلها وفي قبرص وسردينيا وتدمر« ويذكر اسحق الانطاكي من القرن الخامس الميلادي أن عبادة بعل شميم كانت منتشرة في إديسا ، ويعني الاسم سيد السماء ، ولذا من المفترض أن يكون واحداً من الآلهة السماوية ، وكان فيلون الجبيلي يضع اسمه الى جانب اسم (زيوس) على رأس قائمة الآلهة ، وليس لدينا ما يثبت أنه كان إله طقس أو إله شمس وعلى كل حال لم تزل شخصيته مجهولة ومجال عمله غير معروف ولكن نفترض أن يكون مساوياً لإله السماء (آنو/أورانوس) » .(اذزارد 1987:203) .

أما الإلهة (أرسو) فيظهر أسمها كأبنة للإله بعل بصيغة (أرصو) أو (أرصاي) مع أختيها (بدراي= البد) و(طلاي=الندى) ويظهر اسمها مرتبطاً بلقبها (بت يعبود دار) الذي يعني (بنت العالم الواسع) (أنظر المرجع السابق : 170) .

وهذا الخاق متأخر للإلهة أرسو ببعل الذي سيستولي على كل المقاليد .

5-تذكر الاساطير الفينيقية ان هناك اخا للإله (شميم) هو الإله (عوص) أو (عوش) أو (اوسوس) ، وهو الإله الذي بنى مدينة (صور) .

يذكر المؤرخ الفينيقي (سانخونيتن) قصة خلق الانسان التي سنذكرها في موقعها ثم يصل الى أن جيلاً من العمالقة (وهم انصاف آلهة وانصاف بشر) ظهر من اتحاد النور مع النار وتكون اللهب . أي أن هذا اللهب هو الذي أخرج ستة من العماليق اخترع كل منهم شيئاً ينفع العالم أي كل ما تحتاجه البشرية لرفاهيتها وهؤلاء العماليق هم (أنظر بنت بطوطه ب .ت :203-201) :

1-**العملاق الأول** : اخترع الصيد والقنص .

2-**العملاق الثاني** : اخترع فن تشغيل المعادن .

3-**العملاق الثالث** : اخترع الزراعة .

4-**العملاق الرابع** : اخترع صناعة الطوب .

5-**العملاق الخامس** : أقام العدل .

6-**العملاق السادس** اخترع فن الملاحة وكان اسمه اوسوس (OUSOOS) ، وهو الذي بدأ بمغامرة السفر في البحار فوق جذع شجرة حيث قادته الى شواطئ سورية ، وعلى البحر أقام عمودين أحدهما تكريماً للريح والثاني تكريماً للنار وبنى مدينة صور ووضع نظام العبادة .

إن (اوسوس) أو (أوس) هذا هو ذاته الإله (عوص) الذي تصفه الاساطير الشعبية على أنه كان صياداً في بداية حياته وعادياً لكنه اهتدى الى لبس الثياب من جلود الحيوانات التي كان يصطادها وأنه بنى هيكلين لإلهتي النار والريح .

وتخلط هذه الاساطير بين كونه إنساناً أو إلها . لكنها تضعه مع أخيه (شميم) في مستوى واحد ويبدو أن عداوة أو تنازعاً ما قد جرى بين الأخوين (انظر عبد الحكيم 1982:498) .

فاذا اردنا تحليل ذلك وفق منظور علمي فاننا نقول : إن الإله (عوص) هو نفسه ذلك الإله الذي ظل ومازال غامضاً في المثولوجيا الفينيقية والبربرية والليبية وهو الإله (أش) وهو إله النار ولكي ندلل على ذلك نقول أنه خرج من (النور والنار) ، أي من (اللهب) ثم أنه أقام هيكلين او معبدين للنار والريح وهو ما يجعل النار دائمة الاستعار ثم أن هناك تقارباً بين (أوس) و (أش) ولذلك نرى أن هذا الإله إنما يمثل كتلة اللهب السماوية التي كانت في السماء (شاميم) . أما عن الملاحة فنرى أنها وظيفة أخرى له لها علاقة بجذع الشجرة الذي يمكن أن يشتعل ليلاً ليضيء مسرى الماء .

وفي بحثنا عمّا آل إليه الإله (عوص) وجدنا ، صدفة ، أن هذا الإله قد تجلى بشكل واضح في آخر سلم الآلهة الكنعانية بصيغة الإله(حاسس) الذي يرد دائماً برفقة الإله (كوثر) وهما إلها الصناعة والاعمال الحضارية ، والإله (حاسس) هو ذاته الإله (اوسوس) أو (عوس) سواسمه يعني بالاكدية (الذكي) أو الحساس (اسمه موجود في اسم اتراحاسس البابلي . منقذ الناس من الطوفان) . ويذكر فيلون الجبيلي أن (اوسوس) أول من استخدم جلود الحيوانات كلباس للجسم وأول من استخدم جذع شجرة كقارب وهو ما أتينا على ذكره .

ونرى أن الإلهين (كوثر) و(حاسس) كانا إلهين قديمين جداً انزلا أيضا من مكانهما القديم الى الهين صانعين عند بعل (لترسيخ قوة بعل) .

وأن في اقترابهما من النار ما يشير الى أنهما أصل إله النار الكنعاني (ملكارت) الذي سنراه كإبن للاله (عوص) .

وهكذا نتج عند هذا المستوى ثلاث قوى هي(السماء ، الأرض ، النار) .

خلق آلهة العناصر الأربعة:

في هذا المستوى ستفصح السماء والنار والأرض عن عناصرها العميقة المكونة لها ولذلك نرى ظهور الهة عديدة يمكننا في نهاية الأمر القول أنها تمثل عناصر الطبيعة الأربعة (الماء ، الهواء ، التراب ، النار) .

1-تزاوجت السماء والارض بصيغة الإلهين (شميم) و(أديم) وظهر منهما مجموعتان أساسيتان من الآلهة الذكور والإناث .

المجموعة الأولى من الذكور تشير كلها الى قوى الماء الممزوجة بقوى الهواء وهي لذلك تحوي آلهة الطقس والمطر والمياه وهذه الآلهة هي :

داجون : وهو إله الطقس الذي ظهر في المدونات الأكدية والسومرية وكان أحد أهم الآلهة الرئيسية عند الأموريين .

أطلس : وهو الإله(عتل) عند الكنعانيين حيث يروي عنه أنه الإله الذي اخترع الملاحة ومارسها وعلمها للإنسان .

بتيل : وهو (بيت إيل) ويسميه فيلون الجبيلي (بيتلوس) وقال بأن الانصاب الحية تمثله ، وهي أنصاب الحجر التي لها قوة سحرية ، كما أن بيت ايل الذي كان على المياه عند ملتقى النهرين(لا نعرف اي نهرين؟؟) يمكن أن تشير الى طبيعته المائية ، ويقال أن العبريين قد عبدوا هذا الإله اضافة الى الكنعانيين (انظر عاموس 5:604 ، وسفر التكوين 31:3 و 35:7) . وربما دل (بتيل) على بلاد لبنان كلها .

إيل : وهو أعظم الآلهة الذكور من ابناء السماء والارض ويعتبر الإله الأب لكل الآلهة وسنتناوله بالتفصيل عند الحديث عن اساطيره .

سيتون : وهو إله الصيد البحري والبري ومن اسمه جاء الإله (صيد() و بوزيدون) ويمكن أن يكون هو الإله المؤسس لمدينة صيدا .

عاي : وهو الإله أيا (إله الماء عند البابليين) وعلى اسمه سميت مدينة (عاي) .

بعلتيس : وهي الإلهه الانثى التي تلقب بـ(ديوفه) التي ربما كانت الوجه الانثوي للإله (ادون) أو (دونسيوس) ، أما اسمها (بعلتيس) فيشير الى ارتباطها باسم الإله بعل الذي يحمل ذات الصفات التهتكية الداعرة لديونسيوس وادون ، وقد تكون هي الإلهة القديمة بعلات (Baalat) ذاتها التي ذكرتها أختام جبيل في الألف الثالث قبل الميلاد على أنها(سيدة جبيل) ، والتي تصفف شعرها على الطريقة المصرية وتحمل قرصا بين قرنين

على رأسها مما يجعلها مشابهة للإلهة المصرية حاتحور (انظر 73 :Larousse 1995) ، ولهذه الآلهة سبع بنات من الإله ايل .

ريا : تحتل هذه الإلهة الكنعانية مكانة مهمة جداً في البانثيون الاغريقي ، فهي زوجة الإله (كونوس) ، الذي يقابل إيل ، ومعنى اسمها في اللغة الكنعانية (الأرض) ، فهي إلهة الأرض ، وفي العربية تعني المطر الساقط على الارض . وهذه الإلهة تمثيل جديد لإلهة الارض في جيل الإله ايل ، فهي سليلة أمها(أديم ، أدمة ، ارسو) والتي امتلكت نفس صفاتها ، وهي عند الاغريق ايضا سليلة الإلهة الأم (جيا) وقد جعل الاغريق البدائيين من جيا الام العظمى وحانقة لجميع الكائنات ، هكذا تأكدت افضلية ريا من حقيقة كونها قد جعلت أما لجميع الهة الاولب العظام . وبالرغم من أصل ريا الاجنبي إلا أنها سرعان ما اكتسبت ملامح اغريقية خالصة وادعى العديد من الاقاليم اليونانية شرف كونها كانت مسرحاً لسلسلة حوادث الهية لاسطورتها . . وتبدلت شخصية ريا الهيلينية بتأثير (سيبيل) ، الإلهة الايجية العظيمة التي أدخلت عبادتها قديماً الى اليونان ، إلا أن كلا من الإلهتين دمجتا معا في النهاية (الخوري 1990 ج2: 50) .

ويبدو أن الآلهة ريا كانت أحد احتمالين ، فإما أنها كانت الآلهة الأم الجديدة زوجة ايل ، وأما أنها كانت إلهة هامشية قبل أو بعد أن رحلت الى البانثيون الاغريقي . وفي كلا الحالتين حلت الإلهة عشيرة القادمة من البانثيون الأكدي أو البابلي محل ريا وتحولت عشتار الأكدية الى عشيرة واضيفت لها صفات الأمومة بعد أن تهذبت فيها صفات العذراء المغامرة والمحاربة .

ويرى فيلون الجبيلي : إن الإله ايل إتصل جنسياً بالإلهة ريا وأنجب منها سبعة ابناء منهم الإله (موت) وهو إله الارض السفلى (العالم الاسفل) ، ويطلق عليه فيلون اسم ثانا توس Thanotos او بلوتون Ploton ، لأن (موت) الكنعاني سيقابل اله الجحيم اليوناني والروماني .

عشتارة : ورد ذكرها بعدة اسماء وهي(عشتارت) ، عشتارة ، عشتارته ، عشتارة ، عشترة ، عشتورة) ، ويجمع الاسم بلفظة عشتروت ،ويعني هذا الاسم بصورة عامة الإلهات (إشتارتي) ، الذي يقابل اسم الجمع المذكر (إيلاتي) ، ويعني : (آلهة) . والأهم في كل هذا هو التفريق بين هذه الإلهة والإلهة (عشيرة) زوجة الإله (إيل) .

ويبدو أن هذه الالهة امتصت صفات العذرية والغنج والجمال والحب من (عشيرة) ، التي أصبحت إلهة أماً فقط . وبلغة أخرى يبدو أن عشتار الاكدية أو البابلية عندما دخلت الى البانثيون الكنعاني انشطرت الى الهتين الأولى هي عشتارت الهة الحب والجمال والثانية هي عشيرة الإلهة الأم زوجة ايل .

وقد حملت هذه الإلهة عدة القاب منها (سيدة المعارك والهة الاسيويين) حيث تظهر في أحدى المسلسلات المصرية كمقاتلة عادية فوق قوس مشدود العنان الى جسدها وهي ترمي سهامها على الاعداء.

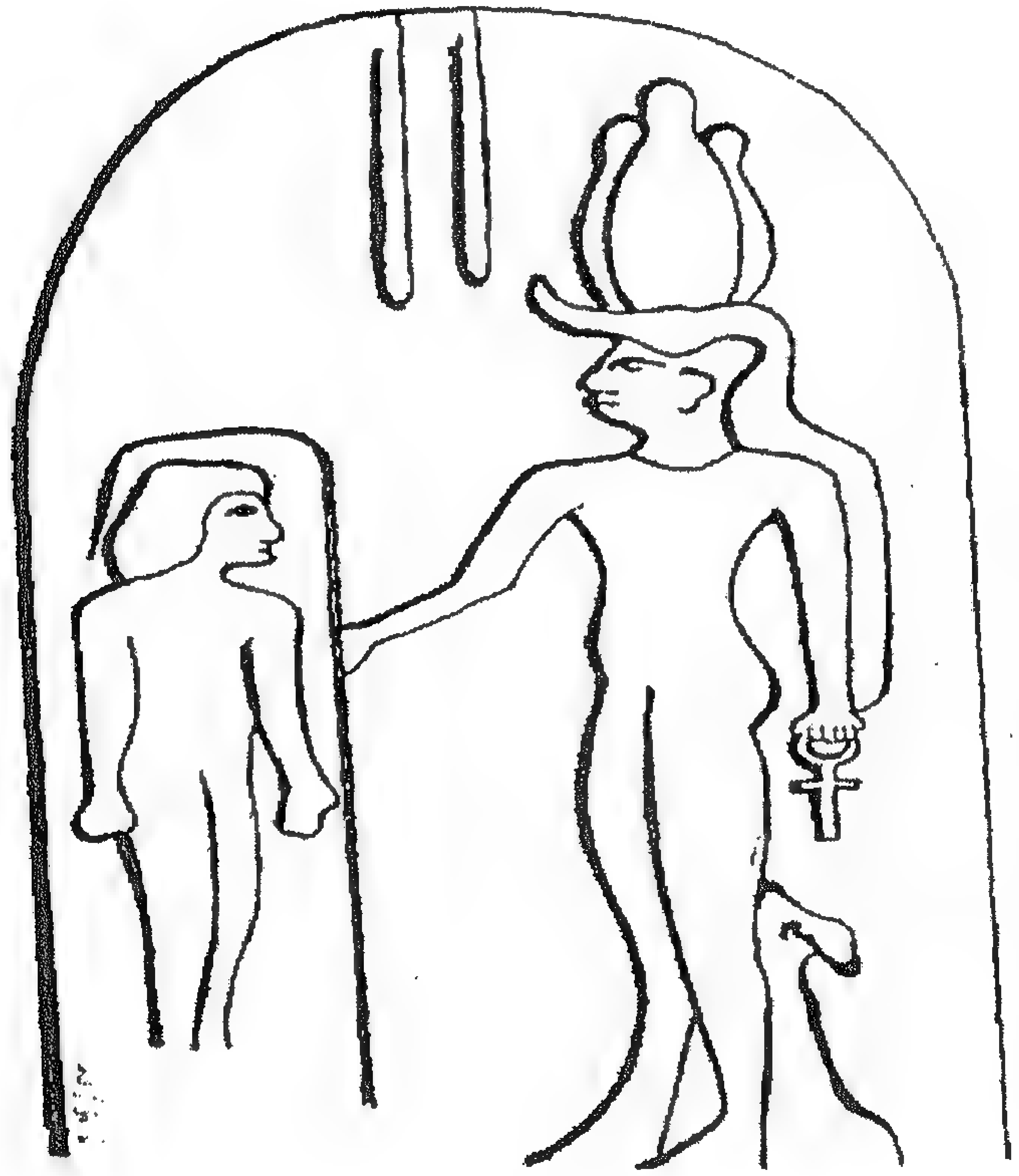

شكل(18)

الإلهة عشتارة هي عارية بطراز مصري (التاج المقرن ورمز الحياة عنخ في يدها) من رأش شمرا. تخطيط :فاروق كاظم.

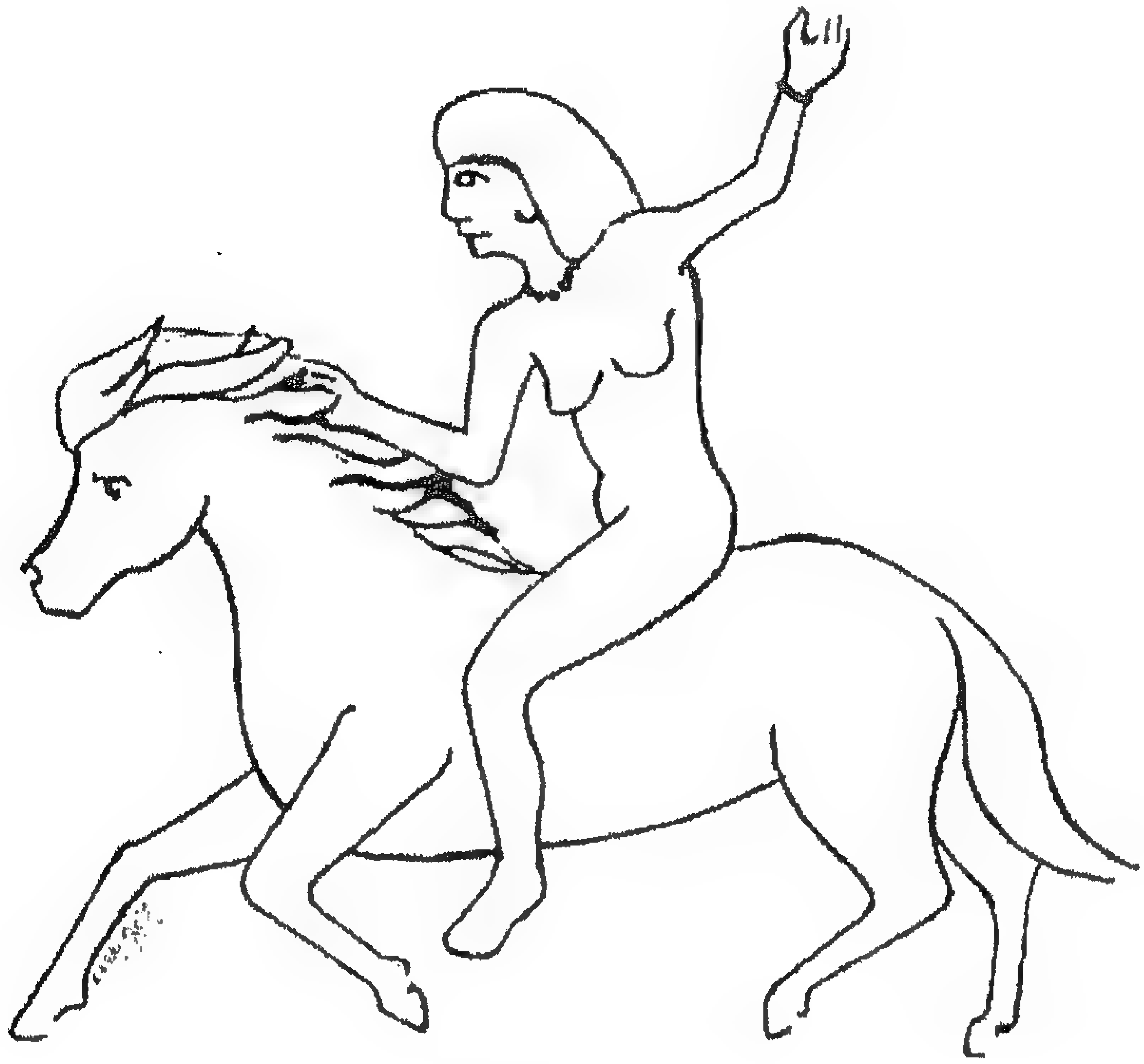

شكل (19)

الإلهة عشتاره عارية فوق حصان تلوح بسلاح في يدها   تخطيط : فاروق كاظم.

أما لقبها الآخر فهو (ذات القرنين) ، حيث ظهرت وهي تلبس رأسا على شكل ثور يرمز الى السلطة . أو تاجاً مخروطي الشكل تحيط به من الأعلى ريشتان يبرز تحتهما قرنان وتحمل بيدها اليسرى عصا طويلة وبيدها اليمنى صليب الحياة المصري (عنخ) وتلبس ثوباً طويلاً شفافاً تظهر من خلاله تقاطيع جسدها وهو ماعثر كنصب كلسي في بيت شان (بيسان) في فلسطين ، وكان الحصان حيوانها المفضل وربما رمزها (شكل 18,19) ، وتلقب أيضا بـ(سيدة المشاعل) ، حيث عبرت بهذا اللقب في (أفقا) قرب بحيرة (يمولة) في لبنان ، وقد هربت هذه الإلهة بعد أن لاحقها الثعبان تيفون . وكانت عبادتها هناك مرتبطة بالنار حيث كانت تحمل المشاعل وتشعل النيران على شكل كرات فوق سطوح المعابد ، ويروي زوسيموس أنها كانت تلقي كرات ضخمة من النيران من أعلى جبال لبنان باتجاه نهر ادويس إيذانا ببدء الاحتفال المقدس (أنظر اذزارد 225 :1987) .

أما اللقب الاخير لها فهو (ضجيعة ايل) ، حيث ضاجع ايل إلهتين ظهرتا على شكل مشاعل ، وهما : (عشتارة) و(عناة) ، وأنه بعد مضاجعته لعشتارة ولدت له سبع بنات (تيتانيدس أو ارتميدس) وصبين هما (باثوس) و (إروس) ، واحياناً تندمج الإله عشتارة مع عشتارت من جيل بعل .

عشيرة : وهي الإلهة الكنعانية الأم زوجة ايل ، والتي صارت أما لكل الآلهة الكنعانية من ايل حيث استمر نسلهما الى الأجيال القادمة ، وقد حملت ألقاب عدة ، منها (خالقة الآلهة) و(الأم) و(إيله ، إيلاتو ، إيلات)و(سيدة العمودين) و(ربة اليم) و(سمكة البحر) و(السارية) ، وكان الحمار حيوانها المفضل . وقد كان لها مظاهر عدة ، أو صور عند العبريين والعرب والأنباط وفي بلاد الشام ووادي الرافدين (انظر الماجدي 1999 . أ : 56-53) .

نرى أن الإلهة عشيرة ظهرت من إضفاء صفات الأمومة على الإلهة الأكدية عشتار ، وربما اختلطت مع الهتين واحدة من جيلها هي عشتارة والاخرى من الجيل اللاحق هي عشتارت .كذلك يجب فرزها عن ولدها (أو ولد بعل) عشتر(عشتار) . ولا بد من تذكر أن الإلهة الارامية (عتر) ظهرت من عشتار أيضا وكونت اساس اسم عترجاتس التي ننفي عنها كونها ظهرت من دمج (عناة +عشتارة) بل هي الإلهة الآرامية عتر اندمجت فيها صفات عناة (شكل 20,21) ويمكننا جمع كل هذه الاستنتاجات في جدول واحد مبسط كما يلي :

جدول (2)

اشتقاق العشتارية الكنعانية

عشتار
(إلهة الحب والحرب الأكدية)

عشتروت (عشتارة ، عشتاره) إلهة الحب والجمال	عشيرة أشيرا ، أثيره ، إيلات) إلهة الام : سيدة الاموريين والكنعانيين	عتر إلهة الاراميين زوجة حدد
↓	↓	↓
عشتارت (عشترتا) إلهة الحب والجمال	عشتر (عشتار) إله الري (إله مذكر)	عترجاتس (اترعتا) الإلهة الأم السورة الكبرى

شكل (20)

عشيرة (أثيرة) الإلهة الكنعانية الأم

شكل (21)

عترجاتس (اترعتا) :لوحة من النحت النافر عثر عليها في البتراء/الأردن

أنوبرت : وهي حورية مائية تزوجها الإله ايل وانجب منها الإله (وحيد) أو (جنود) وهو الإله الذي ضحى به لوالده الإله شميم إله السماء عندما أصاب الوباء والجرب الأرض .

وفي تأملنا لاسم أنوبرت وجدنا أن لهذا الاسم علاقة بالالهة (بيروت) أو (برت) التي ستظهر في جيل بعل .

والإلهة بيروت مشتق اسمها من الكلمة الكنعانية (برت) ، أي : (الروح) ، فهي حورية مائية تمثل إحدى تجسدات الروح الكلي المائي عند الكنعانيين .

وقد ذهبنا لأبعد من ذلك فنحن نرى أن هناك علاقة بين اسم برت او بيروت الكنعانية والكلمة المصرية بيريت Peret تعني(بذور) وربما كان لها علاقة بكلمة(بر) التي تعني (بيت) وفي كلا الحالين فاننا نرى أن البذور تدل على صفة الخصب وأن البيت تدل على المكان والمستقر الارضي وهذا يعني أن هناك ايقاعاً خفياً بين الاسمين الكنعاني والمصري

وقد حمل الكنعانيون الإلهة بيروت أو بارات عبر البحار وعبر مضيق جبل طارق وأطلقوا اسمها على الجزر البريطانية التي ما زالت تحمل هذا الاسم (باريتانيا) .

وتظهر بارات كإلهة مصرية تحمل صليب الحياة بيد وعصا الملوكية بيد أخرى ، وهي من الفترة المصرية الفرعونية ، وهناك نقش نقدي مصري هيلنستي يطابقها مع تايكي حيث تظهر حاملة قرن الخصب وهناك نقش آخر من العصر القبطي المسيحي يظهرها حاملة الصلب تحيط بها كتابة لاتينية . (انظر الشكل 22) .

شكل (22)

1- الصورة المصرية العشتارية للإلهة بارات، 3.2- بارات كما تصورها أعمال فنية مصرية وبيدها الصليب والعصا وقرن الخصب وتظهر الكتابة اللاتينية من العصر القبطي المسيحي

هكذا يظهر لنا جلياً أن جيل ايل الذي يمكن أن نطلق عليه اسم (الإيليون) ، هو جيل يتضمن بشكل أساسي عنصري (الماء والتراب) من خلال آلهته التي تعرفنا عليها .

أما عنصرا (النار والهواء) فيرتبطان بالأصل السابق الذي نشأ في جيل الآلهة السابقة (السماء والارض) حيث تخبرنا الاساطير التي ترد تواتراً عن سانخونتين إن الإله (عوص) أو (اوسوس) انجب ولدين الاول هو (دامور) أي النخيل او التمر ثم اعقبه هرقل او هرقل (أول من اخترع الارجوان وقلد به عشترون) (انظر عبد الحكيم 499-498 :1982) .

وتمنحنا هذه الاشارة الفرصة لتأمل طبيعة هذين الإلهين فالإله (دامور) هو الإله (ذ .مر) الذي أطلق عليه (أمورو) إله الاموريين والحقيقة . ان مثل هذا التخريج حسن الهدف وسيء النية فهو يريد القول أن الأموريين يعبدون إلها ضمن البانثيون الكنعاني وبذلك يجعلهم فرع من الكنعانيين وقد أوضحنا الأصل الواحد لهما من خلال الإلهتين (يم وإم) .

يرد اسم الإله دامور ايضا بصيغته الاغريقية(دماروس) ، حيث تقول الاسطورة الهيلنستية إن الإله اطيختون (وهو مقابل شميم الكنعاني)كانت له مخطيات كثيرات يغيظ بهن زوجته (أدمة)وقد انجب من إحداهن الاله دماروس ، الذي انجب بدوره الإله ملكارت ، الذي هو (هرقل) ، وعمورو هو الإله القومي للأموريين والذي كان ينظر اليه كإله كواكبي أو سماوي أو إله عاصفة وهواء .

إن الإله (دامور) هو مصدر كلمة (تامور) ويسمى احيانا بها ، وهي كلمة تدل على (التمر) ثمرة النخيل ويدل على النخلة كلها ، ومنه اشتقت كلمة (ثمر) الشاملة .

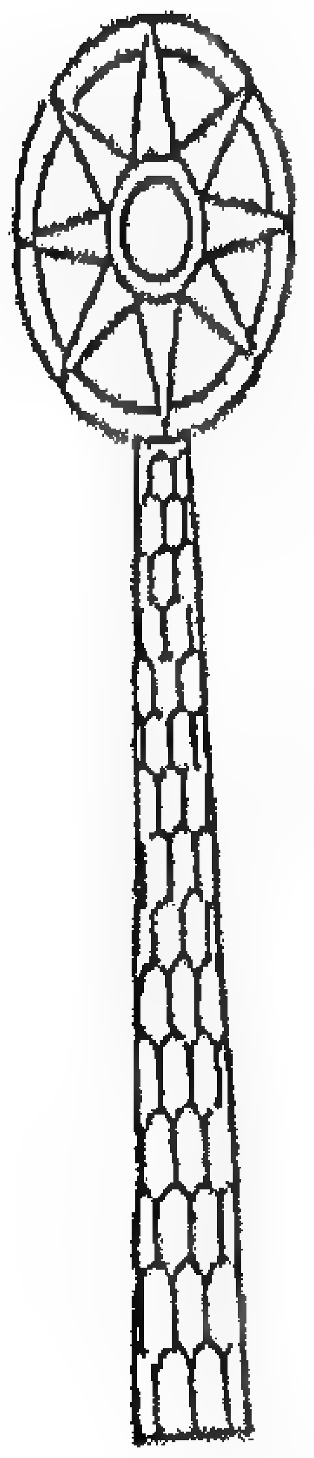

وقد تأملنا كثيراً في مصدر هذه التسمية فوجدنا أنها أما أن تكون قد أتت من اسم الإله (ذ .مر) وهو الإله الأموري القديم الدال على السماء أو الارض (ذات اللون البني أو الاحمر) . أو من الإله (دموزي) أو (تموز) وهو الأرجح عندنا لأن هذا الإله مخضب بالدم وهو اللون الاحمر الذي يدل على كيس خضاب النخلة أو يدل على التمر الاحمر اللون . . ولسبب آخر لعله الأهم في استنتاجاتنا هذه هو أن الرمز السومري والبابلي للإله (دموزي) أو (تموز) هو النخلة التي تعلو قمتها دائرة الألوهية وهو حصراً رمز الإله (دموزي اشموقال أنا) إله الاخصاب المسؤول عن تلقيح النخيل (شكل 23) ثم صار يشير الى قوة الاخصاب في الحيوان والنبات والطبيعة كلها . والحقيقة أن كل هذه الاشارات تريد أن تفصح عن اللون الأحمر الذي هو جوهر الآلهة الثلاثة (عوص ، تامور ، ملكارت) وهو ما يجعلها مرتبطة بفكرة النار ذات اللون الاحمر أيضا وهو ما كان من أصل تسمية الكنعانيين والفينيقيين كما أسلفنا في الفصل السابق ، وهو ما يجعلنا نظن بأن (تامور) هو نفسه(تاموز) أو (تموز) .

الابن الثاني للإله عوص هو الإله (ملكارت) وهو نظير (هرقل) الاغريقي ونظير (نرجال) السومري البابلي الذي كان إله النار والامراض العالم الاسفل ، وكان الإله ملكارت إله مدينة صور وابنتها قرطاج . . ولعل وضعه أخاً للإله (دامور) يأتي من فكرة وجود (تموز) و(نرجال) سوية في العالم الاسفل بعد أن ينزل تموز الى العالم الاسفل .

الإله (ملكارت) هو إله النار الكنعاني بامتياز ، ويبدو أن الاساطير الهيلنستية الكنعانية وحدته مع الإله (عوص) ودمجتهما في شخصية واحدة ، ويبدو أن الإله ملكارت هو الذي أشاع العدل في مدينة (صور) ثم بنى اسطولاً بحرياً وغزا البحر المتوسط وجزره مثل (رودس ، مالطة ، كريت) حتى وصل الى مضيق جبل طارق وسمى هذا المكان بـ(أعمدة ملكارت) التي ابدلها الاغريق بـ(أعمدة هرقل) ثم سار باتجاه السواحل الاطلسية جنوب غرب اسبانيا وأسس مدينة (قادش) الساحلية و(هسباليس) في الداخل وتقول الرواية انه بنى (200) منشأة على سواحل اسبانيا والبرتغال تابعة لصور ، وتوجه نحو السواحل الافريقية واسس قرطاج التي تحمل بعضا من اسمه حيث ملكارت يعني (ملك المدينة) وقرطاج تعني (المدينة الجديدة) . وأسس المدن الأخرى على الساحل الافريقي ثم استولى على كورسيكا وسردينيا (التي اخذ اسمها من اسم ولده سرد) ثم دخل صقليه وأسس مدن عدة فيها ثم توجه ملكارت الى ايطاليا حتى وصل الى شواطئ الغال وبنى ماسيليا أو مرسيليا (أنظر بنت بطوطه ب .ت : 203-201) .

وتعطينا هذه الرواية انطباعا بأن الفينيقين حملو الإله ملكرت وغزوا به سواحل وجزر ومياه البحر الابيض المتوسط الذي أصبح إذا صح التعبير (بحر ملكارت) ، وكانت (صور) هي عاصمة هذه الامبراطورية البحرية .

ولانغالي إذا قلنا أن جزيرة ربما سميت باسم هذه الإله (كرت) أي القرية أو المدينة وأن أول من حكمها هو الملك مينوس الذي كان ابن زوس من الأميرة الفينيقية اوروبا وهي ابنة الملك الفينيقي (اجينور) .

وكان البحر ، والبحرالابيض المتوسط بالذات ، يسمى (راش ملكارت) ولذلك كانت عبادته مرتبطة بالبحر مثلما ارتبطت بالنار فقد اقيمت له معابد عند سفوح الجبال الساحلية (شكل 24) وينطبق مثل هذا على نهر بيروت الواقع شرق بيروت « واكثر الكتاب المحدثين يرون أنه هو النهر الذي دعاه بلينوس الطبيعي نهر ماغوراس وأنه كان من انهار الفينيقيين

المقـدسة دعوة بذلك اشتقـاقاً من اسم الإله ملقار وهو اسم زحل بلغتهم» (اليسوعي 1982: 4) .

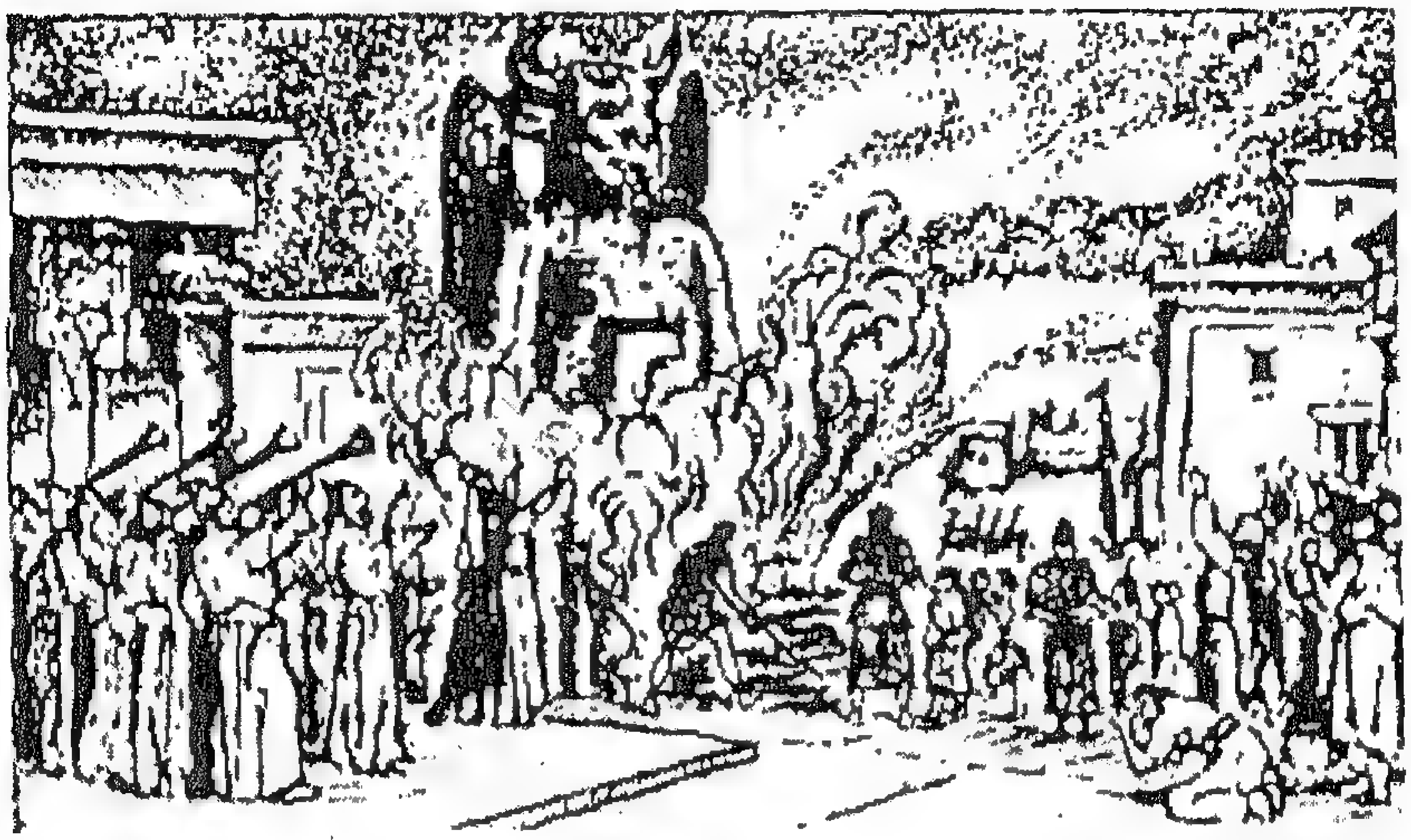

شكل (24)

صورة متخيلة لطقوس النار وتقديم المحرقات للإله ملكارت

ويبدو أن الإله (ملكارت) كان إلهاً شمسياً حيث تظهر رموزه (الأسد والنسر) لتدل على طبيعته الشمسية وما ارتباطه بالنار إلا نتيجة طبيعته لذلك فقد كانت النار لا تنطفيء شعلتها فوق مذابح معابده ، وهو ما يشير الى علاقته بهرقل (شكل) .

كانت مدينة صور تحتفل بمهابة ووقار في شهر كانون الثاني من كل عام باحتفال يسمى (بعث ملكارت) . . وهو احتفال يختلف عن الاحتفالات الخصبية لمنظومة الآلهة البعلية من الجيل القادم . . فقد كان يجري على محرقة وذلك بحرق تمثال كبير للإله ملكارت لوحده أو وهو يركب حصان البحر (وهنا يجب ان نتذكر اله البحر اليوناني ملكرتيس الذي هو ملكارت البحري) . وكان محظوراً على الغرباء حضور هذا الاحتفال الناري ، وهناك اشارات إلى أن إنساناً أو كاهناً كان يحرق بإعتباره الإله ملكارت . وكانت تجري طقوس تمثيلية في هذا العيد تتضمن طقوس الحرق أولاً ثم طقوس بعث ملكارت التي كانت تتم بحركات درامية ، حيث تستعاد اسطورة رحيل ملكارت الى ليبيا وقتل التنين (تيفون) لملكارت وهو في طريقه الى هناك ، حيث تتم عودته الى الحياة عندما يقوم(ايولاوس) بوضع

طيور السلوى وهي حية في اعياد ملكارت التي كانت تضبط اوقاتها ، في غير موعدها المعروف ، عندما تعود الالاف من هذه الطيور الى أرض كنعان في ليلة واحدة من ليالي آذار ، «ولعل الاغريق كثيراً ما راقبوا في دجى الليل السنة اللهيب تحرق ملكارت على كل شاطئ ، وفي كل ميناء حيث اقام الفينيقيون متاجرهم ومصانعهم ، فعلموا ، وقد امتلأوا دهشة . إن هؤلاء الغرباء العيجيبين إنما يحرقون الههم ، وربما نبتت اسطورة هرقل ورحلاته وموته في النار من هذه المحارق ، بيد أن الاغريق لم يستعيدوا الاسطورة فحسب ، بل عادة حرق الإله ايضا وسط اللهب على جبل اوتيا ، ونظن- وإن لم يكن لدينا نص صريح على ذلك- أنهم كانوا أيضا في كل مرة يحرقون تمثالاً لهرقل في المحرقة ، (فريزر 106-105 :1979) .

وإذا كان النظير الاغريقي له هرقل فإن نظيره الروماني هو (باخوس) أو على الأقل أنه كان يعبد في روما الى جانب باخوس أو ديونسيوس وهذا يعني ارتباطه باعياد القصف والمجون والخلاعة والخمر .

وكان الإله ملقارت سيد الآلهة في صيدا وقرطاج وقد ذكره هيرودوس وقال : إن معبده يحتوي على عمودين طويلين أحدهما من الذهب والثاني من الزمرد ، وكان العمودان يضيئان في الليل ، وارتبط ملقارت بالبحر والملاحة ويوجد مرفأ باسمه في صقلية ، ولا يستبعد أن تكون اعمدة هرقل هي نفس اعمدة ملقارت وقد قتل بالنار واحتفل الكنعانيون بصحوه السنوي في شهر كانون الثاني (انظر كورتل 51-50 :1993) .

وإذا كان هرقل مقابلاً لملكارت فإنهما يشتركان في المصدر الشمسي لهما حيث كان هرقل في بداية أمره إلهاً للشمس يخترق الظلام بسهامه النافذة ويشافي المرضى ثم تحول الى بطل نصف الهي نشأ وترعرع في طيبة ثم خاض مغامراته الشهيرة خصوصاً مع أسد نيما ومغامراته السبع الشهيرة (شكل 25) .

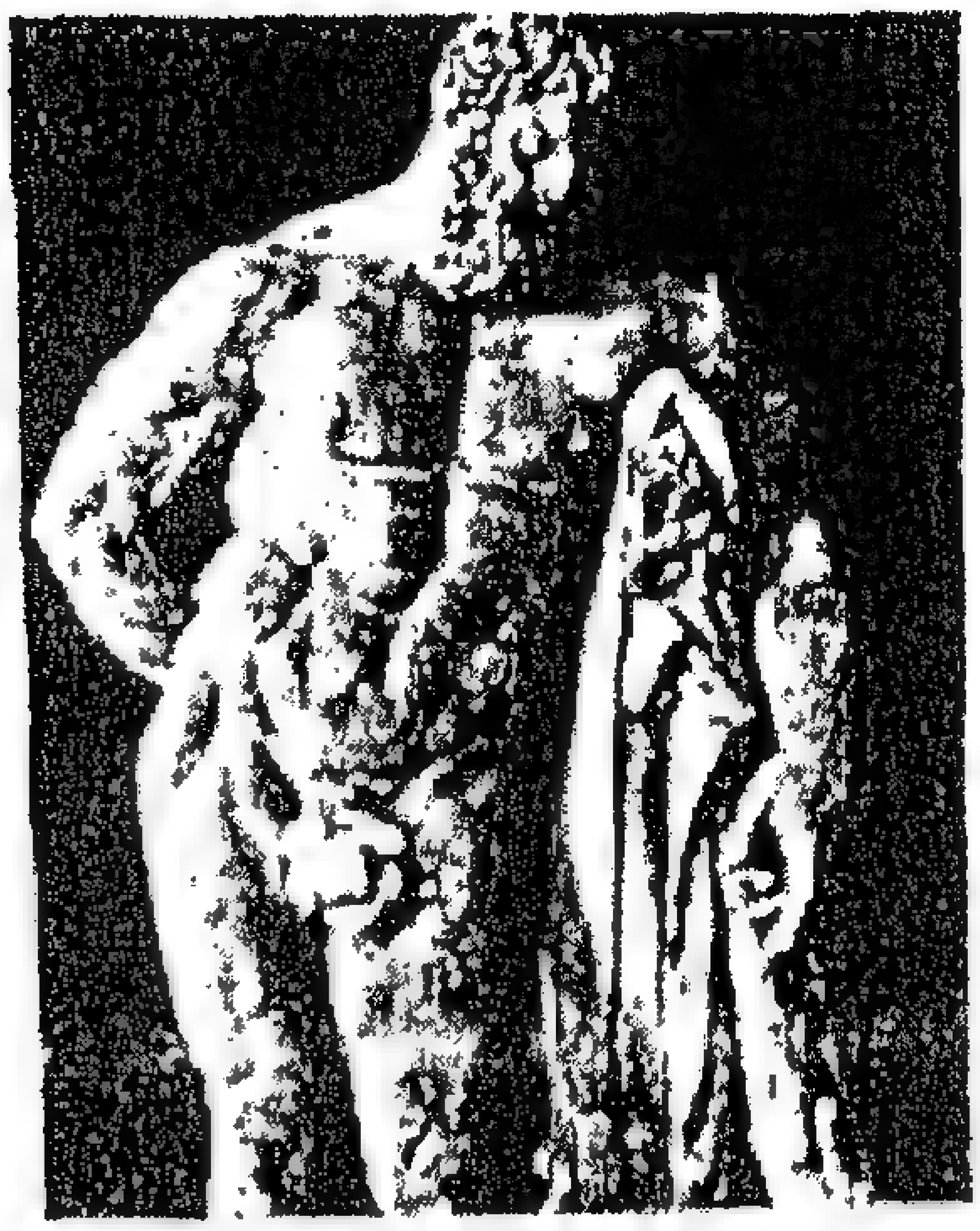

شكل(25)

هرقل (نظير ملقارت)

أ- وهو يتكئ على عصا. ب-مع هبريدس.

لقد ظهر اسم الإله (ملكارت) دائماً مع اسم الإله (اشمون) على أنهما إلها قسم وهو ما أظهره العقد الموقع بين الملك الآشوري اسرحدون مع بعل ملك صور (انظر اذزارد :1987 242) .

وقد كان الإله (اشمون) إله النار في الجيل البعلي الذي كان يرتبط بعلاقة مع الإله (أدون) من نفس جيله ، أي أن الايقاع المتمثل بظهور الإلهين (دامور وملكارت) في جيل إيل هو ذاته الذي أظهر الإلهين (أدون واشمون) في جيل بعل لتطابق وظائف هذه الآلهة مع بعضها . . وهي وظائف تتراوح بين (الخصب والنار) ويجمعها نبض العالم الاسفل .

● ● ●

لقد ظهر في جيل الإله إيل مع الآلهة الممثلة للعناصر الكونية الأربعة مجموعة من المردة والعماليق والجبابرة والشياطين . بعضها اكتسب صفات ايجابية خيرة مثل عماليق الحضارة وبعضهم اكتسب صفات سيئة شريرة مثل تيفون .

وتذكرنا هذه الصورة بما ظهر في جيل التيتانات (جيل كرونوس) في البانثيون الاغريقي حيث ظهرت بالاضافة للنسل المرتبط بكرونس مثل ريا واوقيانوس مجاميع أخرى من

الكائنات المخية مثل الصقالية (السايكلوب ذوات العين الواحدة) والعمالقة ذوو المائة يد وغيرهم .

أما في البانثيون الكنعاني فإن الصورة هنا مازالت مشوشة بعض الشيء حول هذه المخلوقات والتي يمكن أن نصنفها كما يلي :

عماليق الحضارة (معلمو البشر)

وهم مجموعة من الكائنات الإلهية الضخمة التي ذكرها كل من فيلون الجبيلي وسانخونيتن لكن هناك اختلافاً حول عددها واسمائها ولكننا نذكرها هنا لأنها التي قدمت للإنسان نواميس الحضارة وسبل الحياة وهم يشبهون من هذه الناحية الـ(أبكالو) السومريين وهم الحكماء السبعة الذين قدموا الحضارة للبشر وكانوا مثل مخلوقات الإله (إنكي) أو (إيا) يظهرون بأشكال سميكة (انظر الماجدي 170 :1998) .

ويمكننا أن نحصي من هذه المخلوقات أو الابكالو الكنعانية ما يلي :

1- فوس الذي اخترع الضوء .

2- فير == النار .

3- فلوكس = = الشعلة .

4- هفسورايلوس الذي اخترع أو استعمل الواح القصب .

5- خوسور الذي استعمل المعادن .

6- صيد إله الصيد البري والبحري .

7- تحوت(تؤوتوس) الذي اخترع الكتابة .

8- إله الزراعة والري

9- إله الماشية .

10- إله الطوب .

11-إله صناعة الألبسة .

12-إله العجلات .

ويضاف لهؤلاء ملكارت :إله العدل وأوسوس : إله الملاحة .

وظهر من أول الآلهة والبشر نسل (النو ر والنار اللهب) وكان عددهم حوالي مئتان من ذرية كنعان الاولى الذين تزاوجوا وانجبوا اولاداً ضخام الاجسام ، طوال القامات ، وسميت الجبال التي ملكوها باسمائهم وهي(قاسيون ، لبنان ، انيتلبنان ، براتي) الذين نرى أنهم يميلون لكونهم آلهة اكثر من كونهم بشراً أو أنهم انصاف الهة مثل عماليق الحضارة .

تيفون :

وهو التنين الكبير الذي يقابله بنفس الاسم تيفون الاغريقي الذي يقاتله هرقل ، في حين يقاتل ملكارت هذا التنين وهو في طريقه الى ليبيا . وسيظهر هذا التنين تحت اسم (يطفن) في اسطورة بعل وامهات ، وتطابق كلمة (طفن) معنى(قتل) ، ونرجح أن يكون تيفون هو جذر الافعى في اسطورة الجنة التوراتية .

ب-الأنثربوغونيا الكنعانية (خلق الإنسان)

ظهرت الطبيعة والآلهة في اساطير الخليقة السابقة وكأنها شيء واحد ، فهل اختلف خلق الانسان عن ذلك؟

الإنسان من الاساطير الكنعانية خلق مع الآلهة الأولى ، الكونية منها بالذات ، وبدا كما لو أن الإنسان كان في بدايته إلهاً ، أو ان الآلهة ، كلها ، كانت بشراً ثم وقع التألية عليها .

ورغم أنه لا توجد صراحة اسطورة خلق انثروبوغنية (خاصة بالانسان) كنعانية في مدونات أوغاريت أو نصوص ببلوس أو النصوص الهيلنستية ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من استنتاج خاص لهذه الانثروبوغونيا .

إن هذه الانثروبوغنيا التي مازالت قيد الغيب ولم تكشف عنها الآثار حتى يومنا هذا تحف بها انثربوغونيات مشابهة سومرية وبابلية واغريقية ولكننا يجب أن لا نندفع بسهولة وراء مثل هذه المغريات إلا إذا وجدنا مسوغاً حقيقياً ومقنعاً لذلك . إننا لا نجد ، بصراحة ، ما يشير الى ذلك ولذا نحذر من الاندفاع في الاستنتاجات والفرضيات . ماذا نفعل إذن؟

لقد اهتدينا الى حل آخر انطلاقاً من منطقة مثولوجية أخرى هي : المثولوجيا العبرية ، فهي القادرة على الإيحاء بما كانت عليه الانثروبوغونيا الكنعانية وهذا يعني ان الكنعانيين

هم الذين ابتكروا اسطورة خلق الانسان الأول ، ثم أخذها عنهم العبريون ، وهو ما يتفق مع آراء العلماء حول الجذور الكنعانية للمثولوجيا الاولى .

كيف يمكن تخيل الجذر الكنعاني لهذه الاسطورة (على مستوى الاسماء)؟ لنعد الى شجرة الآلهة الكنعانية حيث نرى أن الإله الأول (يم) يلد(شمتم) الذي يظهر منه إله ذكر هو (شم) وإلهة أنثى هي (تم) ومنهما ظهر نسل الآلهة اللاحقة .

ولنقف هنا قليلاً .

لقد نظر الكنعانيون الى خلق الآلهة والبشر سوية ووضعوا سياقاً واحداً لهما واعتبروا أن الآلهة والبشر والكون قد ظهروا من إله واحد أزلي قديم هو الإله (يم) . وهو ما يختلف عن نظرة السومريين والبابليين لخلق الانسان ، ويتفق مع نظرة المصريين لخلق الانسان .

رأي الكنعانيون أن الإله(شمتم) أظهر منه وفق سياق واحد الآلهة والبشر ، . . ولذلك كان يجب التمييز بينهما على صعيد الاسماء وهكذا نرى أن (شم) الإله يتحول الى شاميم وأن (تم) الإلهة تتحول إلى (أديم) وهي أدمة أو ارسو إلهة الأرض .

أما (تم) المرأة الأولى فهي (دم) و(دمة) و(أدمة) لكنها بهذه التسمية تطابق إلهة الأرض ولذلك اعطيت اسماً آخر كان موجوداً في المثولوجيا السومرية هي (ننتي) . . التي كانت توصف بأنها ابنة إله السماء وهي إحدى الهات الشفاء وتسمى (السيدة التي تحيي) ، أي : (حواء) هكذا طوبقت (أدمة) مع (حواء) واصبح اسم حواء هو الدال عليها ولكي نثبت هذا نقول أن اسم الالهة (ننتي) كان يعني أيضا(سيدة الضلع) ؛ لأن كلمة (تي) تأخذ معنيين هما(حياة) و(ضلع) . وهكذا استدعى هذا الخلط ابتكار الاسطورة العبرية الشهيرة التي تقول بأن حواء خرجت من ضلع آدم خصوصاً وأن اسطورة (إنكي وننخر ساج) تشير الى ذلك عندما تقوم الإلهة (ننتي) بمشافاة ضلع إنكي (انظر كريمر 205 :1957) .

والآن بقي لدينا الإله (شم) الذي كان يجب أن يتميز أيضاً عن الرجل الأول (شم) وقد تم ذلك عن طريق تذكير اسم حواء القديم (أدمة) وجعله مرادفاً له لكي يتم التخلص من اسم الإله (ثم) وهكذا أصبح (شم) الرجل هو (آدم) .

وأصبحنا الآن أمام أربعة اسماء متداخلة ومتناظرة هي (شم) الإله الذكر ومعه (آدم) و(أدمة) الإلهة الانثى ومعها (حواء) .

وبالطبع فإننا لا نعرف على وجه الدقة ما هي الاسطورة الكنعانية لخلق آدم وحواء ، رغم أننا كشفنا عن أصل اسميهما ، ولا نعرف كيف حور وتصرف العبريون بهذه الاسطورة ونحتوها وفق معتقداتهم .

وإذا مضينا في الاستنتاجات فسنجد أن ابناء آدم وحواء في الاسطورة العبرية تتفق مع تسلسل الآلهة الكنعانية ويمكن استنتاج اسمائهم منها أيضاً . (انظر المخطط 4) .

المخطط (4)

تناظر الآلهة والبشر الأوائل في الخليقة الكنعانية

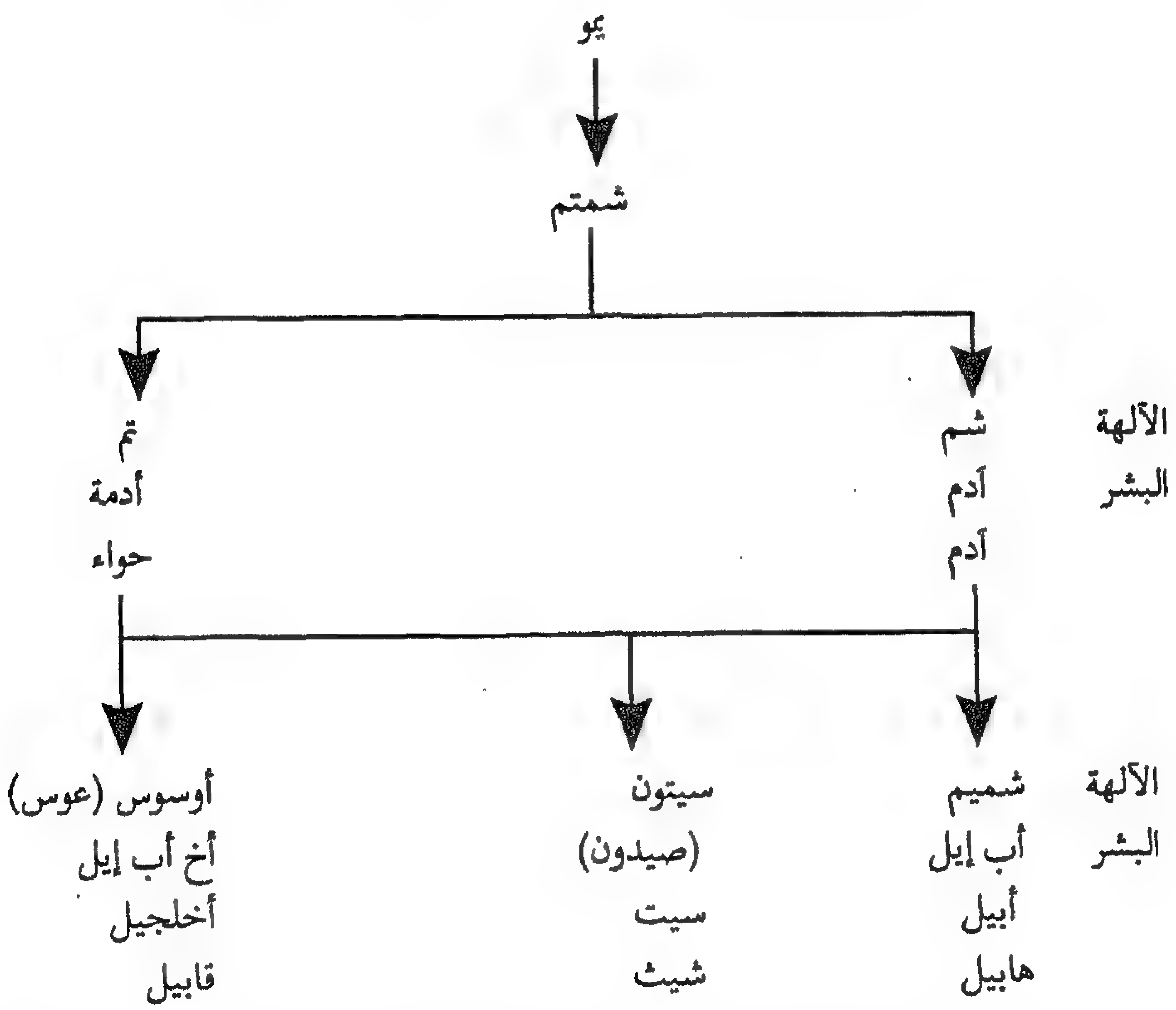

يظهر إلهان رئيسان من (شم) و(تم) هم شميم وأوسوس (عوس) ويجري استبدال صورتهما البشرية بأسماء جديدة حتى لا تختلط بأسماء الآلهة وهنا يجري نوع آخر من نحت الاسماء .

الإله (شميم) هو أب للإلهه إيل ولذلك يسمى (أب إيل) ثم يتحور هذا الاسم ليتكون اسم (هابيل) وهو اسم الابن الاكبر لآدم وحواء والذي يناظر الابن الأكبر للإله شم أو شام .

الإله (أوسوس) أو (عوس) أو (أش) وهو الإله المرتبط بالنار يسمى بشرياً (أخ أب إيل) لأنه فعلاً اخ شميم ويتحور هذا الاسم الى (أخابيل) ثم تتحول الخاء الى قاف فيكون (قابيل) وهو اسم الابن الاصغر لآدم وحواء والذي يناظر الابن الاصغر للإله شم .

وقد ذكرنا أن عداوة تنشأ بين الإلهين (شميم) و(عوص) ولذلك تنسحب هذه العداوة بين الولدين (هابيل) و(قابيل) ويأخذ هابيل شكل الراعي أما قابيل فيأخذ شكل الفلاح ، وتعيننا الاسطورة السومرية التي تتحدث عن المنافسة بين الفلاح والراعي .

ويقوم قابيل بقتل هابيل وهكذا يجنح نسل قابيل نحو الجنس البشري أكثر ويظهر من نسل عوص معلمو الحضارة الاوائل أما نسل هابيل فيبقى في إطار الآلهة رغم أنه ينقطع على مستوى البشر لكن نسل قابيل هو نسل ناري شرير في الجوهر . لذلك يخترع مؤلفو الاسطورة العبرية شخصاً آخر من آدم وحواء وهو من نسل (شميم وأدمة) هو الإله (سيتون) الذي يتحول بشرياً الى الإله(شيت) الذي تنحدر منه سلالة البشر الاتقياء ويظهر منه بقية المصلحين القدماء (أنوش ، مهللئيل ، يارد ، اخنوخ ، متوشالح ، لامك ، نوح) عند العبريين .

ولا نملك كنعانياً ما يدعونا للاسترسال مع بقية هذا النسل . ونكتفي باثباتاتنا السابقة حول أصل اسماء آدم وحواء وقابيل وهابيل وشيت وهو في رأينا استنتاج جديد لم يذهب اليه أحد قبلنا . ونضيف هنا الى سلسلة الاستنتاجات السابقة التي فصلناها .

ورغم أن الحديث الغامض والملتبس الذي يتحدث به فيلون الجبيلي حول البشر الأولين لا يمكن ان يكون مقنعاً إلا أننا نذكره هنا على سبيل التوثيق فهو يرى أن الريح تزاوجت مع باعو وانجبت ايون (الحياة) و(يون) الأول وهو الابن البكر اللذان انجبا يون الذي هو آدم وبينا التي هي حواء . ومن تزاوجهما ظهر النور والنار اللذان انجبا العماليق .

هذا الكلام المشوش والذي تشوبه المسحة الهلينسية لا يمكن أن يكون دقيقاً رغم أنه يحوم حول الاستنتاج الدقيق الذي وضعناه . إن البشر وفق الاساطير الكنعانية تعلموا الحضارة من آلهة الحضارة او عماليق الحضارة الذين تختلط شخصياتهم بالشخصيات

الانسانية مثل صيدون وملكارت وتؤوتوس (تحوت) و(خوسور) . . الخ وهذا التداخل طبيعي جداً بالنسبة للشخصيات المتعايشة مع بعضها والحالة واحدة مكان الأخرى .

2-أساطير إيل

لا ستعفنا الاثار الكنعانية بالكثير من اساطير ايل التي نرى أنها المركز الأول الكبير الذي تلتف حوله المثولوجيا الكنعانية يليه في ذلك الإله بعل . . لكن أخبار وحكايات واشارات الإله كثيرة إضافة الى اساطيره الصريحة او التي يأتي ذكره فيها .

وقد اهتدينا الى وضع مخطط فرضي يشير الى دورة حياة الإله إيل والاساطير التي يمكن أن توجد في سيرته من خلال تلك المعلومات المبعثرة عنه .

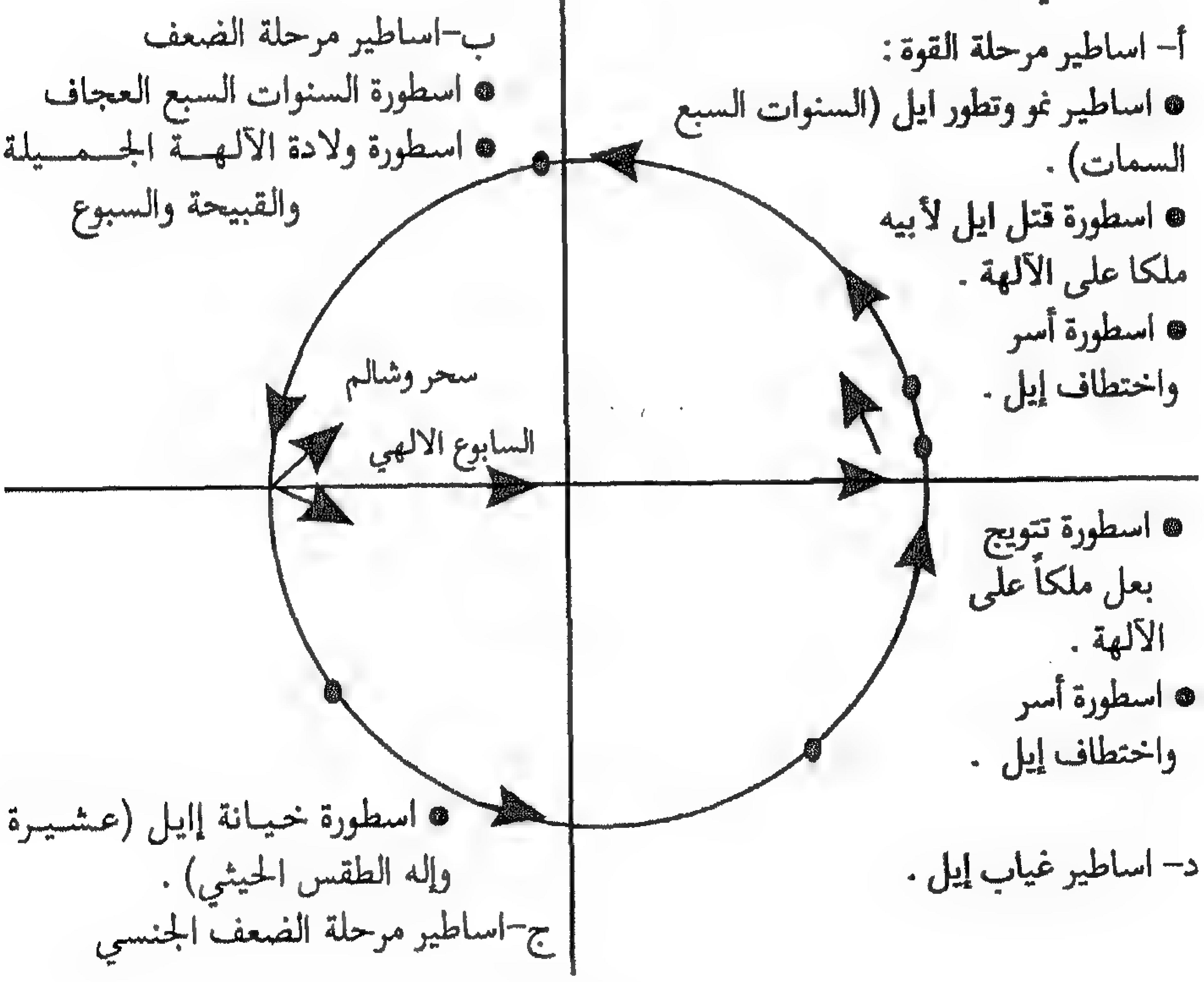

مخطط (6)

الدورة المثولوجية للإله إيل.

أ-أساطير مرحلة القوة

● **ولادة الإله إيل وحجزه لأبيه** : حيث يرى فيلون الجبيلي وسنخونتين أن الإله (شاميم) ، إله السماء كان له زوجات كثيرات أنجب منهن ذرية لاحصر لها ، ومنها أنه هجر زوجته إلهة الأرض (أدمة) وحاول قتل ابنائها مراراً وبلا هوادة ، لكن ابنه البكر ايل عندما كبر وأتخذ من الإله (تحوت) أو (توت) إله الكتابة (الذي عرفه الساميون فيما بعد في الملاك جبرائيل) كاتباً لاسراره ثم أشعل حروباً طاحنة ضد أبيه لاهانته لأمه الأرض ، وهكذا تمكن بعد ذلك من الانتصار على أبيه وتمكن من اصطياده وحبسه في اعماق الهاوية .

ثم بدأت مرحلة البناء فبنى الإله إيل مدينته الأولى (جبيل) أو (بيلوس) في فينيقيا وسمي ، بعد أن اصبح ملكاً للآلهة مكان أبيه ، باسم (إيل الوهيم) أو (رب الأرباب) .

وبذلك يشبه ايل الإله الاغريقي كرونوس إله الزمان ، ويرى فيلون أن ايل يملك أربع عيون : عينان الى الامام ، وعينان الى الخلف عينان مفتوحتان وعينان نائمتان ، ومعنى هذا أنه كان في مقدور هذا الإله إيل أن ينام متيقظاً ويستيقظ وهو نائم (انظر عبد الحكيم :1978 47) .

ويذكر أن له ستة أجنحة وسبعة رؤوس .

● **تضحية إيل بابنه (شديد)**: كان لإيل ولد وحيد اسمه (شديد) أو (سديد) ، وكان ايل يخاف من أن تكرر الاقدار افعالها ويقتله ابنه هذا مثلما فعل هو مع أبيه فقام بقتل وذبح ابنه هذا ، ثم فعل نفس الشيء مع ابنته .

● **شاميم يبعث له بانتيه** : سئم والده شاميم من الحجز أيض فبعث له بابنتيه (عشتروت) واختها (ريا) التي كانت تسمى أيضا (ديونا) و(سميرنا) و(بعلتي) للايقاع به ، لكن إيل تمكن من استمالتهن وتزوج بهن ، وإذا أتفقنا مع الشجرة الإلهة الكنعانية فان (ريا) ستكون غير بعلتيس وهكذا تلد اخواته الثلاث مجموعة من ابنائه وكما يلي :

1-من (عشتروت) ينجب سبع بنات تيتانات (طيطيات) أو الترابيات .

2-من (ريا) ينجب سبع ذكور هم الكروبيم ومنهم الإله (موت) وهم آلهة الارض السفلى اوالشياطين .

3-من (بعلتيس) او (ديوني) ينجب سبع بنات .

• **زوجته الكبرى (عشيرة):** لكن زوجته الاساسية هي (عشيرة) وهي الالهة الكنعانية الأم وريثة أمها إلهة الارض (أدمة) ، ومن عشيرة ينجب الإله أيل سبعين إلها هم آلهة الطبيعة الجدد ، وهم نسل الجيل القادم وعلى رأسهم بعل وعناة اللذين سيرثان مقام إيل وعشيرة .

• **قتله لأبيه شاميم :** بعد أن حكم إيل (32) عاماً عاد فأوقع بأبيه الذي حاول أن يتخلص من أسره وحين امسكه مزق اطرافه واعضاءه وألقى بها مع دمه في مياه الينابيع والآبار والأنهار .

• **توزيع الأرض على زوجاته وأبنائه:** بعد أن أصبح الإله ايل الملك المطلق للكون والارض وزع الارض على زوجاته وبناته واولاده وكان من حصة زوجته عشتروت اثيكا في اليونان ، أما بعلتي فأخذت عاصمته (جبيل) ، أما بيروت فقد منحها لبوصيدون إله البحر .

واكتفى هو وزوجته بمكان إقامته الدائمية عند منبع النهرين (ولا نعرف أي نهرين) وقرب مصدر المحيطين (ثمتم thmtm) وتشير هذه الكلمة الى مفردها (ثمت أو تمت) وربما أشرت الى تيامت الهة المياه الأولى البابلية وبذلك يمكن أن يكون النهران هما دجلة والفرات لأنهما ينبعان من مياه المحيطين عند البابليين (انظر الماجدي 1999أ : 45) .

ويقال ان إيل كان يسكن جزيرة عند منبع النهرين ، وبذا يقربنا هذا المشهد من صورة (دلمون) (جزيرة البحرين) في الخليج العربي التي يمكن أن تكون ارض ايل . . ولم لا ؟ فقد كانت في الأساطير السومرية أرض إنكي (إيا) إله الماء القريب في صفاته من إيل وهي الجنة السومرية القديمة ، وقد يقربنا هذا الاستنتاج من الأصل الرافديني للكنعانيين الذي تحدثنا عنه سابقاً .

• **منح مصر للإله تحوت :** كان الإله (تحوت) أو (توت) هو الذي أعان إيل في شبابه وأصبح مودع اسراره وموجهه في التعامل مع أبيه واحتجازه ولذلك أعطاه اقليم مصر تحت حكمه .

والإله (تحــوت) يرجع في أصله الى الإله (توت) أو (توتو) وهو لقب الإله البــابلي الآشوري (تيو) إله الحكمة والكلمة وابن الإله مردوخ .

ب-أساطير مرحلة الضعف

يبدو أن تقسيم مملكة ايل واعتزاله الحكم في جزيرة نائية تشكل بداية مرحلة الضعف وبدء الشيخوخة ولكنها لم تأت دفعة واحدة بل استغرقت زمناً طويلاً ، فقد أصبح الإله ايل مشرفاً ومرشداً رمزياً للعالم والبشر .

1- اسطورة التضحية بولده جنود أو وحيد

ربما كانت كارثة الوباء أو ا لجفاف هي ذاتها السنوات السبع العجاف التي عالجها ايل بالتضـحـيـة بابنه(جنود) أو (وحـيـد) من حـورية البـحـر(انوبرت) أو (عين عـبـريت) أو (عفريت) والتي نرى أنها الإلهه (بيروت) أو (بارات) إلهة مدينة بيروت التي رفعها فيلون الجبيلي الى مستوى الإلهة الأم قبل إيل وزوجها بالإله(عليون) الذي جعل منه إله السماء مكان شاميم كما اسلفنا .

وكان ابنها هذا وحيداً ولكنه لاقى نفس المصير الذي لاقاه سديد فقام بالتضحية به فوق المذبح وهو يرتدي ملابسه وإشاراته الملوكية في سبيل والده إله السماء (ربما لانه شعر بالذنب وربما دعاه لينزل المطر في هذه السنوات العجاف) .

وتشبه هذه الحادثة ما فعله ابراهيم مع ولده اسماعيل (في الرواية العربية) ومع ولده اسحاق (في الرواية العبرية) خاصة وأن هناك من يطابق بين ابراهيم وايل .

2-أسطورة ولادة الآلهة الجميلة والقبيحة والسابوع الإلهي

ويمكن أن نـسـمـيها أيضا أسطورة نهاية السنوات السبع العجاف وبداية السنوات السبع السمان (دورة السنوات السبع) . ويتكون نص هذه الاسطورة من حوالي (12) مشهداً هي كما يلي :

1-دعوة الآلهة والملك والملكة لحضور الاحتفال في الهيكل ونجد معهم اتباعهم والقادة العسكريين والمدنيين والكهان ، وهذا الحقل مخصص لتجديد قوى إيل التناسلية

بعد تقدمه في السن لتنتهي السنوات السبع العجاف وتعود قوى الخصب والخير الى الأرض .

2-طقس فرك الكروم : حيث تجري عملية تهذيب الكروم التي ترمز الى الموت ، ثم تجديد الحياة ، وهي نوع من القداس الالهي تجري فيها قطع وبتر شخصية الهية تسمى(المو ت والشر) صاحب صولجاني الحرمان والترمل . وهو الكرم أو إله الكرم ويشير لون الكروم الأحمر المائل الى السواد الى هذا القداس الإلهي .

3-تلاوة نشيد الولادة وحفظ الإلهة السبعة الخيرة (السابوع الالهي) الذي سيرعى فيه كل إله سنة من السنين السمان القادمة .

4-طقس طبخ الجدي في لبن أمه : وهو طقس كنعاني قديم معروف (تذكره التوراة معترضة عليه) ويتم ذلك في حقول عشيرة الفردوسية زوجة إيل ومعها عناة إبنتها .

5-صراع عناة (رحماي لاس) مع البطل الطيب وهومشهد يصور شخصية عناة (ابنة ايل) وقوتها أمام الابطال .

6-مشهد مساكن الآلهة والشعائر ذات الاركان السبعة .

7-الغيرة على الاسماء الإلهية لمعبودات(أبناء شاروما) .

8-دعاء الآلهة الطيبة التي ستلد وترضع ثدي عشيرة ، ويقوم كبار القوم بتحضير الضحايا الطيبة للمأدبة .

9-مشهد حقول الفردوس حقول عشيرة وعناة .

10-المشهد الرئيس الأول : ولادة الهي الفجر والغسق .

ويبتدأ هذا المشهد عند ساحل البحر حيث يظهر الإله ايل الشيخ وهو يخلق إلهتين على النار ، وربما كان هذا المشهد هو قيام الإلهتين عشيرة وعناة بالرقص قرب النار على الساحل حيث يردد الراقصون أمامهما نشيداً لإكثار حليب الثدي لأن وظيفتهما ارضاع الآلهة القادمة الجديدة ، وتتم الإشارة الى أن ايل في هذه السنوات العجاف مازال فاقداً لقواه الجنسية فهل ستقوم الإلهتان بإحياء قواه الجنسية ؟ ثم يدخل إيل والإلهتان الى منزله وهناك يتعرى إيل لكن قضيبه ينزل (غير قادر على الانتصاب) . فيتدارك الموقف وينطلق الى السماء ويصيد طائراً ينتف ريشه وينظفه ثم يشويه على النار ، ويحاول مجامعة الإلهتين :

«إذا صاحت النساء أيها الزوج الزوج
لقد أُنزل قضيبك
وسقطت عصا يدك
حين يشوي الطائر على النار
نعم يشوي على الفحم
ثم أن النساء زوجات إيل
زوجات إيل وله الى الأبد
ولكن النساء إذا صحن : يا أبتاه ، أبتاه .
هبط قضيبك
وسقطت عصا يدك
حين يُشوى الطائر على النار
نعم يُشوى على الفحم
والبنات بنات إيل
بنات إيل الى الابد» (جوردن 163 :1974) .

ولكن العجز الجنسي يكون قد دب نهائيا في اوصال ايل ولا ينجح في مضاجعتهما جنسياً ولكنه يخترع طريقه أخرى هي الإتصال العاطفي بدلاً من الإتصال الجنسي ، فينحني عليهما ويقبل شفاهما الحلوة كالرمان (ومن التقبيل يكون الإخصاب ومن الإخصاب يكون الحمل) كما تقول الأسطورة . وهكذا تدخلان في المخاض وتدلان الهين هما الإله شهار والإله شاليم ، إسلها الفجر والغسق وهما الهين جميلين يمكن ان تكون وظيفتهما في مساعدة فعل الاخصاب في السنوات السبع السمان ولكنهما ليسا إلها أخصاب بالمعنى الدقيق . .إنهما إلها حب وعاطفة وهكذا يرفعهما الإله إيل بعد ذلك الى السماء ليكون (شهار) هو نجم الصباح الذي يشير الى الخير ، وليكون (شاليم) نجم المساء ، الذي يشير الى العطاء(شكل 26) ثم يستمر الإله إيل بهذا النوع من الاتصال العاطفي مع عشيرة وعناة .

11- يلد منهما إلهين طيبين اخرين ولكنهما ماردين نهمين لهما شفة تمتد الى الأرض وشفة الى السماء بحيث تدخل فيهما طيور السماء واسماك البحر . وكان هذان

الإلهان نهمين ولا يشبعان في أمر ايل بأن يوضعا في أرض القفر (الصحراء) حتى يصلا ذات يوم الى فلاح يزرع الحنطة فيطلبا منه أن يقدم لهما طعاماً وشراباً فيجيء لهما بالطعام والشراب . . وهنا ينقطع النص .

ويبدو من قراءة متأنية للنص ولنصوص أخرى محاثية أن هذين الإلهين ينتميان الى آلهة تسمى (جزريم) وتعني (الآلهة القاطعة او القاتلة) وربما عنت نوعاً من الآلهة الملتهمة التي يضعها إيل في العالم الاسفل (بدلالة الصحراء) وهي تشبه الفيلان والسعالي .

12- والسؤال الآن . . ماذا عن السابوع الإلهي وكيف سينجبه إيل ليزيح به جدب السنوات السبع؟ لأنها لا تذكر صراحة في النص .

ونرجح أن الإله إيل ينجب هؤلاء الآلهة السبعة أما بنفس الطريقة العاطفية (الاحتضان والتقبيل) أو عن طريق الكلمة حيث كلمة إيل هي المطر . ثم يخاطب إيل ابناءه السبعة ويوجههم الى البرية :

«أنتم هناك ستقيمون بين الأحجار والأشجار
سنين سبعاً سوياً
بل ثمان دائرة (سنين)
حتى تزرعوا أيها الآلهة الخيرون الحقل
حتى تزرعوا اركان البرية» (المرجع السابق : 170) .

تمثل لنا هذه الاسطورة المركبة الطويلة نسبياً عدداً من المشاهد الأسطورية المؤلفة في نص واحد طويل غلبت عليه الصفة الدرامية ولذلك انقسمت الموجات النص الطينية الى «اقسام بخطوط أفقية رسمها الكاتب ، أما النص ففي شكل تمثيلي مع ارشادات مسرحية تبين الموضوع وشخوص المسرحية في مختلف المناظر .

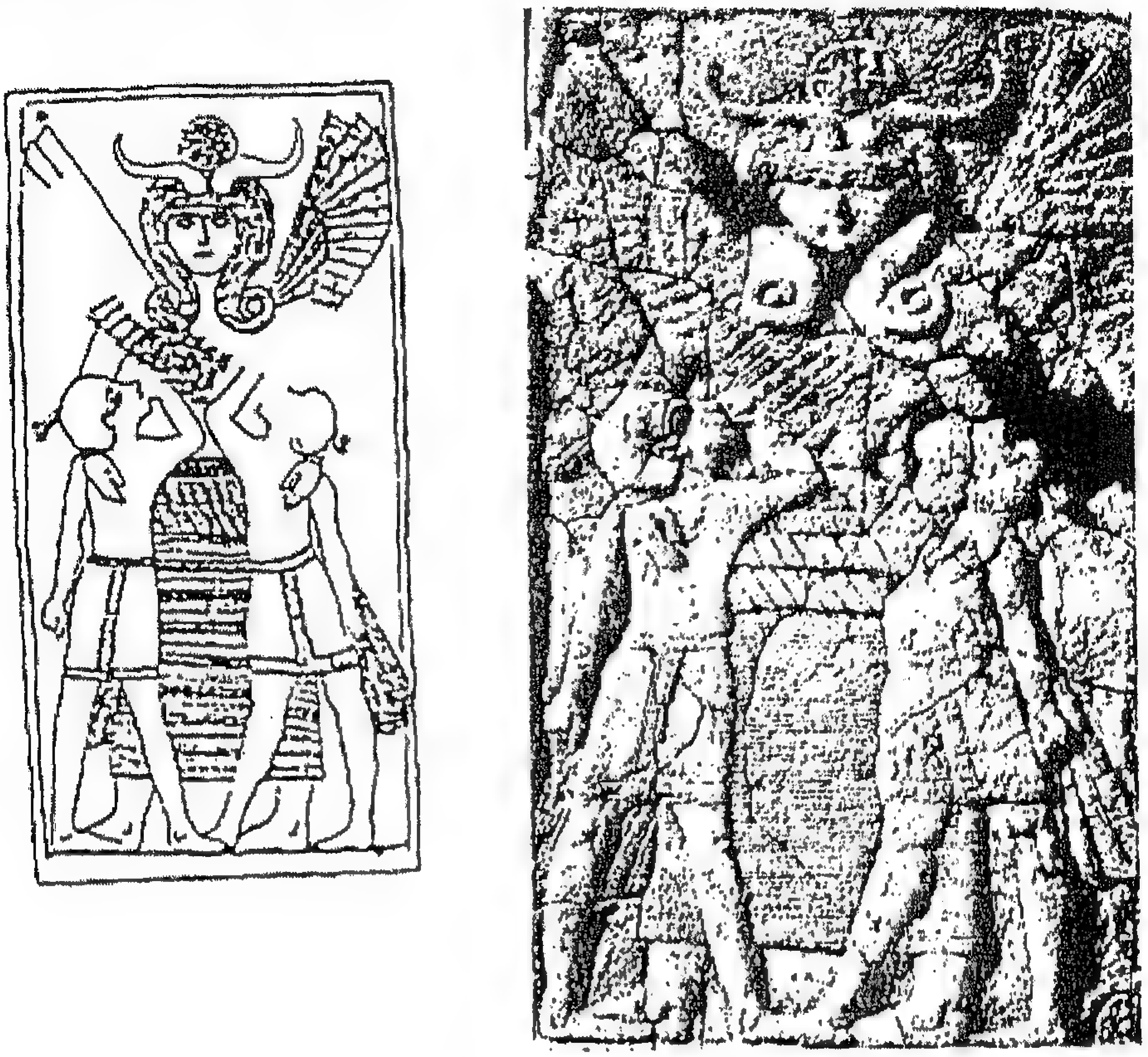

شكل (26)

لوح من العاج للإلهة عناة ترضع أميرين أو إلهين.

عثر عليه في اوغاريت ويعود النص الثاني إلى الألف الثاني ق.م

وكانت أصول التمثيلية دينية حيث يقوم النص علماً من أعلام الطريق الى فجر تاريخ التمثيلية الكلاسيكية (الاغريقية) ، (جوردن 161 :1974) .

وهذا يعني أن هذا النص يشير الى امكانية تنفيذه دراميا في شكل مسرحي شرقي قديم . وقد قادتنا كل هذه الإشارات الصغيرة وغير المباشرة بعد قراءة تحليلية معمقة في هذا النص الى وضع فرضية جديدة حوله لعلنا نهتدي من خلالها الى وصف حقيقة هذا النص وهي أن هذا النص يمثل نص (عيد رأس السنة الكنعانية الأكبر) ونرى أن هذا العيد كان يمثل في بداية رأس السنة الكنعانية ولنقل بشكل أدق السنة الاوغاريتية .

ويشبه هذا النص في بعض أوجهه نص الـ(أكيتو) البابلي الذي يتحدث في سيناريو شعائري محكم عن الأيام الاثني عشر لعيد رأس السنة البابلية رغم الخلافات الجوهرية بينهما وخصوصاً فيما يخص الملك وعلاقته بالإله الذي يشكل أساس عيد الاكيتو بينما يكتفي النص الكنعاني بحضور الملك والملكة والاعيان في الاحتفال دون أن يكونوا جزءاً منه .

أما الاستنتاج الثاني الذي نود أن نضعه هنا فيخص الإلهين(شهار) و(شاليم) . فقد وجدنا أن هذين الإلهين المتلازمين لعبا دوراً كبيراً في مثولوجيات الأمم الأخرى كما سنرى . أما حضورهما في المثولوجيا الكنعانية فمازال غامضاً ومبشراً فهما يوصفان على التوالي بإلهي ، الخير والعطاء وهما إلهان جميلان خيّران .

ويدل الإله شحر(سحر) على وقت السحر أو الشفق قبل الفجر وأصبح يشار له بنجم الصباح (الزهرة قبل طلوع الشمس) . أما الإله شالم(سالم) فهو إله التسليم أو الوداع ويدل على النجم الذي يطلع قبل غروب الشمس في الغسق وهو (الزهرة قبل غروب الشمس) ويسمى نجم المساء أو نجم العشاء .

وكان الأموريون يعبدون الهين شبهين بهما هما (عزيز) و(منعم) وهما أيضا الها (الخير أو العز) و(الأنعام أو العطاء) ونجد لهما تسمية اغريقية باسم (ازيزوس) و(مونيموس) ويشار لهما ايضاً بنجمي الصباح والمساء . وكانا يسميان أيضاً في مدينة تدمر بـ(عزو) و(ارصو) (انظر جدول) ويرد اسم مدينة القدس (في فلسطين) في النصوص المصرية في عهد الاسرة الثانية عشر بصيغة (اورشالم) أي (مدينة شالم) أو (نورشالم)ونجد اسم شالم يندس في اسمي ولدي داوود (سليمان وابشالم) وفي الاسماء الاشورية (شلمانصر) .والملك المؤابي(شلمانو) وكان اسم (العزى) و(شالم) مرتبطاً بقوة بمدينة القدس وضواحيها منذ الألف الثاني قبل الميلا دحيث تجسد في نجم بيت لحم (انظر ادزارد 219-218 :1987) .

ونرجح ارتباط اسم الإلهة (إيزيس) باسم (عزيز) و(عزو) و(العزى) .خصوصا أن الإلهة ايزيس ترتبط بالنجم الذي يظهر في السحر وهي بذلك تتطابق مع الإله أو الإلهة (سحر) وكذلك نظيره ايزيس واختها (نفتيس) التي يرتبط اسمها بالنجم الذي يظهر في الغسق وهي بذلك تتطابق مع الإله أو الإلهة (شالم) (انظر الماجدي 1999ب : 87-86) .

وقد قادتنا كل هذه الاستنتاجات الى وضع فرضيتين هامتين حول الإلهين (سحر) و(شالم) هما :

1-إن هذين الإلهين هما الجذر القديم للإله (ايروس) إله الحب الاغريقي والإله موت إله البيضة التي خرج منها العالم وقد حصل هذا عندما رفع مرتبة هذين الإلهين من الهامش الكنعاني الى القمة الاغريقية ، فهكذا نجد بأن الخليقة الاغريقية تتحدث عن وجود الهين اولين عتيقين هما : (ايريب) و(نيكس) ينصلان عن السديم الهيولي الأكبر ويمثلان الظلام والظلمة لكنهما ما يلبثان ان ينفصلا فينزل ايريب ويحرر اخته (نيكس) التي تتجوف فتصبح كرة كبيرة في الفلك ، ثم ينفصل نصفاها كما بيضة تنشق نصفين ليخرج منها (ايروس) إله الحب وليرتفع النصف الأعلى ويشكل قبة الفضاء وينبسط النصف الأسفل ويشكل سطح الأرض . وهكذا تكتسب الارض والفضاء واقعاً مادياً ويصير الحب قوة طبيعتمها الروحية وصار ايروس هو الذي يؤمن تماسك الكون الناشئ ، ومن أنحاء الفضاء على الأرض ، وجماعهما ، بدأت السلالات الإلهية (انظر غريمال 23-22 :1982) .

أما الإله (موت) فيظهر في رواية كوزموغونية أخرى حيشتيوم الإله ايروس (الذي قد يسمى بوثوس أو الرغبة) الذي يظهر (موت) وهو البيضة الكونية التي تفقس وتنقسم الى قشرة عليا هي السماء (اورانوس) ومادة سفلى هي الأرض (جيا) .

ونحن نرجّح أن (ايروس) و(موت) ما هما إلا (سحر) و(سالم) الكنعانيين حيث يقابل اسم موت الغروب والافول والغسق ، بينما يقابل ايروس الظهور والشروق والحب والرغبة (سحر) .

2- إن هذين الإلهين هما الجذر القديم للثالوث العربي الوثني القديم (اللات وعزى ومناة) ، وهنّ الغرانيق العلا وبنات الله كما كانت تسميهم قريش قبل الإسلام .

فقد عرفنا أن الإله /الإلهة (سحر) ظهرت باسم (ايزيس) و (عزى) . أما الإله /الإلهه (شالم) فتدل على الغروب وموت الشمس واختفاؤها ، « والإلهه (مناة) في منشئها إلهة الموت والقدر عند البابليين العراقيين وعرفت بنفس اسمها العربي عندهم (مناتو) ، وعن البابليين عرفها الكنعانيون والآراميون والأنباط .

جدول(3)

تحوّلات إلهة الزُهرة بشكليها النهاري
(نجمة الصباح) والليلي(نجمة المساء)

نوع الأساطير	نجمة الصباح		نجمة المساء	
	اسمها	مدلولها	اسمها	مدلولها
الكنعانية	شهار	السحر	شايم	الغسق
الأمورية	عزيز	الخير	منعم	العطاء
البابلية	عشتار	الحب	مناتو	الموت والحرب
المصرية	إيزيس	الحب والامومة	نفتيس	سيدة الدار (الشفق)
الاغريقية	إيروس	الحب	موت	البيضة الكونية الأولى
التدمرية	عزّو	النهار	أرصو	الأرض (العالم الأسفل)
العربية	العزّى	الحب ، النهار ، النار	مناة(منى)	الموت والقدر

الى أن وصلت عبادتها العرب الجاهليين فيما بعد فعرفوها بنفس الاسم أو ما يقاربه (منى) ، وذكرت منى متوحده مع الإله (حاد) اله قبيلة جاد في العهد القديم» (عبد الحكيم 1982: 644) .

إن ربطنا بين (سالم) و(مناة) له ما يبرره لأن كلمة (سالم) تعني التسليم والوداع والموت . كما أن العزى ومناة تشكلان وجهين لعملة واحدة فالعزى الهة الصباح ومناة إلهة الليل أو المساء وهما تعبيران عن إلهة واحدة هي إلهة (الزهرة) التي كانت تمثلها الإلهة عشتار التي تلقب بـ(الإلهة) عند البابليين أما عند الكنعانيين فتلقب الإلهة (عشيرة) زوجة ايل بـ(ايلات) أو (اللات) اي الإلهة . وهكذا نجد أن هذا الثالوث يعبر عن معنيين أحدهما شمسي تظهر فيه اللات كالهة للشمس والعزى وجهها المشرق ومناة وجهها الغرب .

والثاني نجمي تظهر فيه اللات كإلهة للزهرة العزى ظهورها الصباحي كنجمة للصباح ومناة ظهورها الليلي كنجمة للعشاء .

وهكذا تتفق الايقاعات المصرية (ايزيس ونفتيس) مع الكنعانية (اللات ،مناة) و(سحر ، سالم) مع العربية (اللات ، العزى ، مناة) وبذلك نكون قد أزحنا الغموض في شخصية الالهات العربيات الثلاث وفتحنا لغز اسمائهن واصولهن الكنعانية القديمة (انظر جدول 3) .

النقطة الثالثة التي نود الاشارة اليها هي ظهور الرقم (7) في عدة صيغ (سبع تلاوات لنشيد حفظ السابوع ، مساكن الالهة ذات الاركان السبعة) .

ولادة السابوع الالهي ، السنوات السبع العجاف والسبع السمان . . الخ) وبرغم أن الرقم (7) رقم مقدس عند السومريين بشكل خاص إلا أن ما يستوقفنا فيه هنا هو السنين السبع العجاف والسبع السمان فقد عكست البيئة الكنعانية نظاماً دورياً سبعياً للخصوبة والجفاف .

وكان تعاقب السنين من الجفاف والجراد نقمة مروعة يحرص الكنعانيون على تجنبها بأي ثمن ، وسوف نرى ان موضوع الآلهة الميته والحيّة ليس موسمياً او سنوياً ولكنه يحدث مرة كل سبع سنوات فهو يتصل بدورات من سبع سنين مخصبة وأخرى مجدبة (انظر جوردن 160 :1974) .

لكن الأسطورة تظهر احيانا رقم (8) ونتفق مع جوردن أن نصف القرن الواحد أي (خمسين سنة) فيها سبع دورات سبعية (7×7) تتكون من (49) سنة ، أما السنة المتبقية فتكون ثامنة بالنسبة للدورة الأخيرة ، وهكذا يحتوي القرن الواحد على سنتين مجربتين اضافيتين بعد كل سبع دورات . وتشير هذه الملاحظة الى دقة مراقبة البيئة والمناخ عند الكنعانيين .

جـ- أساطير مرحلة الضعف الجنسي

تستمر قوة ايل بالهبوط وتصل الى مرحلة الضعف الجنسي ، ويبدو أن الإله إيل في هذه المرحلة يختار العزلة في مقامه المائي عند النهرين ، وتبتعد عنه زوجته (عشيرة) حيث تختار منزلاً مستقلاً ربما كان على ضفة البحر او النهر ولا تتصل بإيل إلا في حالات خاصة حيث تذهب إليه بين الحين والآخر فقد أصبح ايل شيخاً لانفع من الإتصال الجنسي معه . ويتعزز

هذا الاستنتاج مع قصة اسطورة حيثية من أصل كنعاني تروي زيادة إله الطقس الحيثي (تيشوب) ، وهو الإله المناظر للإله الكنعاني بعل ، الى الإله إيل الذي تسميه الأسطورة الحيثية (إيل كونيرثا) في منزله ولا يجده هناك فتستقبله عشيرة في مخدعها وتراوده عن نفسه إلا أنه يقاوم اغراءها ويشكوها الى زوجها ويسرد على مسامعه إتهام زوجته له بأنه أصبح عاجزاً عن التصرف تجاهها فيغضب ايل ويطلب منه أن يستجيب لرغباتها الشبقة ثم يعمل على إذلاله وتحطيم عزتها (انظر اذزارد 166 :1987) .

وربما كان من بعض ايحاءات هذه الأسطورة تعاظم دورالابن (بعل) وبدء سيادته وحلوله مكان الأب(ايل) وهو ما سنراه بوضوح في أساطير المرحلة القادمة .

د- أساطير غياب ايل

لعل أهم ما يميز هذه المرحلة اختفاء ايل المتمثل باختطافه الى العالم مؤقتا . فقد حدد بلوتارك مكان اقامة ايل (في جزيرة) أو (الجدبة ، التي هي خلف الاوقيانوس الكروني) ، وفي بعض اساطيره ، أن حيتان البراري أسرته واحتجزته في إحدى الجزر القريبة من الجزائر الانكليزية (انظر عبد الحكيم 47 :1978) .

وربما كانت هذه الأساطير تمهد لاختفائه الكلي في العالم الأسفل ، أي موته . وهنا نكون بانتظار ظهور الإله الابن الذي يتحول الى ملك الالهة (بعل) .

وهكذا نرى أن ايل في مكانته وقوته من مقره الأول في السماء حتى مقره عند النهرين ثم في البحر ثم غيابه في البحر نهائياً .

هـ- أساطير جيل ايل

أما الآلهة الجايلة لايل فقد اقينا على ذكر أساطيرها ، فقد تحدثنا عن الآلهة الذكور (سيتون ، داجون ، اطلس ، بتيل) وتحدثنا عن الآلهة الايات(عشيرة ، عشتروت ، ريا ، بعلتيس ، انوبرت) كذلك فقد قفزنا الى الآلهة الجايلة لايل من الإله (اوسوس) ، وهما الإلهان دامور وملكارت .

3- أساطير بعل

أ-تطور شخصية بعل:

قبل الدخول في دورة الاساطير البعلية علينا معرفة هذا الإله بشكل دقيق لأنه يشكل جوهر العبادة الكنعانية .

كان لقب (بل) الرافديني يطلق على ملك الآلهة (مردوخ) وكان يعني (السيد) . ولا نعرف ما إذا كان الأموريون هم الذين ابتكروا هذا اللقب أم أنه وجد قبلهم عند السومريين ، لكن هذا اللقب سرعان ما انتشر عند الكنعانيين وأصبح يطلق على إله الطقس الشبيه في صفاته بالإله (مردوخ) . ولكنه أصبح يلفظ (بعل) . وكان يعني الرب ، المالك ، السيد ، الزوج . . الخ وتدريجياً اصبح(بعل) لقباً لكل إله . وكان بعل يلقب بعدة القاب في النصوص الاوغاريتية منها :

1-ألين : أي العظمة والقوة . وقد ورد لفظ (ألين قردم) أي أقوى الأبطال .

2-راكب الغمام (السحاب) : وهو لقب مألوف رافدينياً .

3-ذبل : الامير وقد ورد بصيغة (ذبل بعل ارض) امير وسيد الارض ومنها جاء بعل ذبوب اي سيد الذباب او صائد الذباب .

4-علي : المرتفع ويقصد به السحاب . ورد في ملحمة كرت ومنه جاء لقبا (عليون) و(عاليان) .

5-جمر : وكان يرد بصيغة (جمر هدد) و(جمر علي) .

6-هدد : بمعمى الطقس او المطر وهو ماله علاقة بالإله السومري (أدد) .

7-ابن داغون : يرد أحياناً بهذا النسب ، حيث ينسب الى الإله داغون إله الغيوم والحبوب والاسماك الذي يناظر الإله ايل ، ولكي يتم التفريق بين عبادة إيل الخيرة ، وعبادة بعل المدنسة بشكل خاص عند الاوغاريتيين .

لقد حصل خلط كبير في شخصية الإله بعل سببه جهل الكثير من الباحثين وعدم دقتهم في تناول شخصيته ولعل أهم اشكال هذا الخلط دمجه المبكر مع الإله (هدد) وهو الإله الارامي والذي لم يحصل إلا في عصور متأخرة جداً وربطه بالثور أو الأسد وهو ما نتحفظ عليه تماماً .

ولكي نراعي الدقة ذهبنا الى آثار اوغاريت الاقدم والاعرق فوجدنا عدم ارتباط اسم بعل مع هدد (ربما يرد لقب هدد نادراً لتقريب صورة بعل) ولكنه لا يلازمه مطلقاً . ثم أن المنحوتات المعدنية القديمة لبعل في اوغاريت هي الفصل في هذا الموضوع ، فقد ظهرت أقدم هذه المنحوتات مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد (انظر شكل27) حيث يظهر بعل على قدميه يمد يديه الى الامام أو يمد يداً ويسدل أخرى ، أما غطاء الرأس فيظهر بسيطاً مثل حز في الرأس مع أنف منقاري ، أو أن غطاء الرأس مخروطي مع وجه صغير وجسد نحيل .

ب

أ

شكل (27)

بعل في بداية النصف الأول من الألف الثاني ق.م (حوالي 1900 ق.م).

أ-تمثال فضي مغطى بالذهب- متحف دمشق.

ب-تمثال برونزي مغطى بالذهب- متحف بيروت.

وفي حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (حوالي 1500 ق.م) لا يظهر مع بعل أي حيوان كالثور او الاسد ، بل نشاهد الشكل العنيف القاسي لبعل (وهو ما يناسب صفاته) ويسمى عادة (بعلو الجبار) حيث يظهر بخوذة مدببة أو مخروطية (شكل 28) ويبدو قصيراً . ويقف غالباً وهو يمد يده اليسرى ويرفع يده اليمنى . ويبدو وجه الإله بعل شيطانياً بعيون غائرة أو جاحظة مشوهة وفم مفغور .

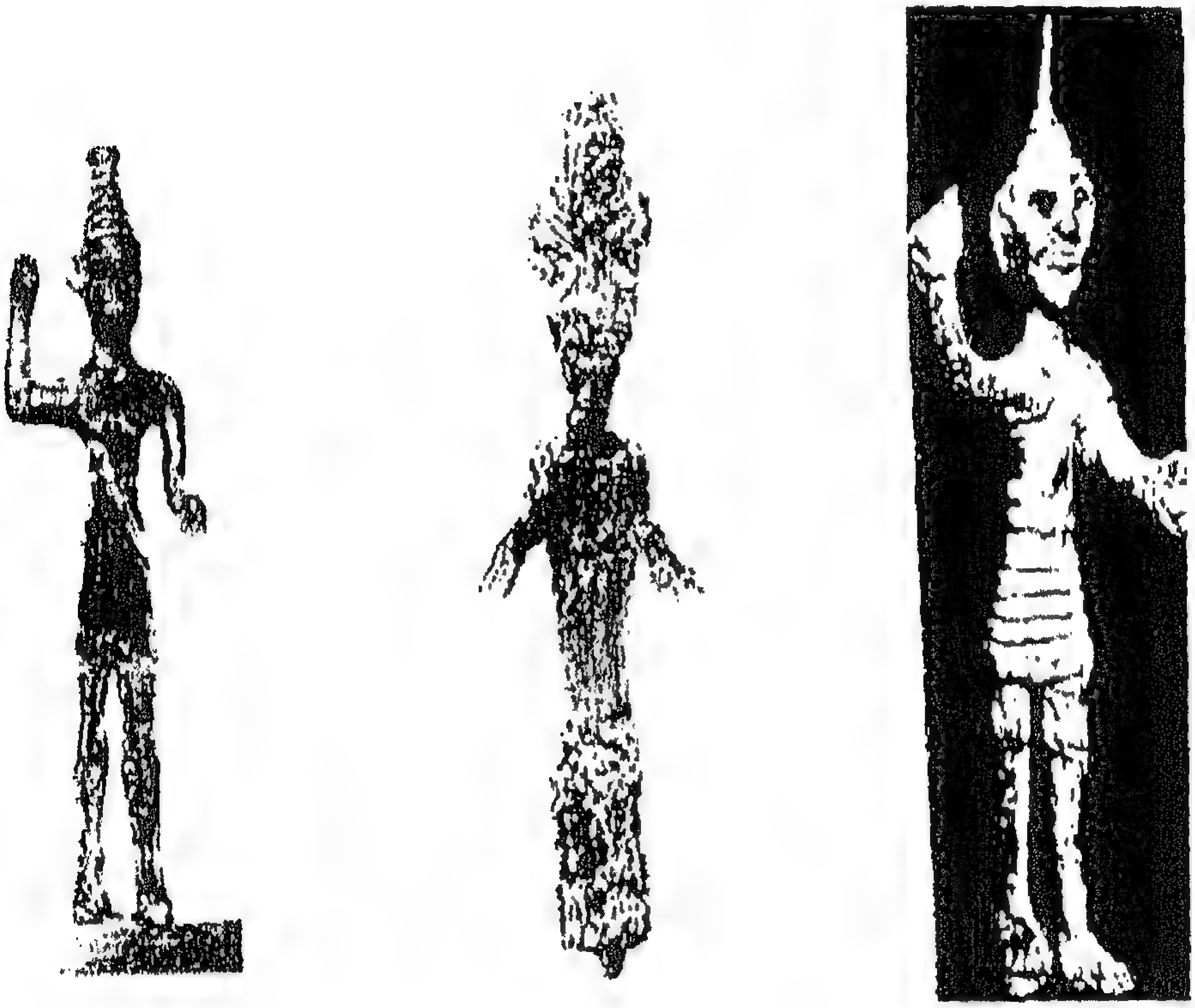

ج ب أ

شكل (28)

بعل في بداية النصف الثاني من الألف الثاني ق.م (حوالي 1500 ق.م)

أ-بعل الجبار (بعلو) من اوغاريت حوالي 1600ق.م.

ب-تمثال برونزي من اوغاريت حوالي 1600 ق.م.

جـ- تمثال برونزي من اوغاريت حوالي 1400 ق.م متحف حلب.

ثم يستقر شكل الاله بعل على ذلك الكائن الذي يعتمر قبعة مخروطية تتشابه احيانا مع غطاء الرأس المصري بسبب الصلات الثقافية بين مصر وكنعان وفي الغالب تبدو مستقلة مخروطية تميل الى ان تكون مدببة ومازال الاله راجلاً دون ان يعتلي على حيوان . أما ما يمسكه في اليد اليمنى فمفقود وكذلك في اليد اليسرى الممدودة . . وتكاد هذه الحركة (رفع اليمنى ومد اليسرى) هي التي تسيطر على شكل البعل من الآن فصاعداً (شكل 29) .

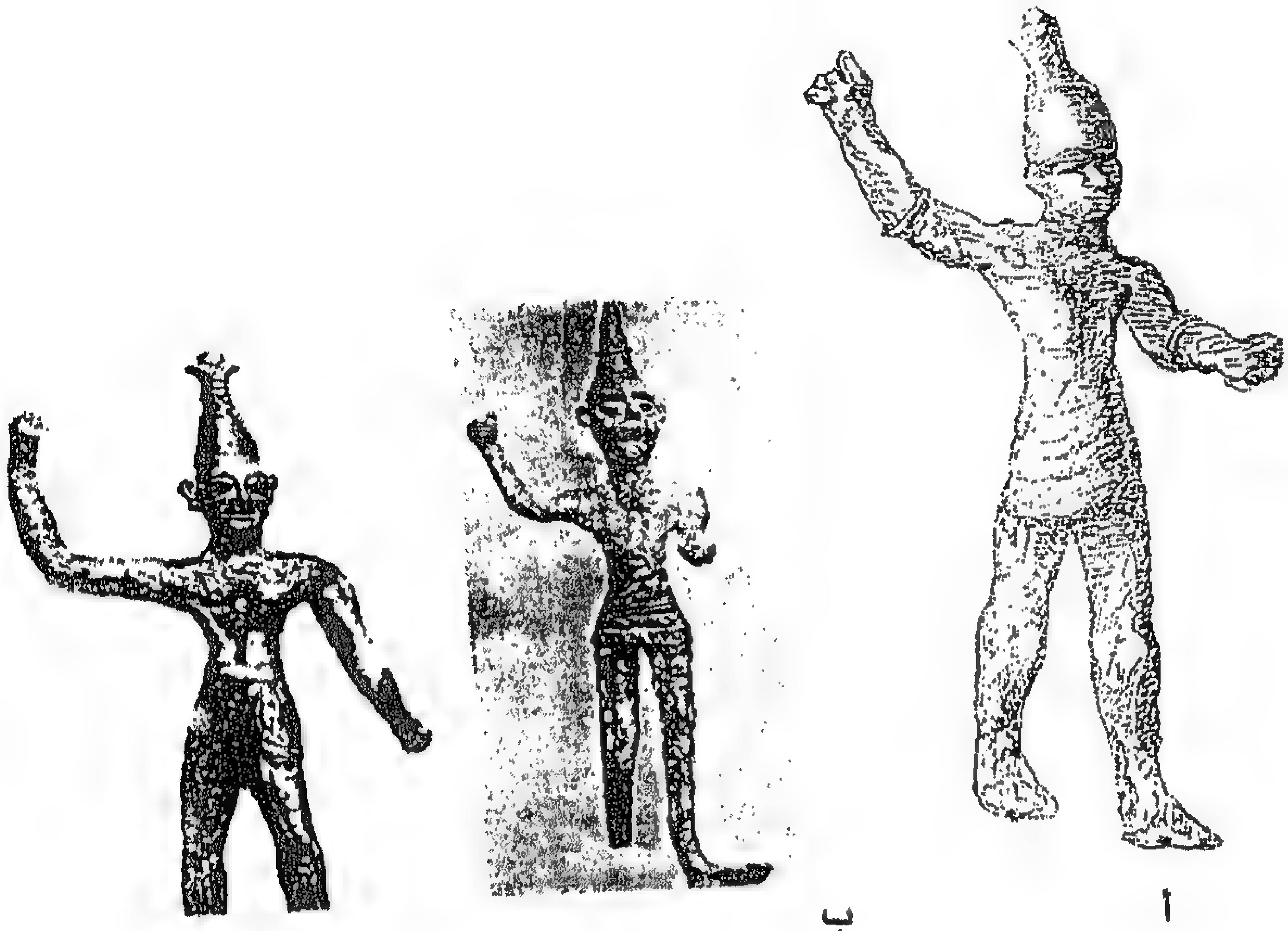

أ ب ج

شكل (29)

بعل في الالف الثاني ق.م

أ-تمثال برونزي فضي وذهبي من راس شمرا- اوغاريت.

ب-تمثال نحاسي من شمال سوريا.

ج- تمثال برونزي.

ونرى الصورة الشائعة جداً عن بعل (الكنعاني /الاوغاريتي) في نصب اكتشف في رأس شمرا (اوغاريت) شكل 30 حيث يظهر الإله بعل وهو يحمل باليد اليمنى هراوة وباليسرى الرمح المورق حيث يظهر قسمه الاسفل كرمح نابت على الأرض أما الأعلى

فيظهر كغصن مورق ، ولا نميل الى الخلط بين الرمح المورق ورمز الصاعقة (البرق) الذي اعتاد أن يظهر به هدد وليس بعل .

أما القبعة المخروطية الشكل فيظهر لها قرنان يرمزان الى الألوهية وربما الخصب . ويتدلى شعر الإله من تحت الخوذة على شكل جديلتين معقوفتين . ويظهر شعر لحيته كثيفاً فوق صدره . ويظهر بعل بتنورة قصيرة مخططة تحمل خنجراً تصل نهايته عند رأس تمثل صغير لا يعرف مغزاه ، ويقف بعل على أرض تشير تلولها المخططة على أنها العالم الأسفل . ونرى أن هذا النصب يمثل الصورة المثالية لبعل الكنعاني قبل اختلاطه باشكال اخرى .

أ-صورة النصب.

ب- مخطط النصب.

شكل (30)

نصب الإله بعل وهو يحمل باليد اليمنى الهراوة وباليسرى الرمح المورق ويقف على العالم الأسفل (من اوغاريت - متحف اللوفر بباريس) .

منذ بدايات الالف الأول قبل الميلاد طرأ تغيير جوهري على شخصية بعل الكنعانية عندما بدأت بالاختلاط بآلهة الطقس والعاصفة المشابهة له وخصوصاً الإله الآرامي هدد (حدد) الذي اندمج معه وشكل الاله (بعل حدد) الذي ركب ثوراً وامسك صاعقة شوكية مفردة او مزدوجة . وفي الشكل (31) نلاحظ اله العاصفة يتشوب وهو يقف على ثور ويمسك شوكة مفردة قصيرة ويرفع يمناه فأساً ونرى فوقه قرص الشمس المجنحة . كذلك نرى الاله حدد الآرامي يمسك شوكة مفردة طويلة ويقف على ثور ثم نراه يمسك شوكتين مزدوجتين في ارسلان طاس شمال سوريا . هذه الصور الثلاثة ليس للإله بعل بل لآلهة مجاورة تشبه بعل ستختلط صورتها مع بعل لاحقاً .

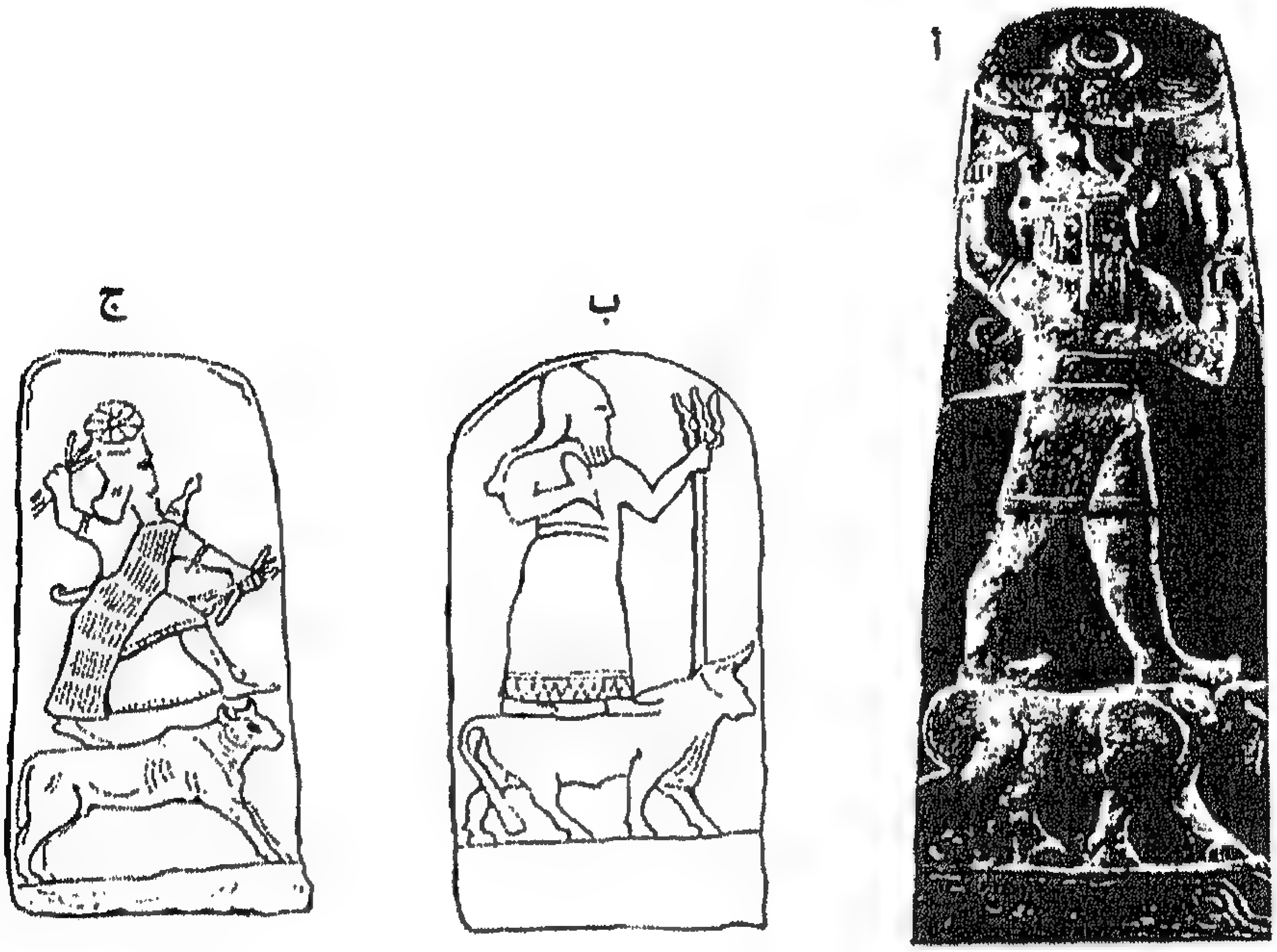

شكل(31)

إله العاصفة مع الثور وشوكة الصاعقة

أ- الإله تيشوب : لوحة حجرية عثر عليها في كل بارسبب يقف في تيشوب على حيوانه الخاص، أوائل الألف الأول ق.م.، ب-الإله حدد يمسك صاعقة مثلثة الشعاب، نصب من جكة بالقرب من حلب - (متحف حلب)، جـ-الإله حدد يمسك صاعقتين مزدوجتين من ارسلان حاش. متحف اللوفر.

ولكي نوضح الصورة أكثر نرى في الشكل (32) إلهة الطقس الأخرى الاشوري (أدد) وهو يحمل صاعقتين مزدوجتين وله صور كثيرة يركب على الثور، إله العاصفة الحيثي (يتشوب) الذي يحمل صاعقة مفردة وكذلك إله العاصفة الحوري(تاهوندا) ثم إله العاصفة الآرامي (هدد) وكل هذه الصور امتازت بظهور الشوكة المفردة أو المزدوجة في اليد اليسرى والتي لا علاقة لها بالرمح أو الرمح المورق في يد بعل . ثم ظهور الفأس في اليد اليمنى والتي لا علاقة لها بالهراوة في يد بعل .

وعندما تظهر هذه الآلهة ممتطية الثور فإن بعل يبقى دون حيوان يرافقه أو يركب عليه . وهذه فروق اثرنا توضيحها بالصور بسبب الخلط الكبير الذي تسببه النظرة العامة والتي تطمس ملامح بعل بملامح غيره من الآلهة القريبين منه عند الأقوام الاخرى مما يسبب لنا خطيراً في دراستنا له .

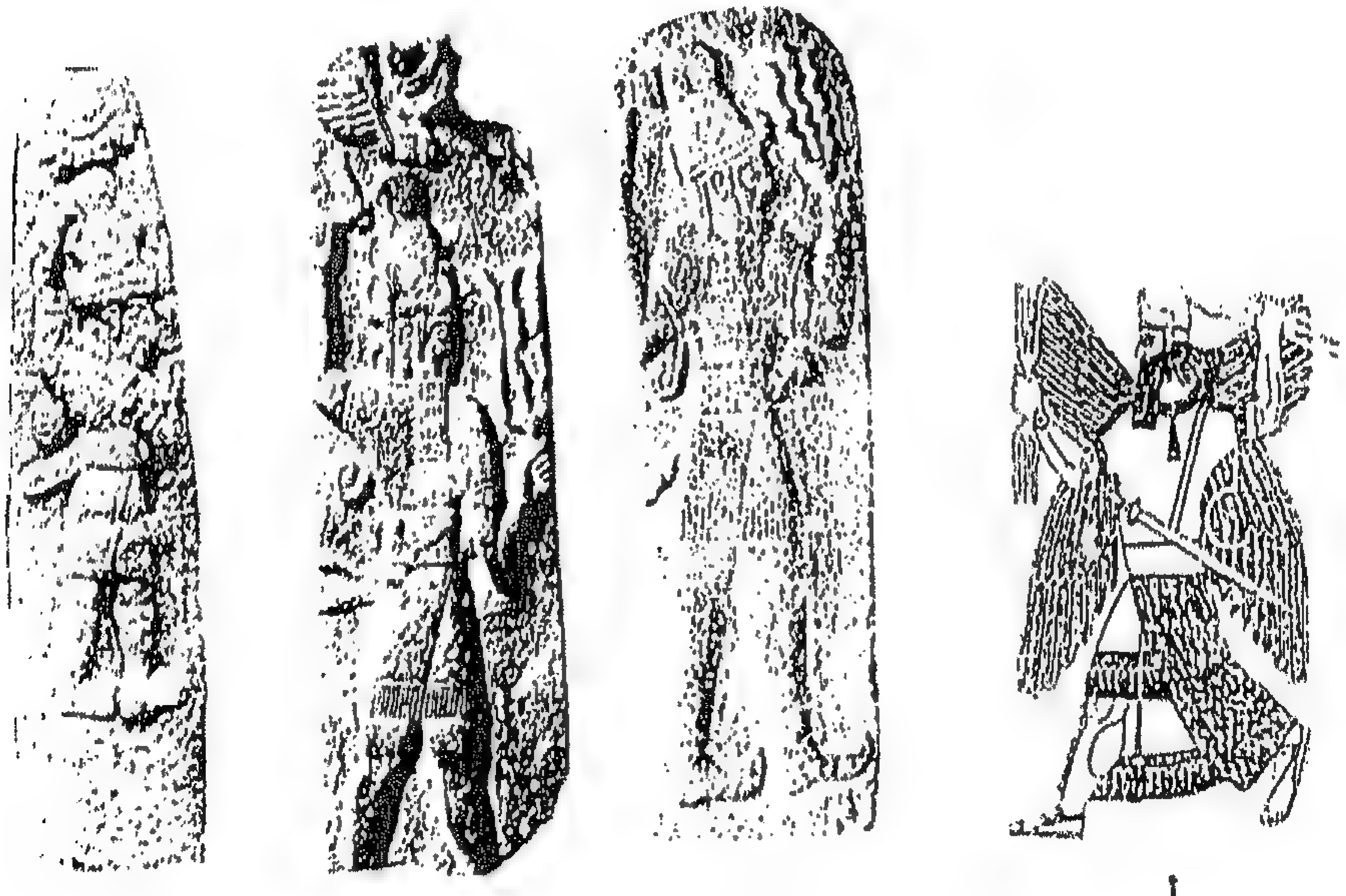

شكل (32)

آلهة العاصفة والطقس المحيطون بالكنعانيين.

أ- إله العاصفة الأشوري (أدد)، ب- إله العاصفة الحثي (تيشوب القرن 9ق.م.، ج- إله العاصفة الحوري (تاهواندا) القرن 9-8ق.م.، د- إله العاصفة الآرامي (حدد) القرن 9-8ق.م.

في المرحلة الهيلنستية ثم الرومانية تغيرت المسألة باتجاه جديد تماماً فقد دمجت شخصية بعل الكنعانية أو بعل حدد الكنعانية الآرامية مع الإله (زوس) الاغريقي (وجوبتر) الروماني . وهكذا تحول الإله (بعل بقاع) وهو (بعلبك) (شكل 33) حيث يظهر بغطاء رأس مركب يحتوي على طبقتين من القرون حلزونية وجانبية حادة ويرفع يده اليمنى الى الأعلى ثم بعلبك بشكل الثور الذي اكتشفه رزنفال وسماه الرومان جوبتر كابتولان ، أو الإله الصالح الأعظم ثم جوبتر هليو بولتيانوس الذي يحتوي في جسده مشاهد الهة كثيرة .

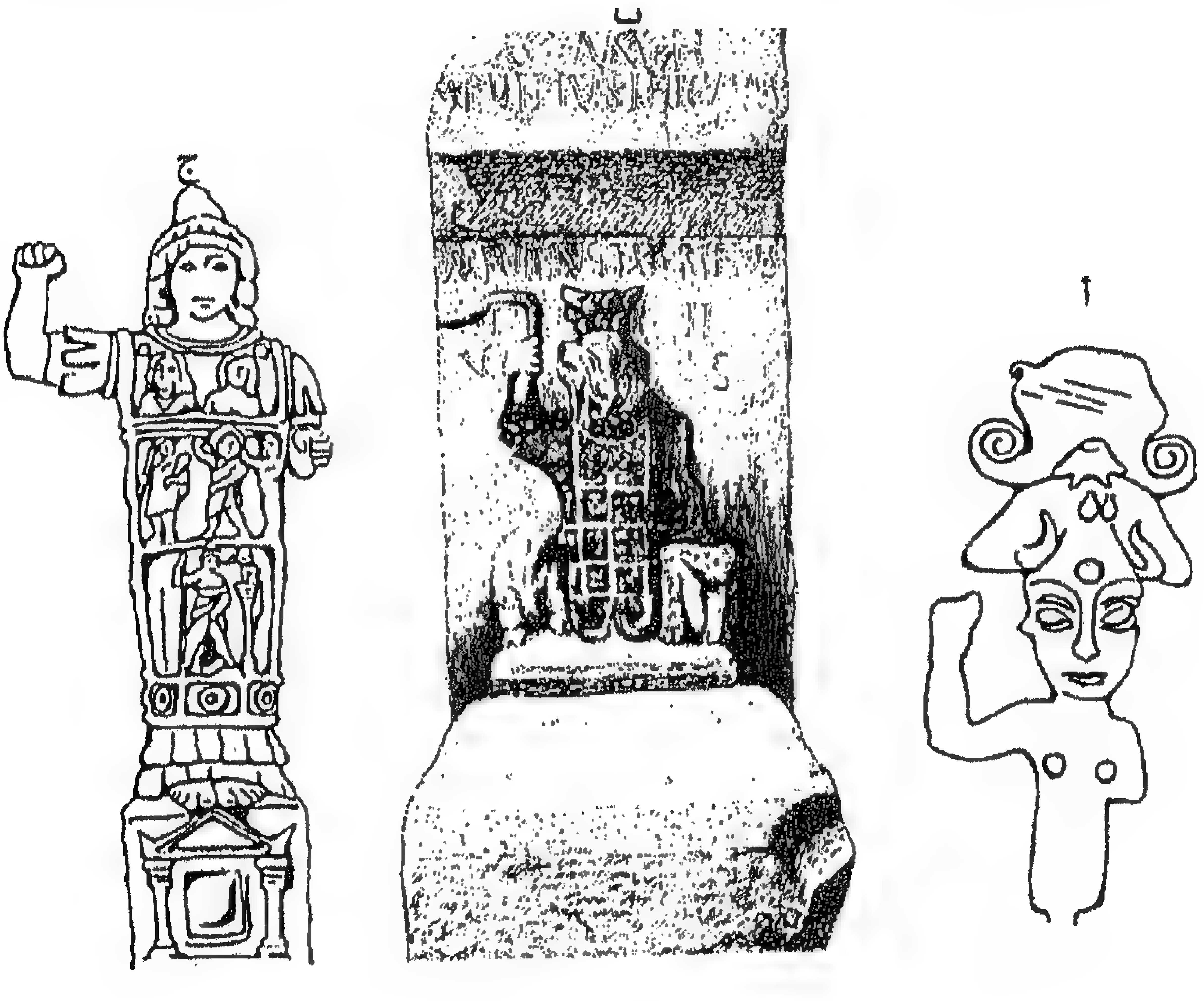

شكل (33)

الاله بعل بقاع (بعلبك)

أ-جزء من تمثال برونزي وجد في بعلبك ومتحف اللوفر في باريس. ب-تمثال حجري في دير القلعة في بعلبك واسمه (جوبتر كابيتولان) أو الإله الصالح الأعظم (جونتر اويتموس ماكسموس). ج- تمثال بروزني في بعلبك يمثل جوبتر هليوبولتيانوس متحف اللوفر-باريس.

دورة أساطير بعل

من أجل تتبع منطقي لأساطير بعل سنقوم برسم مخطط فرضي يناسب اساطير بعل ويحصيها بشكل متسلسل .

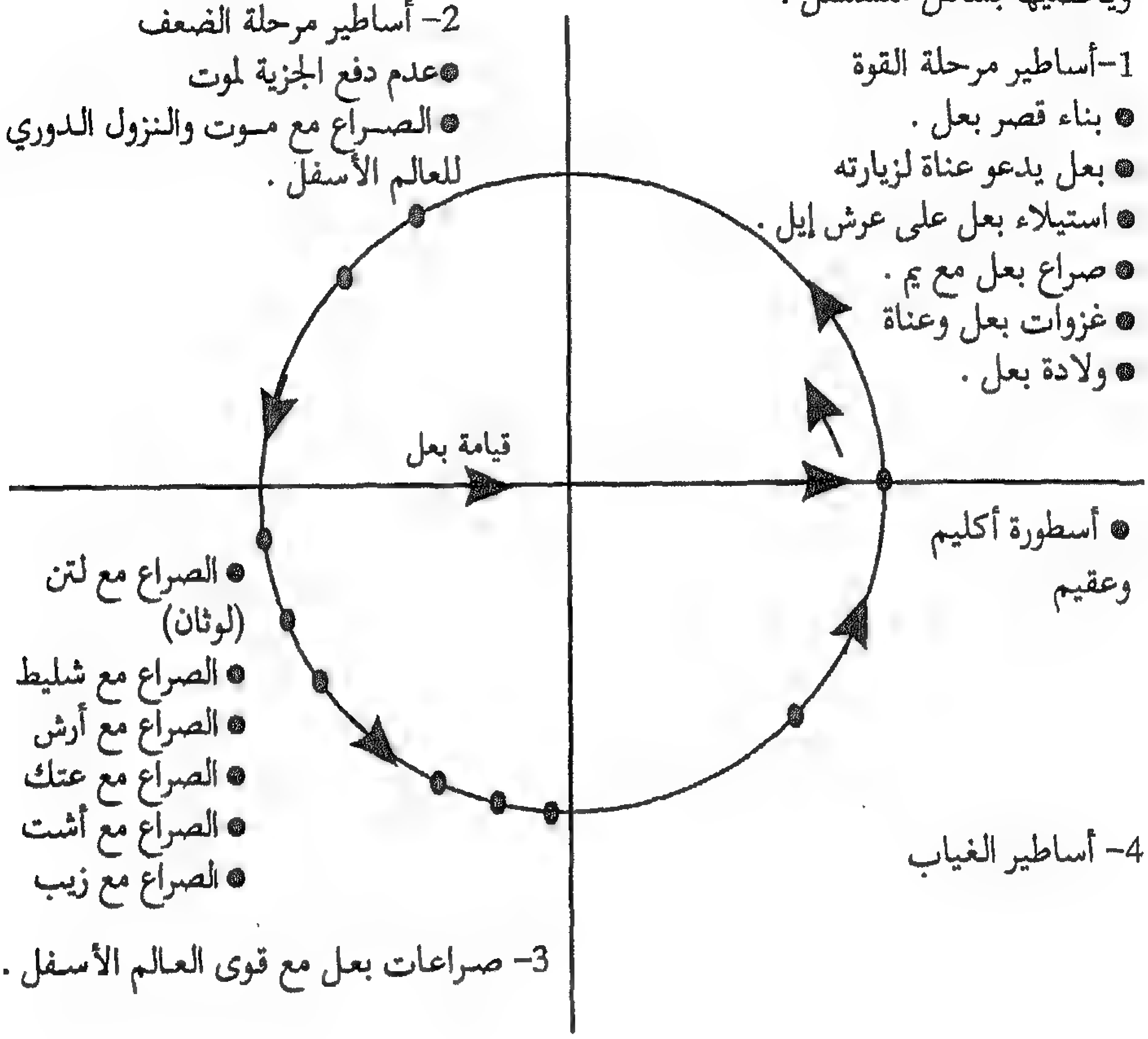

مخطط(6)

الدورة المثولوجية للإله بعل

1-اساطير مرحلة القوة:

لا نملك اسطورة محددة عن ولادة الإله بعل ولكننا بشكل عام نعرف أن هذا الإله ولد من تزاوج الإله ايل مع عشيرة وقد وصفته إحدى النصوص : الثور إيل أب بعل . وهكذا يكون بعل عجلا في صباه وثوراً في نضجه . واذا كانت بعض النصوص تصف بعل بأنه

ابن داجون (دجن) فمرد ذلك هو المساواة بين (ايل (و داجون) ، أو جعل بعل (الشرير) من غير نسل ايل (الطيب) . ويظهر بعل الكنعاني /الاوغاريتي واقفاً على العالم الأسفل وبيده رموز قوته وهما الرمح الموق والهراوة والخنجر في حزامه .

ويظهر الإله بعل برفقة الثور في بعض المنحوتات الكنعانية لكنه يظهر واقفاً على رموز العالم الاسفل في اوغاريت . ورغم ذلك كان بعل يقوم بمعاشرة البقرة جنسياً وينجب منها البعول وهذا يشير الى قدرته الجنسية واثرها على إخصاب النباتات والحيونات والانسان .

أ-بعل الفتي:

انتزع بعل لقب الثور من ابيه ايل بعد أن أحتل عرشه وهناك ما يشير الى ان بعل خطط للهجوم على ايل وانتزع منه العرش إلا أن ايل خطط هجوماً مضاداً وكسب الى جانبه إله البحر (يم) الذي سمح ببناء قصر له واعترف به ابنا من ابنائه .

هكذا يشب بعل ويدخل هو واخته (عناة) المعارك ويكسبانها حيث تذكر إحدى الأساطير أن الإلهة عشيرة كانت منهمكة باعداد أحد الطقوس الدينية حيث تدير رأس مغزلها وتتعرى لترمي بثيابها المتساقطة الى البحر ثم ترتب صفاً من الانية على النافذة وتبتهل الى الإله (ايل) الغائب عنها . وعندما يطول انتظارها تتوجه اليه ، وفي وقت لاحق يفاجئوها (بعل وعناة) بحضورهما اليها فيسقط المغزل من يدها وتصاب بنوبة صرع خوفاً من الاخبار السيئة لكنها تستعيد وعيها عندما ترى الذهب والفضة مقدمان اليها من بعل عناة ، وعندها تهلل فرحاً (انظر اذرارد 165 :1987) .

ومعروف أن اسم (بعل) ماخوذ من كلمة (بل) التي كان يلقب بها الإله البابلي (مردوخ) وتعني (السيد) أو (الزوج) واصبح (بعل) مناظراً للإله مردوخ في صفاته حيث أصبح اله طقس كنعاني وهو يذكرنا بجذر مردوخ الطقسي وهو الإله أنليل السومري اله الهواء والطقس .

ب- أسطورة صراع (بعل)و(يم).

وهي كما عرفنا سابقا جزء من أسطورة الخليقة الكنعانة ، وتضعنا هذه الأسطورة بصيغتها الكنعانية الحالية أمام حال لا مناص من قبوله وهو تحول الإلهة (يمو) الى الإله (يم)

إله البحر وظهور تقارب بينه وبين الإله (ايل) وعداوة مع الإله (بعل) . وهكذا يطلب (يم) من (إيل) السماح به ببناء قصر له ويحصل على موافقة ايل بعد تردد ، ثم يقوم (يم) بارسال رسله الى الآلهة المجتمعة برئاسة (إيل) ليحضروا له بعل ويوافق مجلس الالهة على تسليم (بعل) الذي يثور ويزمجر ويهم بشهر اسلحته :

«إيل فحل أبيه يجيب

بعل عبدك يا يم

بعل عبدك الى الأبد

ابن داجون رفيقك

سوف يحمل تكريمك كالآلهة

نعم يحمل قرابينك كأبناء القداسة .

ولماذا يجد بعل الخيانة لجبن أب الآلهة المبجل المخرف مع ذلك يندفع في سورة من غضب .

و(يمسك سكيناً) في يده سكين جزار في يمينه .

ليذبح الرسل» (جوردن 168 :1974) .

ثم تقوم الإلهتان عناة وعشترتي بمنعه من ذلك ، حيث ينقطع النص لنلمح في اللوح الآخر الإلهين الحصانعين الماهرين (كوثر وخاسيس) وهما يصنعان الأسلحة السحرية للإله بعل وهي (همدم) وربما كان النير أو اللجام الذي يستعمل لصيد أو كبح فرس البحر المجنح والسلام الآخر هو (يجرش) التي هي عصا الضربة الأولى على الكتف ثم السلاح الثالث وهو (أيمر) وهوعصا الضربة الثانية بين العينين حيث يتهاوى العدو صريعاً ثم يوصف لنا الصراع بين بعل ويم حيث يستخدم بعل هذه الاسلحة الثلاثة :

«تنقض العصا من يد بعل

كالصقر من أصابعه

فتضرب منكبي الأمير يم

بين يدي النهر القاضي . . .

فتنقض من يد بعل

كالصقر من أصابعه
فتضرب رأس الأمير يم
بين عيني النهر القاضي
فيترنح ويسقط على الأرض » (المرجع السابق : 170â) .

وهكذا يقتل بعل يم ويقوم عشتارتي بتعنيف بعل لأنه قتل يم . وينتزع منه ملكية الآلهة التي كاد يأخذها من إيل ويحرمه منها ، وقد كان (يم) مقرباً من (إيل) حيث تصفه النصوص بـ(حبيب ايل) حيث كان يعده ايل لمواجهة طموحات ابنه الشاب (بعل) . وبذلك يكون انتصار بعل خذلانا لإيل وتنحياً منه للملوكية الالهة الى (بعل) .وهذا يعني أنه لم يتم قتل (إيل)كما فعل هو مع ابيه . . بل كان هناك تنازل عن العرش ثم تشعرنا النصوص أن ايل قد غاب نهائيا في الجزر النائية أو في العالم الاسفل .ربما؟

وقد نوهنا أكثر من مرة أن هذه الأسطورة واسطورة بناء بيت بعل تشكلان جزء من ملحمة الخليقة الكنعانية المفقودة والتي شوهت وحصلنا على بعض الواحها التي تبدو مستقلة عن الخليقة الكنعانية التي فصلناها في بداية هذا الفصل .

بعل يدعو عناة لزيارته (الكشف عن سر الطبيعة)

رغم أن عناة ترافق سيرة بعل بأكملها فهي أخته وزوجته وعشيقته لكن عناة كانت تظهر مزاجاً حاداً وعنيفاً ورغم أنها تمثل الزواج الشرعي وتسمى (عناة الخطابة) حيث تمثل عشروت أو عشتارت المعاشرة الجنسية الإباحية رغم كل هذه الصفات لكن عناة تحتفظ الى النهاية بقوتها الخاصة الماحقة .

ونرى أن اسم عناة مشتق من اسم (إنانا) حيث تم تحويل حرف الخاع حيث يشتركان في مخرج صوتي واحد ثم تم تأنيها باضافة (ت) فأصبحت عنانات التي اختصرت فتحولت الى (عناة) وانابا الهة الحب والجنس السومرية الشيقة التي كانت تظهر أيضا صفات حربية قاسية في وجهها الآخر كما عناة . ولا نرى في تفسير معنى اسم عناة عبرياً (عنوة) بمعنى العناية والتبصر أو الغاية والهدف وآراميا بمعنى الشأن والمهمة والعمل وعربيا بمعنى العناية دلالة على عنايتها بحبيبها واخيها بعل كما يذهب الى ذلك اذزارد لا نرى

في كل هذه المرجعيات دقة لأن الجذر السومري للاسم هو الأبعد وهو الأقوى بل هو الدال على (ملكة السماء) ، وهو ما يتطابق مع صفات (عناة) .

لقد كانت اسطورة عناة وبعل تتجلى في تلك الالواح التي تتحدث عن عناة كربة للصيد والحرب (مثل ارتميس أو ديانا عند الاغريق والرومان) ، فقد كانت رائحة الصيد تملأ اجواء وابواب بيت عناة وهكذا تنطلق بداية النص من عزم عناة على ابادة أهل المشرق وأهل المغرب لسبب نجهله وهي تشبه في سلوكها هذا الإلهة المصرية (سخمت) في اسطورتها عن إبادة البشر .

وتؤدي عناة معركتين من معاركها ببسالة وقسوة ، فتبدأ بالمعركة الأولى التي تمتاز بدمويتها .

«من تحتها (طارت) رؤوس كالعقبان .
ومن فوقها (طارت) أيدٍ كالجراد .
تنزل حتى الركب في دماء الابطال
عالياً حتى العنق في دماء الكتائب» (جوردن 173 :1974) .
ثم تبدأ المعركة الثانية التي تمتاز بالاضافة الى دمويتها باسلوب الشجار ورمي الأثاث .
«تحارب بعنف
وتعترك مع ابناء المدينتين
وتقذف بالكراسي على الجيوش
والمواطيء على الكتائب» (المرجع السابق : 174) .

وهناك من يرى بأن معنى اسم عناة هو(سيدة الجبل) ، وربما كان هذا قريباً من الصواب أيضا (شكل 35) بعدها تحقق عناة النصر وتبسط عناة كبدها بالسرور ويمتلئ قلبها بالحبور لان في يدها الانتصار . ثم تقوم عناة بغسل يدها في دماء الجنود واصابعها في دماء الكتائب ، غير أن بركات السلام تعقب ذلك فتستنبط من الطبيعة ماء وتغتسل بالندى من السماء بالرهن من الأرض وبالمطر من راكب السحب(بعل) . وكل هذه العلامات تشير الى خصوبة الطبيعة ووفرة الصيد .

وفي هذه الاثناء يبعث (بعل) برسالة الى (عناة) يخبرها فيها بأن تكف عن القتال وتجنح نحو السلام ويعدها بأن يكشف لها سر الطبيعة ويعلمها فنونها أن هي حضرت الى مسكنه الجبلي :

«إليّ . . دعي اقدامك تسابق
الي . . دعي ارجلك تسرع .
لأن عندي كلمة اخبرك بها
كلمة الشجرة وهمس الحجر
وصوت السموات للأرض
والاعماق للنجوم
إنني أفهم البرق الذي لا تعرفه السموات
والكلمة التي لا يعرفها الرجال
ولا كذلك تفهمها جماهير الأرض
تعالي وسوف اكشفها لك
في وسط جبلي ، الإله صفون
في المحراب ، في جبل ميراثي
في المكان الطيب على تل القوة» (المرجع السابق : 176-175) .

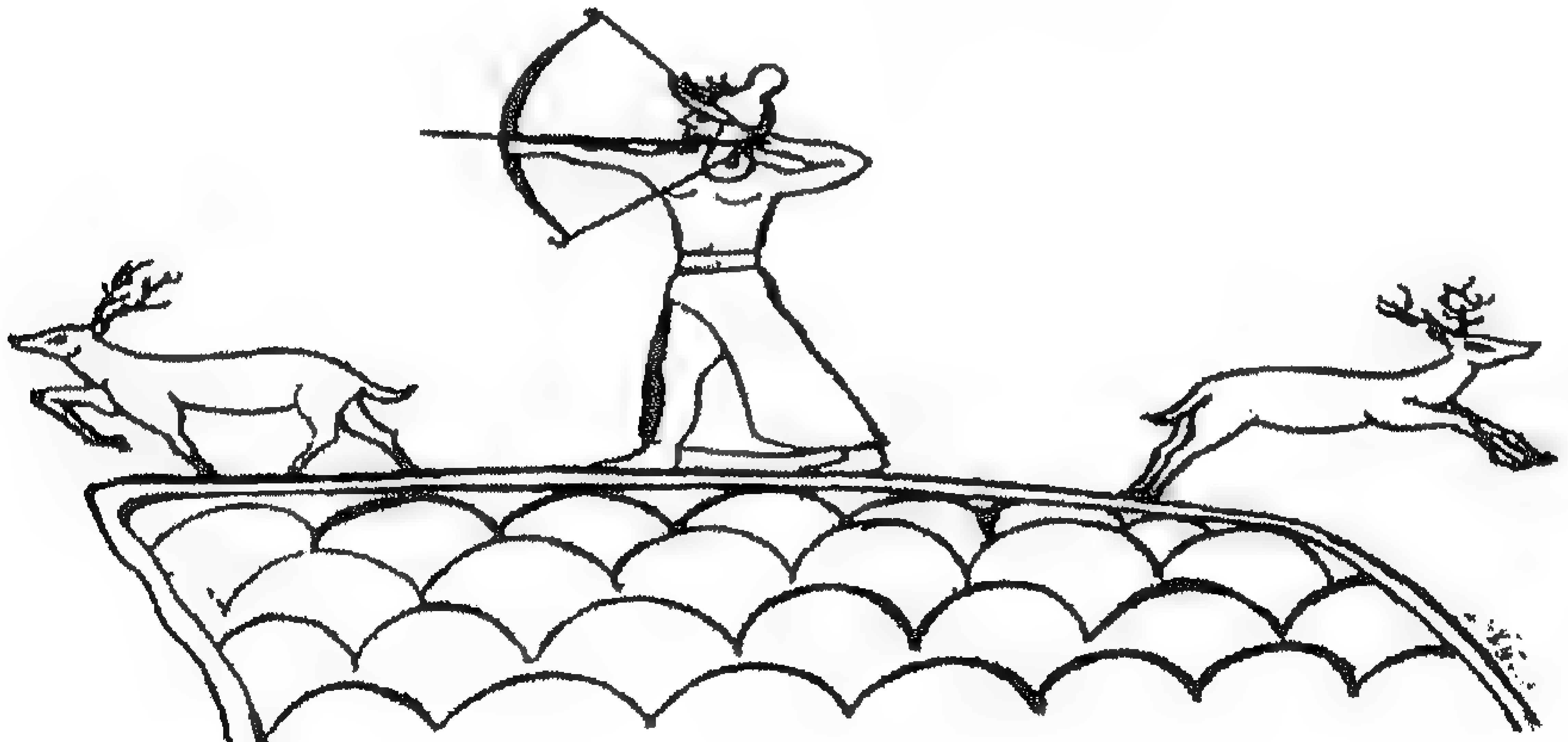

شكل (35)

الإلهة عناة في بزتها المحاربة وصيادة حيث تشبه ملابس بعل وخوذته. وقف على جبل

تخطيط :فاروق كاظم.

تعد حاول العلماء تفسير عناة بأكثر من رأي« فمنهم من فسرها على أن القتلى هم رسل واتباع إله الموت والجفاف وبعضهم الآخر وعلى رأسهم الاستاذ (دومو) الذي رأى في حمام الدم هذا طقساً من طقوس الولادة الجديدة وتعبر عن ظاهرة التضحية بالبشر التي كانت تقوم بها النساء بشكل أساسي في عصور أقدم ، ولا يبتعد الاستاذ (غرابي) في تفسيره للحادثة عما سبق ، إذ أن المذبحة التي قامت بها عناة حسب رأيه لا يمكن أن تكون بلا سبب ولمجرد ارضاء نزعة بمشيه بواسطة فعل طائش من طقوس العبادة التي كان يقام سنوياً في نهاية فصل الخصب لتجديد دماء الحياة» (اذزارد 231 :1987) .

ونحن نرجح الرأي الأخير ، فهذا هو الوجه المحارب والقاسي من وجوه الالهة الانثى تظهره عندما يختل توازن الطبيعة ويسود الشر او الجدب لأن الحياة المعبر عنها بالدم تمثل الخصب رمزياً .

وتمضي الاسطورة عندما تستقبل عناة رسولي بعل(جوبان) و(اوجار) الذين يبلغاها برغبة بعل في لقائها . لكنها ترتاب أولاً ثم تبدأ بذكر انتصاراتها على أعداء بعل ومؤازرتها له ضد(يم ، النهر ، التنين ، الافعوان الاعوج ، الوحش ذو الرؤوس السبعة ، إيل زبوب) الذين سنذكر اساطيرهم مع بعل لاحقاً . ثم تقبل دعوة بعل وتتوجه حالا الى جبل صفون وهو مقر بعل ، وتصل الى هذا الجبل ويكرمها بعل بثور مشوي وذبح سمين فتبستنبط الماء وتغتسل بندى السماء ودهن الأرض ، الندى الذي تصبه السماء والمطر الذي تصبه النجوم ويتقاطر حيوان الصيد لسعادتها لأنها سيدة الخصب والصيد .

ثم يكشف لها بعل (سر الطبيعة) وهذا يتفق مع بداية الاسطورة ويفسرها أيضا ، فبعد أن عمدت عناة الطبيعة المجدبة بالدم الحي الذي هو شكل الحياة ، أي بعمل شعائري مباشر يعتمد على الاضاحي البشرية يدعوها (بعل) الى الكشف عن سر الطبيعة سلماً وعن قوتها المخصبة الأبدية وربما كان ذلك عن طريق الجنس الذي يشكل نمطاً معرفياً طبيعياً في العالم القديم . ولكن بعل يطلب منها في مقابل ذلك أن تتوسط له عند أبيهما (إيل) ليبني بعل قصره الذي يريد فهو مازال يسكن جبل صفون ولكنه يحتاج الى بناء قصر له يتناسب مع مكانته ويساويه مع بقية الالهة .

جـ- بناء قصر بعل

تستجيب عناة لطلب بعل وتؤكد له أنها ستفعل ذلك وستذكر (إيل) بأن لكل الآلهة قصوراً ولذلك يجب بناء قصر للإله بعل وإذا رفض ايل ذلك فإن عناة ستهدده بأن تدوسه كالشاة على الأرض وستجعل شعره الأشمط يقطر دماً وتخضب لحيته بالدم .

وتذهب عناة الى مسكن ابيها عند النهرين الكونيين ومنبعهما الغوريين وتطلب منه ذلك لكن ايل لا يستجيب لها فتهدده بعنف فيختبئ في أقصى غرفه الداخلية خوفاً من ابنته الوحشية ويكرر عليها السؤال فتجيبه ومن ورائها عشيرة وابنائها ليضموا صوتهم الى صوتها :

«وأجابت عناة العذراء :
إن كلمتك يا إيل حكيمة .
وحكمتك الى الأبد
الحياة السعيدة كلمتك
ملكنا عليان بعل
قاضينا الذي لا أحد فوقه
هناك تصبح عشيرة وابناؤها
الآلهة والجماعة من أقربائها
بعل ليس له بيت كالآلهة
ولا بلاط كأبناء عشيرة» (جوردن 180 :1974) .

وفي النهاية يذعن أيل لمطاليب الالهة ويأذن ببناء قصر بعل . . وإذا عدنا الى أسطورة الخليقة البابلية فاننا نرى أن مردوخ بعد انتصاره على تيامت يتوج ملكاً على الآلهة ويطالب مباشرة ببناء قصر له يكون منزل سعادته وفي داخله يؤسس مكان العبادة والحجرة المقدسة حتى يتاح له تأكيد ملوكيته ، واستقبال الالهة وأن يكون اسم القصر هذا هو اسم بابل نفسه ، الذي يعني (باب الآلهة) او (حي الآلهة) (انظر لابات 59 :1988) .

وهكذا ينقل الالهة أوامر إيل إلى الإله الصانع (كوثر وخاسيس) ليقوم ببناء القصر لبعل .

ويمكننا (لأغراض الدرس والتحليل) تقسيم مراحل بناء قصر بعل الى المراحل التالية :

1-جميع المواد الأولية والأثاث : حيث نشاهد مجموعة من آلهة البناء تقوم بجمع هذه المواد مثل الذهب والفضة واللازورد وشجر الأرز والموائد والآنية والكراسي وغير ذلك . وامانا نشاهد الطبيعة هي التي تأتيه بهذه المواد :

«حتى تأتيك الجبال بالفضة الكثيرة

والتلال بأحسن الذهب

وتبني بيتاً من الفضة والذهب

بيتاً من اللازورد » (جوردن 182 :1974) .

2-حفلة ما قبل البناء التي يحضرها (كوثر وخاسيس) مع الإله بعل حيث تذبح الماشية وتصب الكؤوس وبعد شرب النبيذ والعشاء يأمر بعل إله البناء ببناء القصر في الحال وسط مرتفعات صفون على أن تكون مساحة المكان ألف فدان والقصر عشرة الآف هكتار » وتذكر نصوص اوغاريت ان جبل صفون هو مقر الإله بعل ، وقد بنى له الاله كوثار قصراً فوقه ، ومن علياء سكناه كان يدير شؤون العالم وهناك وارته الثرى أخته عناة عندما تمكن منه الإله (موت) وارداه قتيلاً ، ويرى كثير من الباحثين في جبل الاقرع الذي يبعد حوالي 50كم شمال اوغاريت عند مصب نهر العاصي جبل صفون المقصود في الاساطير » (اذزازد 185 :1987) .

وقد تحول اسم هذا الجبل عند الحيثيني الى جبل (حازي) وتدور عليه اسطورة إله الطقس الحيثي (اوللي كومي) وتحول(حازي) الى (كاتيوس) في الرحلة الهيلنستية ودارت عليه اسطورة إله العاصفة (زيوس كاسيوس) واستمر كذلك في المرحلة الرومانية ثم احتفظ بقدسيته في الديانة المسيحية حتى العصور الوسطى .

ويظهر حبل صفون كإله مقدس تقوم له الذبائح ويذرف الدموع على الملك المريض . كذلك يظهر اسم بعل مرتبطاً به باسم (بعل صفون) الذي وصلت عبادته الى مصر .

ونرى أن العبريين إتخذوا لإلههم القومي(يهوه) جبلاً يقترب اسمه من صفون خو (جبل صهيون) ومعروف أن يهوه شكل من اشكال بعل ، أو إله من إلهة الطقس والعاصفة في بلاد الشام .

3-بناء القصر والخلاف على نافذته : يبدأ الإله كوثر ببناء القصر وبينه كوثار على طراز القصر ذي النافذة ولكن بعل يرفض ذلك خوفاً من القتام الإله المقتول (يم) ودخوله من النافذة وخوفاً من تعريض بنات بعل (بدراي ، طلاي ، ارضاي) لاجنبي قد يطمع فيهن ، ولكن كوثر يقول لبعل بأنه سيعود ويصنع نافذة لقصره ، وبعد الإنتهاء من القصر توقد النار فيه لمدة سبعة أيام دون أن تطفأ وبعد انطفاء النار تطلى جدران القصر بالذهب والفضة .

4-حفل ما بعد البناء : وبعد الانتهاء من بناء القصر يدعو بعل اصدقاءه من الآلهة لمأدبة عظيمة إحتفالاً بالحادث ويتحول العجول والشياه والماعز والذبائح السمينة والعجول الحولية تكريما لضيوفه ،ويحضر أبناء عشيرة السبعون وكذلك الهة الحيوانات والاشياء المشخصة .ويسقيهم بعل النبيذ :

« سقى (بعل) الكباشي من الآلهة نبيذا
وسقى الشاء الآلهة نبيذا
وسقى العجول من الآلهة نبيذا
وسقى الكراسي من الآلهة نبيذا
وسقى العروش من الإلهات نبيذا
وسقى الجرار من الإلهات نبيذا» (جوردن 184 :1974) .

5-بعل يستولي على تسعين مدينة : بعد انتهاء الحفل يهيمن بعل على الأرض ويستولي على 90 مدينة . وهو ما يجعله يزداد ثقة بنفسه واماناً من حوله فيأمر كوثر بفتح نافذة في القصر فيذكره كوثر بأن رأيه كان هذا منذ البداية ، ولعل وظيفة النافذة هنا والإطار وسط القصر مرتبطان بوظيفة بعل الطقسية السماوية حيث يفتح بعل طاقات السماء ، وكانت تجري طقوس حقيقية في معبد لأجل ذلك .

2- أساطير مرحلة الضعف

أ-أسطورة صراع (بعل) و(موت):

تبدأ هذه الأسطورة من حيث انتهت أسطورة بناء القصر ، فبعد أن فتح بعل النافذة والإطار تظهر النذر الكارثية بسقوط المطر وظهور الرعد والعواصف . وكأن سطوع قصر بعل يغيض أعداء بعل فيقومون بالاستيلاء على الغابة وسفوح الجبال ويظهر صوت الإله (موت) إله العالم السفلي وهو يصرخ (أنا وحدي الذي سيحكم الآلهة ،بل ويقود الآلهة والناس ويسيطر على شعوب الارض) . . ويخاف بعل من تهديد (موت) ويرسل رسوليه (جوبان) و(أوجار) الى موت للتفاوض معه ويحذرهما من أن يبتلعهما موت أحياء .

وموت هذا هو إله الموت الكنعاني ، والذي نرى أن اسمه مشتق من اسم (تيامت) وأنه مع اسم (يم) وجهان لاسم يتامت فبينما يمثل اسم (يم) الماء والحياة يمثل (موت) الجفاف والموت .

ويدعى المكان الذي يسكن فيه (موت) في العالم الأسفل (حمري) والتي ظهرت فيما بعد في الدين العبري تحت اسم(محمروت) أي (نار الجمر) وتقابلها في العربية (جهنم الحمراء) .

وتصور تماثيل موت بأنه يرتدي تنورة قصيرة ذات نطاق علق عليه سيف وينتحل حذاء معكوفاً من الأمام ويحلي جيده عقد ويحمل بيسراه رمحاً برأس الى الأعلى ويحمل بيمناه صولجاناً يشبه صولجان الاله المصري (اوزيريس) . ويعتمر الإله موت قبعة سنبلية الشكل (تشبه الريشة أو تشبه تاج مصر السفلي) وينهض فوقه شكل يشبه شجرة رمزية (شكل 35) .

ولا نعرف السبب الرئيسي الذي جعل موت يهدد بعل ولكن هناك اشارات تقول : أن بعل بعد استقراره في قصره المحتفي به مع زوجته عناه وبناته الثلاثة ينطلق صوته من نافذة قصره مجلجلاً مدوياً يهز اركان العالم ويبث الرعب في قلوب اعدائه ، وعند ذاك يعلن بعل بأنه لن يدفع من الآن فصاعداً الجزية الى الإله (موت) ويقوم بارسال هذه الرسالة الى الإله (موت) عبر رسوليه (جفن واوجار) ولكنه يحذرهما بان موت يمكن أن يبتلعهما كما يبتلع

الخروف . ويتضح نهم (موت) في جوابه للإله بعل عندما يقول بأن شهيته لا يمكن اشباعها وأنه سوف يبتلعه كما يبتلع حبة الزيتون ثم يفتح فاه من أقاصي الدنيا الى أقاصي السماء ويلعق بلسانه نجوم السماء (انظر اذزارد 224 :1987) .

شكل (36)

الإله موت بقلنسوته السنبليّة المقرنة وهراوته ورمحه وخنجره

ويترافق استدعاء موت لبعل مع انتصار بعل على (لوياثان) ذي الرؤوس السبعة وتفسير ، ذلك أن موت الإله الأكبر للعالم الاسفل شعر بأن الهلة العالم الأسفل مثل لوياثان سينقرضون إذا ظل بعل ينتصر عليهم بهذه الطريقة وأنه لا بد من وضع حد له وإنزاله هو

الى العالم الأسفل . ونستغرب من الموافقة النهائية لبعل واستجابته دون مقاومة لطلب موت :

«لقد خشيه عليان بعل
لقد خافه راكب السحاب
وعاد الكلام الى الإله موت
ونقلت الى البطل حبيب إيل
رسالة عليان بعل
جواب المحارب الشديد :
يا أيها الإله موت
إنني عبدك ، بل لك الى الأبد» (جوردن 186 :1974) .

وهكذا ينزل بعل الى العالم الأسفل ومعه سحبه ورياحه وامطاره وسبعة من خدمه وثمانية خنازير وثلاث زوجات . ولكنه قبل أن يصل الى أرض العالم الأسفل يضاجع عجلة وينجب منها عجلاً ، ثم ينقطع النص ونرى بعل ملقى على أرض (حمراي) ، أي العالم الأسفل الكنعاني .

يحمل الرسولان الخبر الى الأب(ايل) فينزل من عرشه ويجلس على موطيء القدمين ثم على الأرض ويصب رماد الحداد على رأسه ويتشح بثوب خاص للحداد ويهيم حزناً وسط الجبال والغابة .

أما عناة ، أخته وحبيبته وزوجته ، فتهيم حزناً حتى تعثر على جثة بعل القتيل وتقيم مراسيم التعازي والحداد وتخدش وجهها وذراعيها بمرارة ولوعة ثم تساعدها إلهة الشمس (شبش) لتنقل جثمان أبيها الى جبل صفون لتدفنه مع الأضاحي تكريماً له ،ثم تتقدم عناة الى مسكن ايل وعشيرة وتصرخ بسخرية ومرارة (لتفرح عشيرة وابنها واقاربها فقد مات بعل وهلك سيد الأرض) .

وهكذا يفرغ مكان بعل ولا بد من اختيار إله بديل مكانه فيقع الاختيار على(عشتر) أحد أبناء عشيرة ليكون خليفة بعل على عرشه فيصعد الى جبال صفون ويجلس على عرش بعل فلا تصل قدماه الى موطيء القدمين ولا يصل رأسه الى قمته فلا يستطيع ملأ الفراغ الذي أحدثه غياب بعل .

تطلب عناة من (موت) أن يعيد (بعل) فيسخر منها ويعرض عنها فتصعد روح الانتقام فيها وتنقض فجأة عليه ،وبسرعة خاطفة تشطره بسيفها وتحرقه بنارها وتطحنه برحاها ثم تنثر رماد جثته على الحقل وتزرعه ويكون جسد موت بمثابة سماد الارض الذي يبث الحياة في الارض ويكون مقدمة لبعث بعل .

يخل إيل حلماً يتضمن عودة بعل الى الحياة وعودة خصوبة الأرض ، وكأن هذا الحلم هو نبؤة لبعث بعل وعودة خصوبة الأرض ، ثم ينقطع النص ويظهر الاله بعل بعد ذلك وهو يخوض معارك عدة ضد بعض الآلهة في محاولة لاستعادة عرشه .

وبعد مرور سبعة اعوام يظهر (موت) مزمجراً بعد ان استرد انفاسه والتأمت جراحه التي سببتها له عناة فيطالب بعل بالمنازلة :

«بسببك يا بعل رأيت العار .
بسببك رأيت البعثرة بالسيف
بسببك رأيت الإحتراق بالنار
بسببك رأيت الطحن في الرحى
وسرعان ما يشتبك موت وبعل في صراع مميت
إنهما يشتبكان كأفراس النهر
موت قوي وبعل قوي
إنهما يتناطحان كالجاموس
موت قوي وبعل قوي
إنهما يعضان كالأفاعي
موت قوي وبعل قوي
إنهما يركلان كالمتسابقين
موت بأسفل وبعل بأسفل» (جوردن 190 :1974) .

وبعد أن يستنفذ الإلهان قوتيهما تشرق الشمس وتظهر الإلهة (شبش) وتتدخل بينهما وتجبر موت موبخة إياه بأن إيل سينتزع منه دعائم عرشه ويكسر صولجان حكمه إذا استمر في قتال بعل ، فيترك موت قتال بعل ، ويستعيد بعل عرشه وتعود سبع سنوات من الخير والوفرة والخصوبة .

ويبدو أن الكنعانيين قدتوصلوا من خلال مراقبتهم للحياة الزراعية في أرضهم أن دور الخصب كان يدوم سبع سنوات فربطوها بموت (موت) وعجزه عن مجابهة بعل وبعد انقضاء هذه المدة يعود القتال بين بعل وموت من جديد وينتصر موت على بعل الذي يختفي في عالم موت السفلي فتنحبس الأمطار وتجف الأرض ويموت البشر والحيوان ويسود القحط. ويحل الجفاف والجدب مدة من الزمن تطول احياناً أو تقصر وهكذا يتناوب الدوران اللذان يسود في كل واحد منهما بعل أو موت (انظر هبو 235 :1999) .

3- صراع بعل مع قوى العالم الأسفل

يخوض الإله بعل صراعات أخرى مع قوى العالم الأسفل التي تحاول جره نهائيا الى الموت لكنه ينتصر عليها ، وقد أحصينا سبعة صراعات أساسية مذكورة في سبع أساطير كنعانية ينتصر بعل في ستة منها لكنه يموت في الأسطورة السابعة في صراعه مع (أكليم وعقيم) ولذلك وضعناها ضمن أساطير الغياب التي تنذر باختفاء بعل من الوجود . ولا شك أن هذه الأساطير هي وجوه أخرى من أسطورة صراع بعل مع موت ولكنها تختلف قليلاً فهي تشبه الأساطير البابلية الخاصة بالصراع مع مردوخ مثل إيرا وزو واللابو وغيرهم ، وهي أساطير توضح الغياب المؤقت لمردوخ في العالم الأسفل .

كذلك هذه الأساطير تفسر الغياب المؤقت لبعل من على وجه الأرض وربما كانت تبرر فترات الجفاف القصيرة أو الانحباس المؤقت والقصير للمطر اثناء فترات الخصوبة والوفرة .

أ-صراع بعل من لتن (لوثان)

هناك اشارات سريعة لصراع بعل مع تنين مائي له سبعة رؤوس يعتقد أنه (لتن) أو (لوثان) وهو مقابل التنين العبري الذي يرد في اسفار العهد القديم (لوياثان) (مزمور 74:14) (أنت رضضت رؤوس لوياثان) والمقصود به هنا الإله (يهوه) وهو المقابل العبري للإله بعل الكنعاني .

«وفي أحد النصوص تتحدث الآلهة عناة عن انتصارها بعل على النهر والتنين ذي السبعة رؤوس ،كما يحدثنا الإله (موت) عن انتصاره على تنين مشابه يرد ذكره في أسفار العهد القديم باسم لوياثان» (اذزارد 189 :1974) .

والتنين المائي ذات الرؤوس السبعة مشهور في العالم القديم فهو يرتبط قديماً بالآلهة (تيامت) البابلية ، وبـ(هيدرا) ذات الرؤوس السبعة التي قتلها هرقل وغيرها .

وفي كل الاحوال نلمح صراعاً مع (لتن) وانتصار بعل عليه سواء اكان (لتن) هذا تابعاً لـ(يم) ، أو (موت) ، أو تنيناً من تنانين العالم الأسفل .

ب-صراع بعل مع شليط

توصف شليط بأنها الأفعى ذات الرؤوس السبعة ونحتمل أنها تنين آخر مائي يشبه (لتن) .

جـ-صراع بعل مع أرش

يحتمل أن تكون هذه الإلهة هي (ارشكيجال) نفسها ، إلهة العالم الأسفل السومرية والبابلية الشهيرة وتعني (سيدة الأرض الكبيرة) حيث (أرش) معناها (الأرض الكبيرة) والمقصود بها (العالم الاسفل) وهي حاكمة هذا العالم واسمها يرتبط بالموت . وهي زوجة إله العالم الاسفل (نرجال) اله الامراض والاوبئة .

وربما حشرتها الأساطير الكنعانية كإلهة شريرة للعالم الأسفل وجعلتها تصارع (بعل) .

د-صراع بعل مع عتك

يوصف(عتك) بأنه (عجل إيل) ولا نعرف شيئاً عن هذا الكائن لكنه بالتأكيد خاض صراعاً مع بعل وانتصر بعل عليه ويمكن يناظر هذا الإله (عجل بعل) ، وهو إله القمر ، وربما كان في مصلحته السفلى قبل البزوغ .

هـ - صرع بعل من إيل زبوب

هناك اشارة في أسطورة بناء بيت بعل تشير إلى أن عناة وقفت مع بعل في القضاء على (ايل زبوب) وتدمير بيته وواضح أن هذا الإله يشبه (بعل زبوب) فكلاهما إله الذباب والأمراض ويمكن أن يناظر هذا الكائن الإله (نرجال) الذي كان الذباب رمزاً له كناية عن المرض .

و-صراع بعل مع اشت

عرفنا ان الاله (اش) هو إله النار القديم ولا شك ان (إشت) هي الاسم المؤنث لهذا وهي بذلك تكون إلهة النار التي دفنتها الذاكرة الكنعانية في العالم الاسفل واصبحت تدل على (النار كلبة الآلهة) كما تصفها النصوص . وهو وصف دقيق فلهب النار يبدو وكأنه نباح كلب بسبب تقطعه واتصاله .

ز-صراع بعل مع زيب

توصف زيب بأنها النار الملتهبة إبنة إيل وهي ترافق الإلهة اشت لتوحد وظيفتهما وربما دلا على نار الصيف الملتهبة التي تسبب الجفاف وهو يصارع الخصوبة (بعل) .

4- أسطورة الغياب

ربما كانت أشهر هذه الاساطير هي صراع بعل مع المواشي المتوحشة (أكليم) و(عقيم) حيث يقترح الإله إيل خلق مواشي متوحشة من وصيفتي الإله (يرح) إله القمر والإلهة عشيرة (زوجة إيل) وهما (تاليش) و(دمجي) وبعد أن تولد الوصيفتان الماشية المتوحشة (أقليم) و(عتيم) التي تشبه الثيران والجواميس ذات القرون يقرر الإله بعل الذهاب لاصطيادها ، لكنه يصطدم بها فتصرعه ويسقط في الأوحال وتنتابه الحمى التي تهد جسده لمدة سبعة أو ثمانية أعوام (لنتذكر صراع بعل مع موت) ويبدو أن هذا العقاب قد حصل بسبب أن الإله بعل ارتكب خطيئة ما (لأنه يحمل دم أخيه في رقبته مثل الثوب الذي يرتديه ، مثل ثوب دم عشيرته) ونرى بعدها يعثر على الإله المفقود وتقام له الطقوس والتعاويذ على الماء وتفسر هذه الاسطورة من منظور آخر غياب بعل وجفاف الأرض .

ونرى أن هذه الاسطورة هي الأقرب الى اسطورة ادونيس حيث يقتل الخنزير الإله ادونيس . ويمكن أن تكون هذه الاسطورة هي جزر أسطوره أدونيس لأنها الأقدم ، حيث يستبدل بعل بادونيس ،خصوصاً أن اسم كليهما يعني (السيد) . لكن اسطورة بعل تجسد صراع الإله الرسمي الكبير ، أما أسطورة أدونيس فتجسد صراع الإله الشعبي . وهو ما يذكرنا أيضاً بأسطورة مردوخ الرسمي في مقابل تموز الشعبي في وادي الرافدين أو أسطورة رع الرسمي في مقابل أوزيرس الشعبي في وادي النيل .

البعول(البعليم)

لا شك أن نظرة متفحصة لشجرة الآلهة تعطينا صورة كاملة وواضحة لاشكال ، وربما لأبناء ، بعل الذين اتخذوا لهم ما يناسبهم من المدن والصفات والمياه والمنار والكواكب والحرب وهناك بنات لبعل أيضاً . ولا نريد هنا أن نتوسع في دراسة كل منهم ، إلا أننا سنمرّ سريعاً على بعضهم .

من خلال بعول المدن والأماكن نتعرّف على (بعل بقاع ، بعل كرم اللوز ، بعل دوليخ ، بعل صفون ، بعل لبنان ، بعل صور ، بعل دمشق . . . الخ) وبعل دوليخ هو إله مدينة دوليخ الواقعة في شمال سوريا(100كم عن حلب) وهي الآن ضمن الاراضي التركية ، وكان له لقبان الأول عربي هو(عزيز) والذي يطابقه مع الإله الصحراوي (عزيزو) ، والثاني روماني هو (جوبيتر دوليخينوس) . وكان بعل دوليخ يمثل إلهاً حورياً حيثياً للعاصفة والخصب ثم اصبح الهاً للجنود ثم أصبح إلهاً سماوياً يشير الى النصر والسلام ، وكان يرتدي عادة لباساً عسكرياً رومانياً ويقف على ثور حاملاً صاعقة وفأساً مزدوجة . . وكانت له رفيقة أنثى تعبد معه (شكل36) .

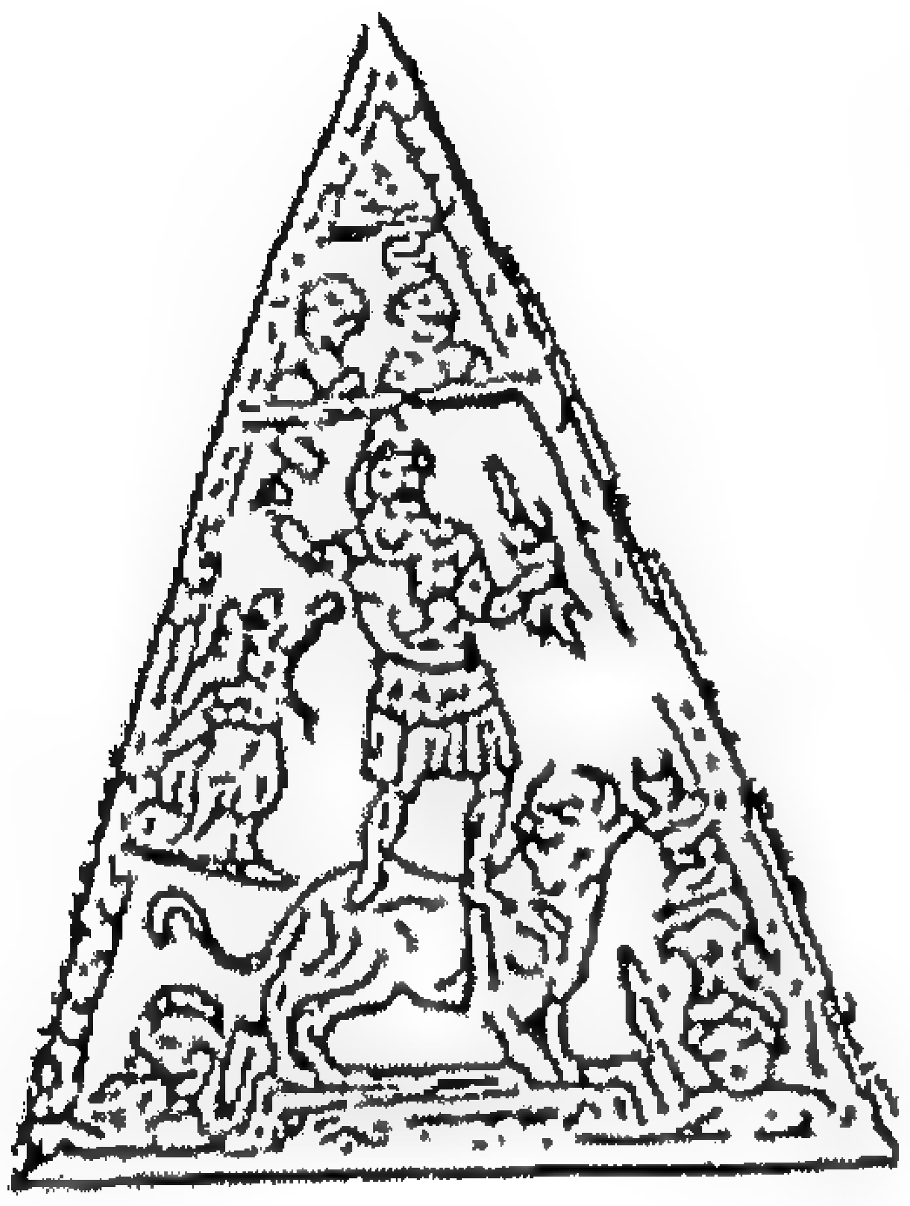

شكل (36)

بعل دوليخ (جوبيتر دولخينوس)

ومن بعول الصفات نتعرف على بعل أدير (بعل القدير) الذي كان أحد آلهة جبيل منذ القرن الخامس ق .م ونراه في شمال افريقيا كإله حرب .

أما بعل مرقد فهو (بعل الرقص) الذي كان له معبد في دير القلعة ببيروت ونبع يشفي من الامراض . وربما كان له علاقة بإله الرقص المصري(بيس) واسمه الآخر (ملك المآدب والولائم) أي أن هيكله كان للقصف والمرح والمتعة ، وشيد له الرومان معبد جوبيتر (المشتري بعل مرقد) وكانت زوجته الملكة جونون وهي هيرا إلهة الاسرة والزواج وتقابل تانيت عند الفينيقيين الغربيين وعشتروت عند الفينيقيين الشرقيين . وتذكره النقوش اليونانية واللاتينية على شكل (بلمركوس) ، أي أن ماركوس أو ماركس تقابل مرقد التي تعني مرقص .

أما من بعول المياه فنشاهد عليان أو عاليان الذي يوصف بأنه ابن الإله بعل ويختص بالينابيع .

ومن آلهة الكواكب نتعرف على الإله (عجل بعل) ويسمى (أغلبيل) وهو إله القمر الذي يظهر على شكل عجل صغير ذي قرنين يحتويان على علامة الألوهية وفي أذنيه قرطين دائريين .شكل (37) .

شكل (37)

الإله عجل بعل في صورة العجل ذي القرنين

ولبعل عدة بنات منهن الثالوث (أرصاي ، بدراي ، طلاي) ، وهن آلهة(الأرض ، البدر ، الندى) . وثالوث آخر . . . الخ .

وهكذا نرى هذا السيل الكبير من الآلهة التي كانت تسمى باسم بعل « والسؤال الذي مازال قائماً هو : هل اسماء بعل الكثيرة والمختلفة تشير الى آلهة عدة متباينة ؟ أم أنها تصف ظواهر الإله الواحد في كل موقع أو مدينة ،والاعتقاد السائد حتى اليوم أن اسم بعل كان يطلق على كل إله باستثناء (بل) ، الرافدي ، ولم يتحول الى اسم علم اطلاقاً» (اذزارد 182 :1987) .

ولا نتفق مع هذا الرأي لأن كتاب العهد القديم هم الذين كرسوا تعميم بعل هذا فهو إله محدد قائم بذاته ساد في الديانة الكنعانية منذ بداياتها المبكرة ، رغم أنه ظهر بعد إيل ، أما كثرة ذكره مع آلهة أخرى فهي اشكال متعددة له حسب الاماكن والمدن و الصفات والحالات كما أوضحنا اعلاه وفي شجرة الآلهة الكنعانية .

4-أسطورة عناة

تحدثنا عن الإلهة (عناة) عندما سردنا اسطورة بعل ، ونرى أن اسم (عناة) مشتق من اسم (إنانا) ، وهي إلهة الحب والجمال السومرية وملكة السماء ، ولكن شخصية عناة تختلف عن إنانا فبينما تميل عناة نحو القسوة والقوة تنحو إنانا نحو الرقة والخصب والعذوبة . ويبدو أن التأنيث السامي ، بإضافة حرف التاء ، هو الذي حول اسم انانا الى

(إنانات) الذي تحول تدريجياً الى(إنات) و(عنات) ، ومع ذلك فإن عناة تظهر في النصوص الاوغاريتية بصفتها المزدوجة كإلهة حب وإلهة حرب . أما أهم القابها فهي :

1-بتلت :أي البتول أو العذراء .

2-رحم : العذراء والرحيمة والحنونة .

3-عت أم : أي (عناة أمي) أو عناة الأم .

4-عت نر : أي(عناة نوري) وعناة نورنا .

5-عت نتن : أي عناة العاطية أو المانحة .

6-عت كبر : عناة الكبيرة .

7-يكون عث : عناة قوية كالوجود .

8-عناة هرتي : عناة السعيدة (لقب مصري) .

9-عناة تحمي .

10- عناة المنتصرة .

11- يمامة الشعوب .

وتظهر الإلهة عناة في أقدم منحوتاتها الاوغاريتية من الفضة بصفة امرأة ذات شعر قصير وأنف منقاري يشبه أنف بعل في أقدم منحوتاته ويدان تمتدان الى الامام . (شكل) كذلك تظهر وهي مسلحة باسلحتها المختلفة . وتظهر جالسة على العرش .

واذا تتبعنا جذور عناة فسنجدها بالدرجة الأساس سومرية ثم مصرية تمثلها (نوت) إلهة السماء (نيت) الإلهة القواسة لمدينة سايس وهي إلهة خالقة أيضا ونرجح أن كليهما جاءا من (إنانا) ملكة السماء السومرية . ونرى أنهم تظافروا في تشكيل الالهة الكنعانية (عناة) . هناك امكانية كبيرة لأن يكون اسم (عناة) قد تحول الى (انات) . ونرى أن كلمة (انثى) العربية مشتقة من هذا التحوير ، وأن اسم (أنات) قد جرت عليه بعض التحويرات اللفظية فتحول الى اسماء ثلاثة لالهة معروفة في العصور اللاحقة وهي :

1- اناهيت : وهي الإلهة التي شاعت عبادتها بصيغ مختلفة في ايران والعراق والشام ، ففي ايران سميت (اناهيت) زوجة الإله اهورامزدا إله النور الأكبر ، وفي العراق ،

ظهرت بصيغ مختلفة تدل عليها مدينة (عانة) الحالية في العراق والتي كان اسمها باللغـة السـومـرية(أناثا Anatha)، أنات Anat، أن-أت An-At ، أ-نا-أت -A-na at، أ-نا-تي A-na-ti) (انظر علي 1980:82) .

ويقال أن اسم (اناهيت) أطلق على اسم مدينة واحدة كانت تضم عانة وهيت ، فلما انتهت عبادة اناهيت انقسمت المدينة الى مدينتني هما (عانه) و(هيت) العراقيتين .

كذلك تظهر اناهيت عند الآراميين تحت اسم (أنحت) و(أنهت) وهي زوجة ورفيقة الإله (حدد) .

ويمكن أن تكون هذه الآلهه قد نشأت مباشرة من اسم (إنانا) .

2-تأنيت : وهي الإلهة التي شاعت عبادتها في شمال أفريقيا عند البربر أولاً ثم عند البونبيني وكانت رفيقة الاله بعل حمون ،وقد ظهر رمزها الشهير في بعض المدن الفينيقة الشرقية مثل بيروت . وتظهر صفاتها مشابهة لصفات الإلهة (عناة) مع ميل أمومي أكثر .

3-أثينا : وهي إلهة الحكمة وسيدة عاصمة الاغريق التي نرى أن اصولها المثولوجية هي أصول مشرقية تمتد الى (عناة) التي تمتد باصولها الى (أنانا) .

ويرى مارتن برنال في كتابة (أثينه السوداء) أن هناك علاقة كبيرة بين اثينا والإلهتين المصريتين (نت) و(نيت) وهما الهتان عذراوتان للحرب والنسيج والحكمة . وكانت عقيدة الإلهة نيت متمركزة في مدينة سايس في غرب الدلتا ، وقد كان اسم (سايس) هو الاسم المدني للمدينة بينما كان اسمها الديني هو (حت نت) أي معبد أو بيت نت ، والذي تحور الى آث-نت ثم اختفت التاء في العصور المتأخرة في كل من اللغتين الاغريقية والمصرية (انظر برنال 142-141 :1997) .

ونرى أن الإلهه أثينا اشتقت من (عناة) (شكل 38,39) وهو ما كان يشير اليه المؤرخون السوريون القدامى وما تشير له التشابهان الواضعة بين تماثيل (عناة) وأثينا من خوذة الرأس الى الاسلحة وحتى ملامح الوجه (انظر المخطط 7) وبذلك يمكننا وضع المخطط التالي لاشتقاق هذه المنظومة من الاسماء المتداخلة والمتشابهة .

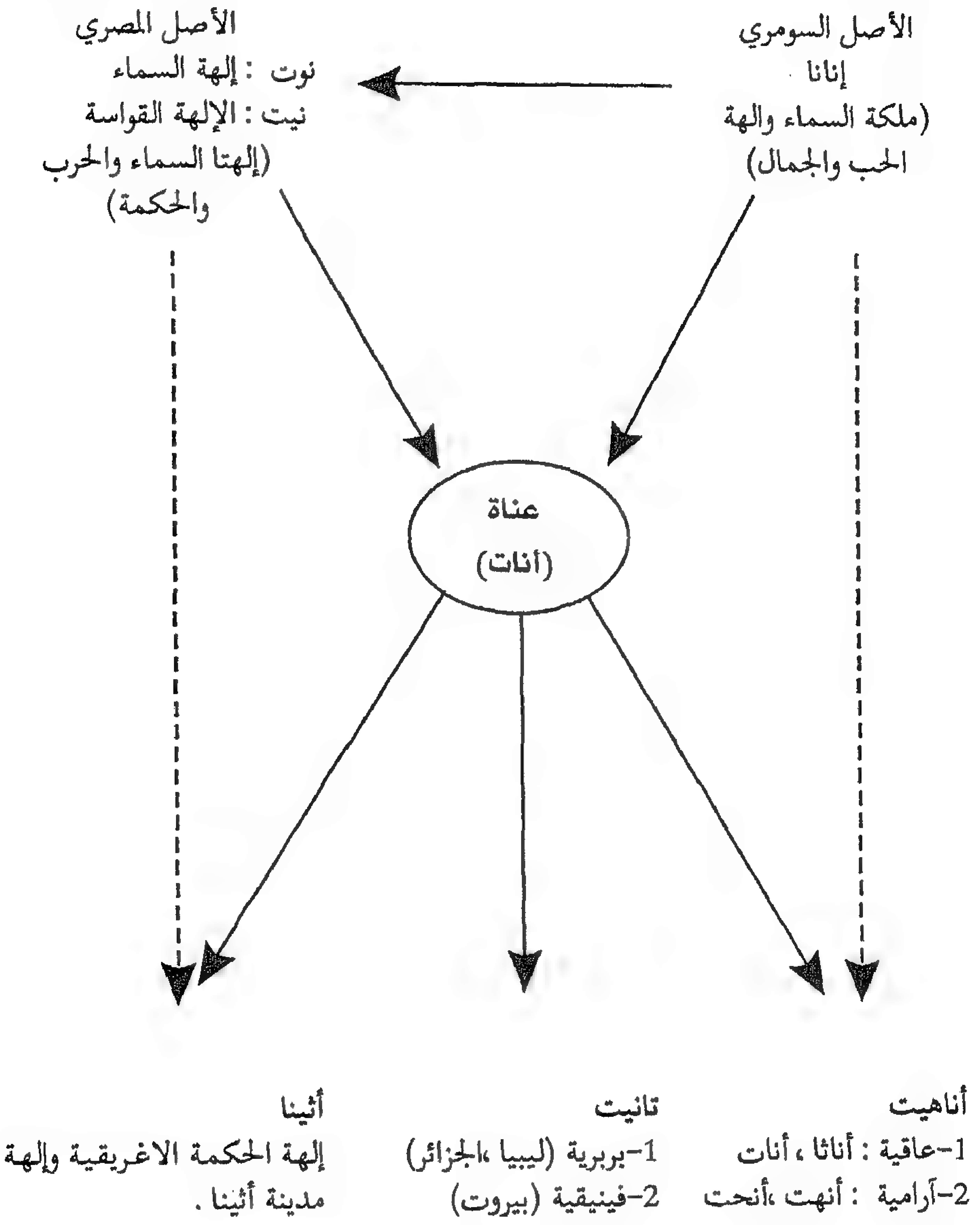

مخطط (7)

جذور وغصون الإلهة عناة

شكل (38)

أ
تمثال من الفضة من القرن(19) ق .م(متحف دمشق)

ب
عناة مع أسلحتها عناة المحاربة منتصف الالف الثاني ق .م

ج
عناة الملكة جالسة على العرش .

أ
أثينا ترتدي خوذتها المميزة (روما)

ب
أثينا مع اسلحتها (برونزي) اثيناالمحاربة (روما)

ج
أثينا بملابس ملكية تمثال برونزي (روما)

شكل (39)

الإلهة الاغريقية (أثينا)

إن المعنى الراسخ لكلمة (عناة) هو (سيدة الجبل) . ونرى أن الإلهة عناة ازدهرت في المرحلة الاوغاريتية ثم طبقت مع بداية الألف الأول قبل الميلا د مع عشتروت التي حلت محلها مثلما حل ادونيس محل بعل تدريجياً . وفي جبيل كانت عناة قد سميت مبكراً بـ(بعلات) ربة جبيل وأخذت ملامح إيزيس أو حاتحور المصريين (شكل 40) .

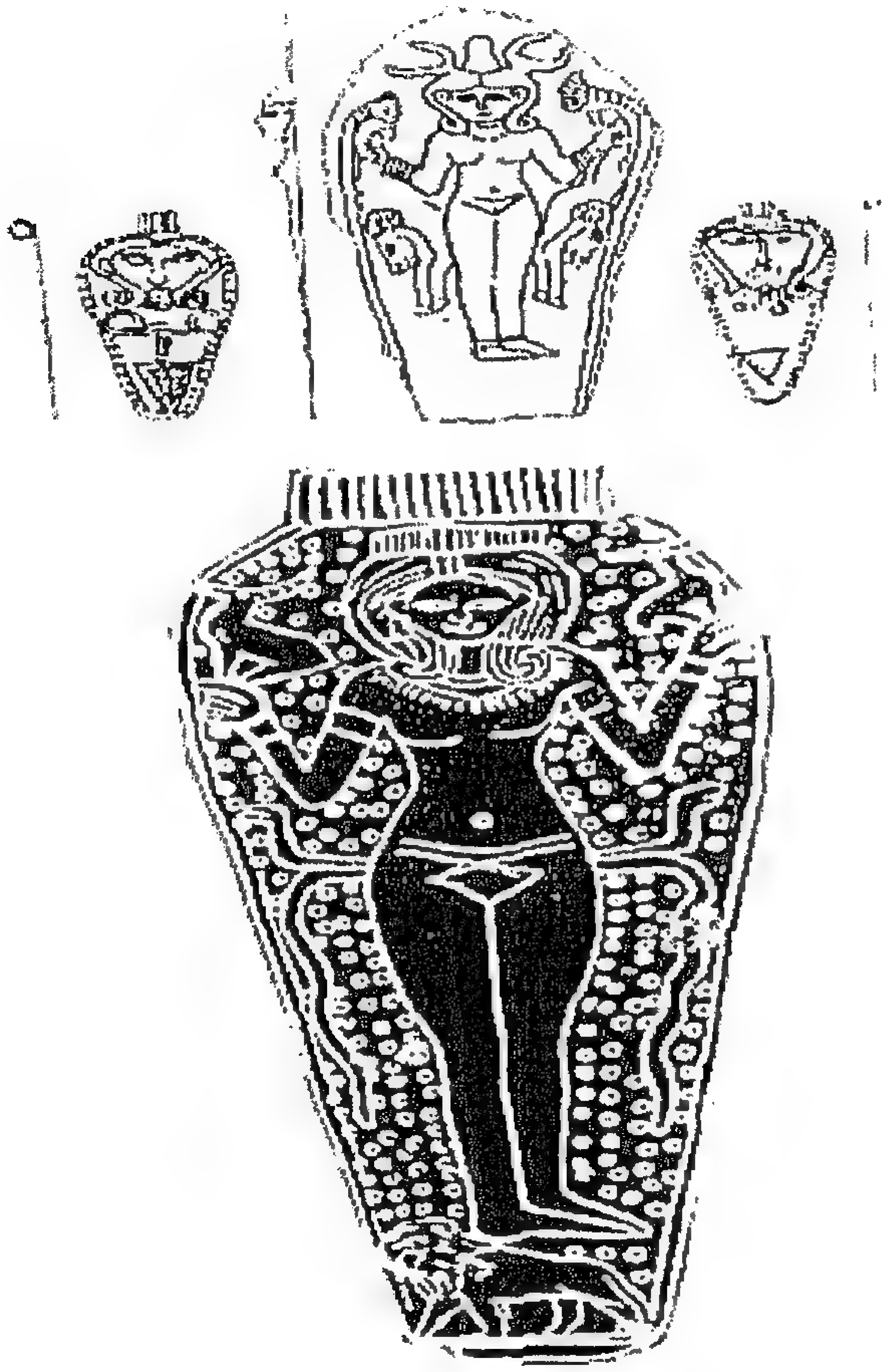

شكل (40)

الإلهة عناة في صورتها الخصيبة

1- مصورة على أقراط ذهبية وحولها رموز الخصب. 2- تمسك الجداء وحولها الأفاعي وتقف على أسد

5- أسطورة أدونيس

مع ظهور الفينقيين الواضح في بداية الألف الأول قبل الميلاد وصعود المدن اللبنانية الساحلية كانت اسطورة بعل تتوارى في السهول والوديان وتنشأ محلها اسطورة أدونيس ذات الايقاع المحلي والمتاخم لمناخي الرافدين والنيل .

كان الكنعانيونر يسمون إله مدينة جبيل (آدون) ومعناه(السيد) أو (الرب) وهو يطابق في معنى اسمه ذات الايقاع المحلي والمتاخم لمناخي الرافدين والنيل .

شكل (41)

تمثال أدونيس (عن ثابت 1948)

وأدون هو إله رافدين الأصل يمثله دموزي السومري وتموز البابلي وهما إلها المراعي والخصب والجمال وقد ارتبطا بعلاقة عشق مع إلهتين هما إناتا مع دموزي وعشتار تموز وكان هذا الثنائي العاشق أصل أساطير الحب في العالم القديم .

كذلك يرتبط أدون بعلاقة متناظرة مع اوزيريس الإله المصري وزوجته ايزيس ، وقد رحلت عبادة أدونيس الى مصر وكان له معبد في مدينة فاروس (الاسكندرية) القديمة وبالمقابل إمتد أثر اسطورة اوزوريس إلى مدينة جبيل وكان له ولزوجته معبد فيها .

لكن أدون انتقل في الألف الأول قبل الميلاد الى بلاد الاغريق ثم الرومان واصبح يسمى (أدونيس) ، أما حبيبته عشتروت (والأصح عستروت او عشترتا) فقد قوبلت بالإلهة افروديت اليونانية (فينوس الرومانية) (شكل 41,42) .

شكل (42)

تمثال الآلهة فينوس في لبنان (منطقة المشنقة) قرب وادي نهر أدونيس (نهر ابراهيم) وتظهر مقنعة الرأس كئيبة الوجه تسند رأسها الى شمالها المحتجبة بردائها. عن : اليسوعي 1982

ومازلنا نفتقد الأسطورة الأصلية الكنعانية أو الفينيقية للإله أدون ولكن الرواية الرومانية لهـا هي التي بين أيدينا وهي على لسـان الشـاعـر الرومـاني اوفـيـد في (مـسخ الكائنات . الكتاب العاشر) .

ويبدو أن عبادة ادونيس في سوريا ولبنان كانت متأخرة نسبياً لكننا نعثر على ما يشير اليه اغريقيا في القرن الخامس قبل الميلاد .

وتتحدث الوثائق عن الاحتفالات السنوية التي كانت تقام من أجله حيث يكثر فيها البكاء والنحيب في كل من أثينا والاسكندرية في عصر البطالمة (بطليموس الثاني) ،ثم في جبيل وانطاكية حوالي القرن الثاني للميلاد وقد وصلت عبادته الى روما حوالي القرن الأول قبل الميلاد .

وسنقوم بتلخيص اسطورة ادونيس كما وردت عند اوفيد (انظر اوفيد 303-296 :1971) .

أ- ولادة أدونيس

كانت مورا (مورها) فتاة جميلة جداً تفاخرت ذات يوم مع الإلهة فينوس بنعومة شعرها فحقدت عليها فينوس وحكمت عليها بأن تقع في حب آثم لوالدها فوجهت ملاك الحب كيوبيد ليرشقها بسهام الحب وهي نائمة ،فرشقها واذا بها تتعلق بحب والدها .

وبدأ الخطاب يتقاطرون عليها لكن(مورا) كانت ترفضهم جميعاً وكان حب ابيها ينمو بين جنباتها حتى أسرت به ذات يوم الى مربيتها التي دبرت لها حيلة لتلتقي بأبيها وتمارس معه الحب .

وانتظرت حتى ثُمل الأب فدخلت المربية عليه وأخبرته بأن هناك جارية من جوارية تريد أن تعاشره فوافق الأب ودخلت عليه ابنته (مورا) واضعة وشاحاً على وجهها حتى لا تسمح لابيها بالتعرف عليها ، وهكذا مارست الحب معه . وبعد وقت حملت من هذا الحب المدنس جنيناً ثم عاودت ممارسة الحب عدة مرات مع ابيها حتى كشفها ذات يوم فنهض من فراشه وامسك بيده السيف يريد قتلها لكنها هربت في الظلام وخرجت من القصر هائمة على وجهها .

ولما يقرب شهور حملها التسعة ظلت هاربة في القفار ولما اقترب موعد ولادتها تضرعت للآلهة بأن تصبح بين الحياة والموت وتتحول الى شجرة .

وكان لها ما أرادت فاذا بالأرض تتجمع حول قدميها واصابعها تمتد وتتحول الى جذور رفيعة تحفر الأرض وتتحول ساقها الى ساق شجرة وارفة ثم تتحول ايديها الى اغصان متشعبة وعظامها الى خشب ودمها الى عصارة نباتية ويتحول جلدها الى لحاء وهكذا تحولت الى شجرة الـ(مر) التي تستخدم كبخور في أعياد ادونيس .

وعندما دنت ساعة ولادتها أنشق لحاء الشجرة وخرج الوليد من جذعها واسرعت الجوريات بالتقاط الطفل وغسله بدموع أمه ووضعه فوق العشب وكان الطفل جميلاً جداً يشبه الآلهه (شكل 43) .

شكل ((43)

مورا (أم أدونيس) ممسوخة الى شجرة المر وهي تلد أدونيس من جذعها. عن أوفيد : 1971.

ب-خلاف فينوس وبرسفونه على أدونيس

كانت فينوس تراقب مشهد ولادة أدونيس فتعلق فؤادها به لجماله فهبطت من السماء وأخذت الطفل ووضعته في صندوق وأرادت أن تخفيه عن عيون الناس والآلهة فهبطت به الى العالم الأسفل وطلبت من أختها (برسفونة) ملكة الجحيم والهة العالم السفلي الاحتفاظ به والعناية بتربيته .

كبر أدونيس في أحضان برسفونه فتعلقت به هي الأخرى وتخاصمت الأختان ورفعتا شكواهما الى رب الارباب (زوس) أو (جوبيتر) حتى يحكم بينهما فأمر بأن ينقسم عام أدونيس الى ثلاثة اقسام (كل قسم في اربعة اشهر) فيكون الثلث الاول مع فينوس والثلث الثاني مع برسفونه والثلث الاخير يترك لادونيس يقضيه بحريته مع إحداهن فاختار أدونيس أن يقضيه مع فينوس في العالم الارضي .

ج-فينوس وأدونيس

كان أدونيس يقضي ثلثي العام مع فينوس وكانت هواية ادونيس هي الصيد وكان يصيد دون مبالاة بشيء ولكن فينوس كانت تراقبه من مركبتها السماوية فتعلقت به حباً وكانت تحاول اغواءه شكل (44) لكنه لم يكن يبالي بها فاشتعل حبها له حتى استطاعت أن تجره الى حب جسدي شهواني عنيف وكانت تحذره من الحيوانات التي يصطادها وحكت له ذات يوم قصة اتلانتا التي غلبها في العدو هيبومينيس فتزوجته لكنهما ارتكبا خطأً كبيراً عندما مارسا الحب في أحد المعابد ودنسا محرابه فتحولا الى أسدين يسكنا الغابة .

لكن ادونيس لم يبال بهذه التحذيرات ،فخرج له خنزير بري كانت كلاب الصيد تعدو وراءه فرشقه ادونيس برمحه لكن الخنزير اقتلع الرمح وتعقب ادونيس وعض فخذه قريبا من خصيته بنابه فتلوى ادونيس مختصراً على الرمال وحيداً (شكل (45) .

شكل (45)

فينوس تغوي ادونيس ويظهر كيوبيد (اله الحب) وهو يغرز سهم الحب في جسد فينوس. عن أوفيد 1971

شكل (46)

مصرع أدونيس واضطراب الطبيعة. عن أوفيد 1971

5- دم أدونيس:

سمعت فينوس أنين أدونيس وكانت فوق عربتها التي تقودها البجعات المجنحات نحو قبرص (حيث قصرها في بافوس) فأدارت طيورها البيضاء نحو جبيل في لبنان (شكل)

وعندما وصلت الى هناك شقت ثوبها ولطمت وجهها وجرت شعرها وكالها منظر دماء أدونيس فقررت أن تحول دم أدونيس الى حمرة تحتاج الزهور البيضاء (نكاية بما فعلته اختها برسفونة التي حولت مورا الى شجرة عطرة) وهكذا صبت فينوس على دم ادونيس رحيق زهرة عطرة فغلى الدم وتصاعدت منه فقاعات صافية ثم انبثقت من بين الدماء زهرة بلون الدم تشبه زهزة الرمان وهي زهرة شقائق النعمان .

ولتحليل هذه الأسطورة الرومانية الرواية وارجاعها الى الأصل الكنعاني سنقوم بمجموعة من المقارنات التي تعيننا على تلمس ذلك والتي ستهم في تعميق شخصية ادونيس ومعرفة اغواره .

-ادونيس وعلاقته بالسماء : لا يمكننا المرور عابرين على اسم والدة ادونيس (مورا) أو (مورها) فهذا الاسم يذكرنا باسم (مورا) وهو الاسم الذي كان يطلق على أرض فلسطين وهو في رأينا اسم له علاقة كبيرة بالاموريين الذين كان إلههم (مارتو) هو الإله القومي لهم إضافة إلى أن اسم (مر) كان يدل على إله السماء القديم عند الأموريين . ويؤكد هذا ايضاً ان أم ادونيس تحولت الى شجرة الـ(مر) .

فأدونيس والحالة هذه يبدو لنا وكأنه ابن السماء وهي صفة تنسحب أيضاً على بعل وايل قبله .

- أدونيس وعلاقته بالشمس : نرى أن (أدون) هو تصحيف عميق لكلمة (أتوت) التي تعني الشمس وأصلها اله الشمس السومري (أوتو) صديث دموزي (الإله الراعي) ، وهو إله الشمس المصري الذي رفعه اخناتون لمستوى التوحيد المطلق (أتون) .

وهناك ما يشير الى علاقة ادونيس بالشمس في ظهوره واختفائه كل ستة اشهر حيث يبدو خلال فصلي الربيع والصيف قوياً ساطعاً ويختفي أو يقل ضؤوه خلال فصلي الخريف والشتاء ، وهو ما يفسر الظهور الدوري لأدونيس كل ستة اشهر ، فاذا كان بعل يفسر دورة حصب الأرض السبعية فإن ادونيس يفسر دورة الفصول الاربعة .

وهناك من يرى : «إن ظهور ادونيس في الستة الأشهر الأولى كظهور الشمس قوية على نصف الكرة الشمالي حيث المنطقة التي عبد فيها ادونيس ، اما اختفاؤه فيعني انتقال الشمس الى نصف الكرة الجنوبي ، واتسامها بالضعف والاختفاء وراء الغيوم في النصف الشمالي من الكرة الارضية ،وهكذا تكون دورة الشمس بين شمال وجنوب ، أو بين قوة وضعف وما ينتج عن ذلك من تعاقب الفصول» ،(جمعة 56-55 :1981) .

-ادونيس وعلاقته بالنباتات :يمثل ادونيس من وجهة نظر الكثير من الباحثين روح النبات فقد ولدته أمه شجرة المر وكان يتغذى قبلها على عصارة النباتات . ودورة حياته تمثل دورة حياة النبات عندما يكون بذوراً في باطن الأرض ثم يظهر في الربيع وحتى يأتي الخريف فيذبل وتتساقط بذوره على الأرض وهكذا . وكان الناس يعبدون ادونيس ويفرحون بولادته ويبكون لمماته حبا في النباتات وخصوصا القمح الذي يشكل مصدر طعامهم الأول .

كذلك تشير شقائق النعمان الى إتحاد دم أو روح ادونيس مع النباتات وتحوله الى لون أحمر وتذكر الاسطورة أن دماء ادونيس قد سالت الى نبع افقا حيث ينبع هناك نهر ابراهيم الذي كان يسمى (نهر ادونيس) حيث تختلط دماء ادونيس بمياه النهر فتتحول مياه النهر الى حمراء (وهي اشارة الى الظهور الموسمي للطمي الأحمر بعد ذوبان الثلوج) (انظر المرجع السابق : 55) .

-جذور أدونيس التموزيّة والأوزيرية : وقد أشرنا الى هذا الأمر مراراً حيث اكتسب أدونيس أسطورته من أسطورة تموز وعشتار (السومرية الاصل : دموزي وإنانا) إذ يغيب تموز في العالم الأسفل وتبحث عنه عشتار عندما تنزل الى هذا العالم فتقلتها أختها ارشكيجال ثم تقضي الالهة بأن يبقى تموز ستة أشهر على وجه الأرض وستة أشهر تحت الأرض . حيث تنوح عشتار على حبيبها عندما يغيب :

«ترفع صوتها في النواح إذا فارق الدنيا

ترفع صوتها في النواح قائلة : واولداه!

ترفع صوتها في النواح إذا فارق الدنيا قائلة : أواه يا دامو!

ترفع صوتها في النواح لتقول : يا ساحري ، يا كاهني!

هناك حيث أرسلت شجرة الأرزالمشرقة جذورها في المكان الفسيح في (عيانا) في التلال والوهاد ، ترفع صوتها في النواح .

وهي تنوح نوحها على الحشيشة التي لا تنمو في تربتها تنوح نوحها على القمح الذي لا ينبت في سنابله » (فريزر 21-20 :1979) .

وتشكل أسطورة اوزيريس وايزيس المصرية جذراً آخر من جذور أسطورة أدونيس كما علمنا .

– أدونيس وعلاقته بعمون ومؤاب : تذكرنا أسطورة أدونيس بقصة لوط في العهد القديم حيث تلد ابنتا لوط من أبيهما (بعد ان اسكرتاه) ، ابنين هما بنعمي ومؤاب ، وهما على التوالي أب العمونيين وأب المؤابيين . وفي قراءتنا للمثلوجيا الاردنية القديمة نرى أن الإلهين ملكون وبعل هما إلها عمون ومؤاب وهما صورتان من صور الإله أدونيس ويشترك بنعمي ومؤاب مع أدونيس بأصلهم الخاطيء حيث ضاجع أب مورا ابنته وأنجب بذرة خاطئة هي أدونيس وكذلك فعل لوط مع ابنتيه .

–ادونيس وعلاقته بالاله(أدد) : كان الإله أدد يسمى أيضاً (أد) او(أدد) ، وهو إله المطر والصواعق السومري والذي له علاقة بالخصب والزراعة ويمكن أن يكون هذا الاسم قد تحول الى (أدون) وهو بذلك يلتقي مع البعل في ان البعل هو المقابل الكنعاني للإله الآرامي أدد أو حدد الذي التحم به فيما بعد واصبح يعرف بـ(بعل حدد) .

والجدير بالذكر أن هناك منحوتات وتماثيل كثيرة في لبنان جسدت أسطورة أدونيس أو بعض مشاهدها منها تلك النقوش التي عثر عليها في (غينه) وفي (المشنقة) قرب وادي نهر أدونيس أو نهر ابراهيم . ففي آثار غينة نشاهد نقشاً بارزاً لبطل يصارع حيواناً يعتقد أنه أدونيس يصارع الخنزير وهناك نقش لامرأة حزينة بالقرب منه شكل (46أ ،ب) .

أ– نقش غينه تمثل أدونيس يصارع الخنزير وفينوس الحزينة .

ب–وكذلك نقوش المشنقة التي توضح بطلاً في أوضاع مستعدة للقتال ، ونقش امرأة حزينة ايضاً .

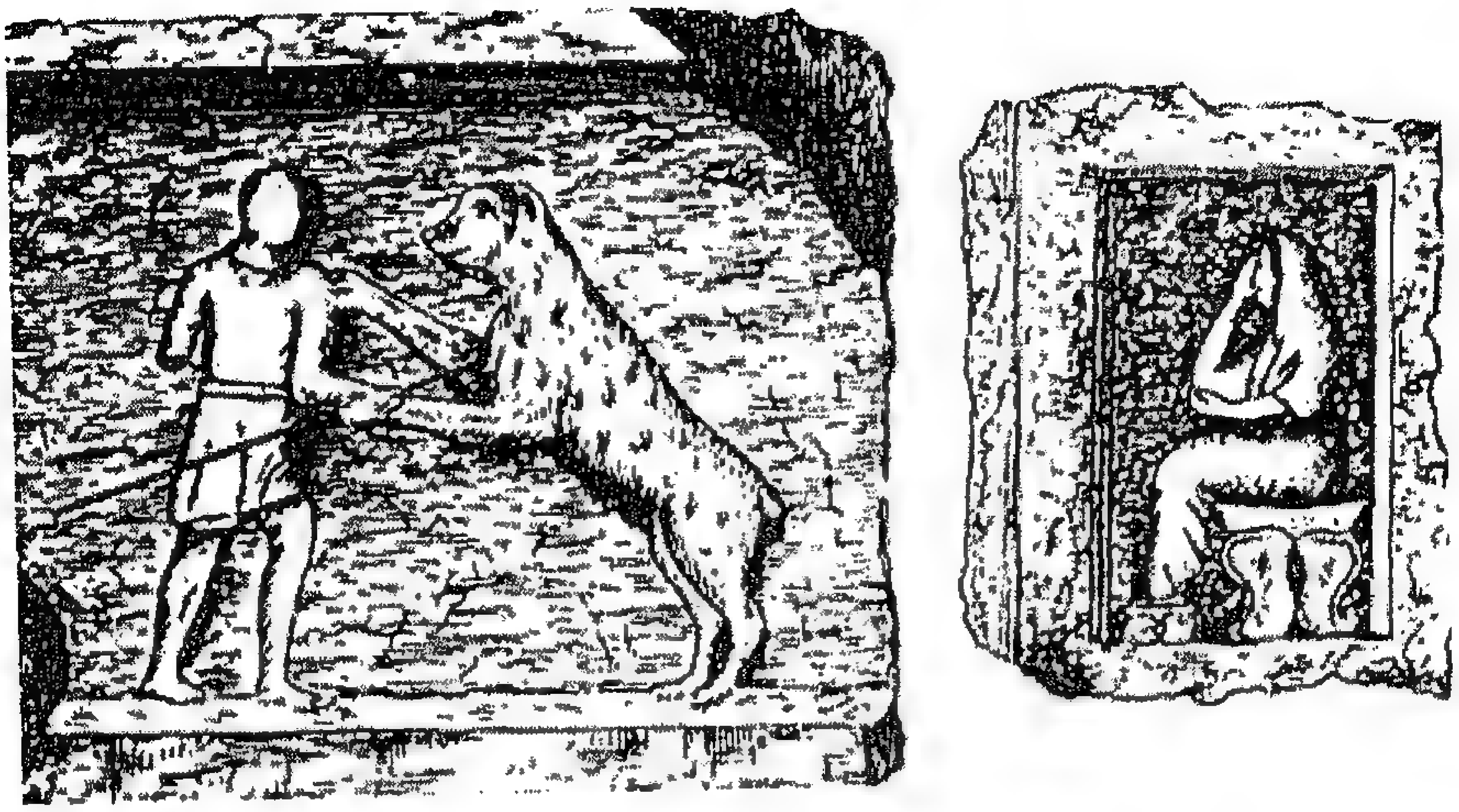

أ- نقش غين تمثل أدونيس يصارع الخنزير وفينوس الحزينة

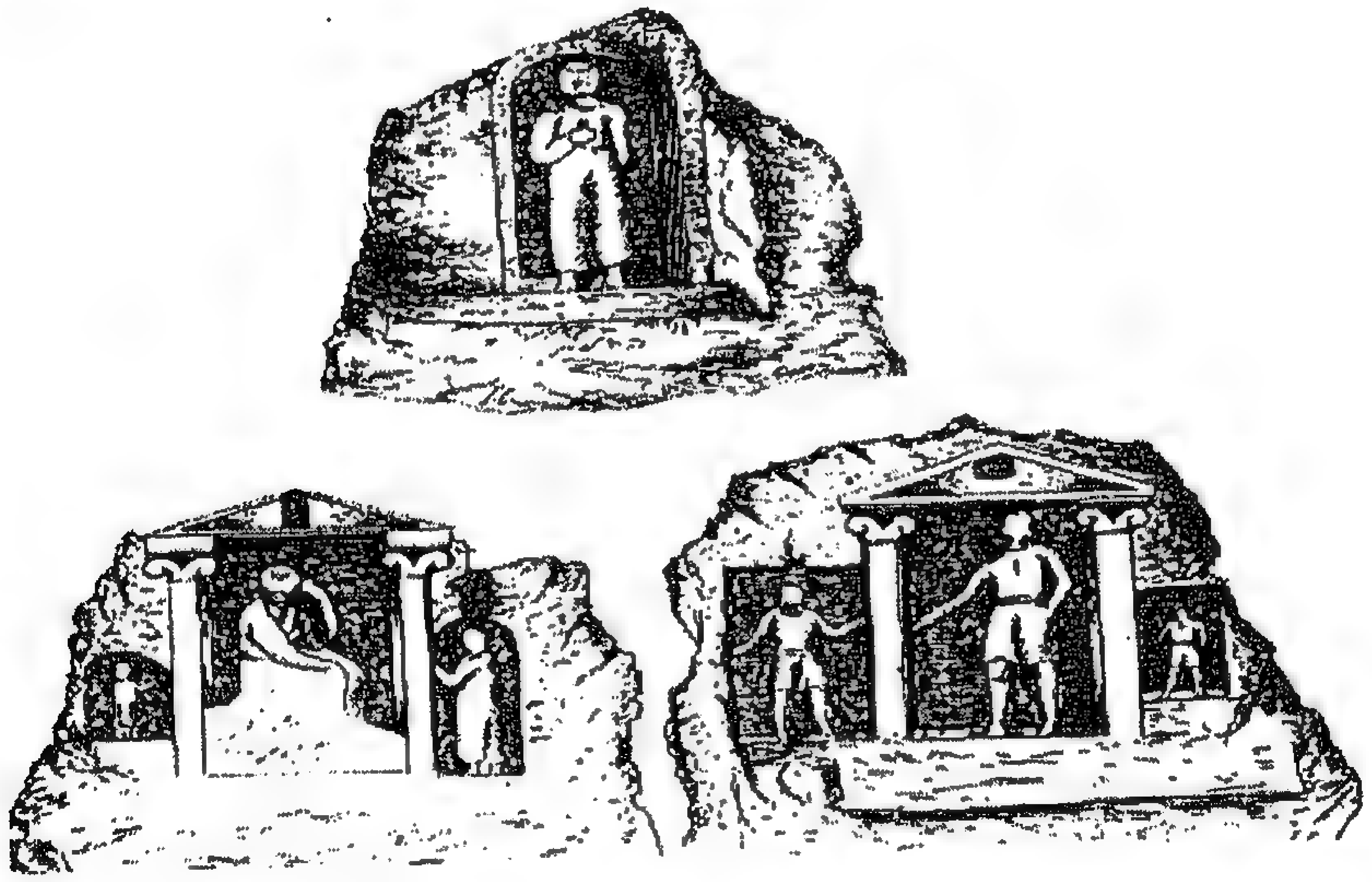

ب- وكذلك نقوش المشنقة التي توضح بطلاً في أوضاع مستعدة للقتال، ونقش امرأة حزينة أيضاً

شكل(46)

نقوش المشنقة توضح البطل المستعد للقتال والمرأة الحزينة.

-أدونيس وعلاقته بالأله (هاي- تاو- Hay-Tau) : وفي مدينة جبيل (ببلوس) عثر على اسطوانات أو أختام تختم به صفحات الكتابة في العصر التيني المصري حوالي 3000 ق .م وعلى هذه الاختام الاسطوانية صور مصرية الطرازلآلهة جبيل وهي إلهة بملامح إيزيس -حاتحور وقد جعلت على رأسها قرني بقرة وجلست الى جوار إله يدعى هاي- تاو - Hay Tau وهو الذي دعا الأغريق فيما بعد أدونيس (انظر بنت بطوطه ب ت :92) .

وقد استحال هذا الأله الى شجرة صنوبر كما في اسطورة اوزيريس الذي ليس جثمانخ بمعجزة جذع شجرة الأثل ونرجح أنه يكون اسم هاي-تاو شكلاً مذكراً من اسم حاتحور اوهاتحور وربما كان مقطع تاو Tau يشير الى إله الكتابة تاؤوس الذي هو تحوت المصري الذي وصف باله القمر والذي ربما لاقى مصيراً يشبه مصير ادونيس .

-أدونيس وعلاقته بالإله (إشمون) : وهو إله الطب الذي يشبه اسكلابيوس الاغريقي ، وله علاقة بروح الاعشاب والنباتات الارضية وخصوصاً الاشجار .

وكان لتشبيه ادونيس باشمون وما رآه الاغريق من تحويله الى أدونيس صدى بعيد الأثر ملفت النظر فيما تخلف من كتابات جنائزية من عصر بيبي الأول من فراعنة الاسرة السادسة فإن بيبي في ناووسخ الخشبي قد قارن نفسه بالإله هاي -تاو اي اوزيريس (انظر المرجع السابق- 93-92) .وتمثل علاقة اشمون بأدونيس مظهراً من العلاقة المشتركة بينهما وبين النبابات .

6- أسطورة إشمون

نتناظر شخصية الإله اشمو وتتماهي مع شخصية الإله ملقارت(ملكارت) فهو إله النار ، وهو إله صيدا أو صيدون .

وعبد هذا الإله في قرطاج وبني له فيها معبد يقع على قمة بيرسا وباتت أسماء العلم التي تضم لفظة أشمون كثيرة الاستعمال وفي قرطاج كما في صيدون ماثل هذا الإله اسكولاب (انظر ميادان 65 :1981) .

وتشير الآثار الى أن بيروت كانت المكان الأول لعبادة الإله أشمون ، ثم انتقل الى صيدا ومنها الى قبرص وسردينيا وافريقيا وقرطاج وكان اسمه في صور (ياسومون) وهو إله الطب والشفاء ، ويشير لهذا مقطع ياسو أو آسو في اسمه والذي يشير الى الطب ، وهوذات المقطع الذي في اسكولاب إله الطب اليوناني ، حيث كان إله الطب السومري اسمه (ننازو) أو

(تناسو)أي سيد الأطباء ،وربما كان اسم (ياسمين) للدلالة على هذه الزهرة على هذه الزهرة العطرة له علاقة بكونها عشبة طبية .

وقد ظهرت التفسيرات القديمة التي حاولت تفسير اسم أشمون غير دقيقة ، تلك التي قام بها فيلون « مسكيوس على اعتبار أن اسمه يعني الثامن (شامون) معتمدين على أساس ان اسكولاب هو الابن الثامن للإله ايل من صديقه وهو أمرٌ غير دقيق (انظر ازدارد 174 :1978) .

وتتداخل أسطورة وشخصية أشمون مع شخصيتي ادونيس وبعل . ويذكر المؤرخ دمسقيوس (من القرن الرابع الميلادي) مقارنة بين أسطوري أدونيس واسكلابيوس (إله بيروت) ويقول(ليس ادونيس مصرياً ولايونانياً بل فينقيا وأنه يسمى ايسمونوس وأنه ابن صاديقوس ، وربما كان اسم أدونيس غطاء أو لقباً وضع فوق اسم أشمون على نحو يخفي لقب (بعل) وهو الاسم الحقيقي الذي يسمى به الإله الأعظم ، وأما ارتباط مولده بشجرة فهو تصور طبيعي في بلد ذي غابات .(انظر عصفور 1981:15) .

وإذا كان الإله (هاي-تاو) الذي ذكرناه سابقاً يشكل صلة للعلاقة بين ادونيس وإشمون وتحوت (إله الكتابة والمعرفة في مصر) من الممكن تماماً أن يكون اشتقاق الإله الاغريقي اسكلابيوس (شكل 47) المناظر لتحوت منطقيا وبذلك يتطابق مع اشمون خصوصاً أن الاثنين يبدأ اسمهما بـ(اش) التي هي النار والتي لها علاقة بالطب .

شكل (47) الأله اسكلابيوس الاغريقي
أ- الإله اسكلابيوس مع ابنته هيجا/روما. ب-رأس تمثال رخاي لاسكلابيوس في جرش/ الاردن. القرن الثاني ق.م

وربما وقع الإله رشف بالمكانة ذاتها فهو إله النار والحرب من ناحية وهو إله الأوبئة وأحد آلهة العالم الأسفل ومعنى اسمه (الوباء) او (النار) ويلفظ باشكال متعددة (رشف ، رشف ، روشفن ، روشفون) ويظهر كاسم مكان في العهد السلوقي على شكل ارسوف ويوصف على أنه (رشف الطيور)و(رشف التيوس) (انظر اذزارد 214 :1978) ويظهر في تمثال برونزي من مجدو وهو يمسك هراوة أو سيفاً بيده اليمنى ودرعاً باليسرى شكل (48) .

شكل (48)

الإله رشف : تمثال برونزي عثر عليه في مجدو (1200-1500)ق.م تخطيط : فاروق كاظم

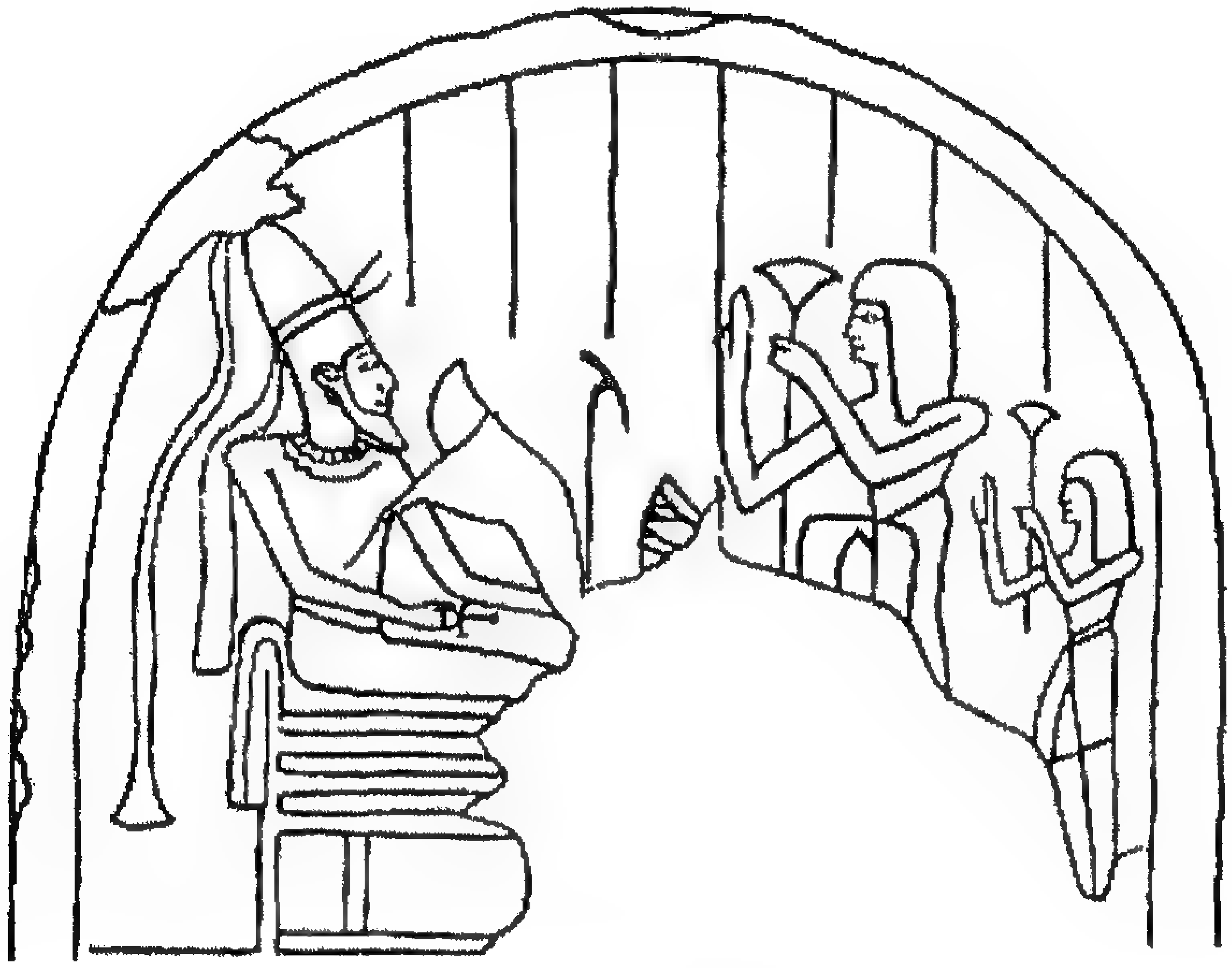

شكل (48 ب)

الإله ميكال (ربما كان رشف) الذي يمسك بيده اليمنى علامة الحياة المصرية (عنخ) ويصنع على رأسه غطاءً مزوداً بقرني غزال عن (Gray 1964:52)

أما الاسطورة التي تروى عن اشمون فتقول أن اشمون كان شاباً فتياً يحب الصيد وبينما هو في رحلة صيد وقعت بحبه الإلهة (استرونه) وهي إحدى مظاهر الإلهة عشتار وبدأت تلاحقه بلهفة دون هوادة ،مما اضطره لأن يخصي نفسه فيموت أثر ذلك ، ولكن الإلهة تمكنت من إعادته الى الحياة بحرارة الدفء الإلهي وجعلت منه إلهاً ومن هنا جاءت تسمية اشمون حيث أن كلمة (إش) تعني النار (انظر اذزارد 174 :1978) .

وجوهر هذه الاسطورة لا يختلف عن اسطورة ادونيس . وفي رأينا أن آلهة الخصب والزراعة تتماهى دائماً مع وظيفة الطب والشفاء والنار ونجد في الاساطير السومرية أصدق الأمثلة على ذلك فشخصية دموزي (أصل ادونيس) ترتبط دائماً بشخصية نذكشزيدا إله الطب السومري ، وإلهات الزراعة (باو) كولا ، ننتي ننسينا . .الخ) كلهن إلهات طب وشفاء وهكذا . .

وكان لاشمون معبد كبير في قرطاج على قمة بيرسة استبدل في العهد الروماني بمعبد إله الطب (اسكولابيوس) .

7- أسطورة شدرافا

وهو إله الطب والشفاء أيضاً ويتماهى مع ملكارت وإشمون ، وقد فسر اسم شدروفا أو شدرافا بمعنى(شد الشافي) وكلمة شد أو شيدو أو شدو هو الإله الحامي وهو إله شفاء متخصص بالشفاء من لسعات الثعابين والعقارب والحشرات . ولذلك كانت المنحوتات تصور شدرافا مع الثعابين والعقارب ، ويعتقد أن له علاقة بالإلهة (سديد) .

ربما كانت له علاقة كبيرة مع كائنات تدعى (رفائيم) او (رفوم) التي لها علاقة بالشفاء والاخصاب وهي كائنات أو عفاريت عملاقة ؛ ولذلك جاء أول ذكر لهذا الإله مع عمريت (في القرن الخامس قبل الميلاد) . واهم المدن التي عبد فيها هي صور وصيدا وايليس ومعد وقرطاج .

ونرجح أن اسطورة شدرافا لا تختلف في جوهرها عن اسطورة ادونيس أو اشمون ولكننا لا نملك نصا صريحاً عن هذه الأسطورة ويظهر الإله شدرافا (شدوفا) في نقوش انصاب عمريت على الساحل السوري بهيئة قريبة من هيئة الإله (بعل) ولكنه يحمل ،في أحد النصبين ، بيده اليمنى سلاحاً غير واضح المعالم أما في النصب الآخر فيحمل ما يشبه البلطة أو الفأس على شكل مرآة مثلومة . في حين حمل بيده اليسرى في النصب الأول حيواناً صغيراً ربما كان جدياً أو أرنبا أو شبل أسد ويعتمر الإله في النصبين بغطاء رأس مخروطي له ذيل إتضح طوله في أحدهما ، ويقف على أسد يظهر في أحدهما واقفاً على تلول العالم الأسفل الرمزية . ويظهر الشمس والقمر وفوقهما جناح الافق اعلى رأس شدرافا في أحد النصبين (شكل 49) . ونرى أن ظهور الأسد له علاقة بالألوهة المؤنثة التي ربما كانت لعناة بشكل عام ، ولكنها هنا مأخوذة من رفيقة شدرافا وهي الإلهة (سديد) التي تظهر هي الأخرى واقفة على أسد في أحد منقوشاتها متخذة شكل عناة وهي تمسك ابردي واللوتس (ربما الريحاني) .

شكل (49)

الإله شدرافا (شدّوفا) منقوشاً على نصبين من عمريت وهو يعتلي الأسد حوالي القرن السادس ق.م (متحف اللوفر باريس/ متحف طرسوس)

شكل(50)
الإلهة (سديد) تعتي وتمسك البردي واللوتس في يديها .

8- أسطورة حرون

كانت كلمة (حر) و(حور) التي إشتق منها اسم الإله حرون مرتبطة بالشمس ، وكذلك تعني كلمة (حور) حفرة أو جوف ، وكان العرب يشيرون الى كوكب المشتري بهذه الكلمة . وكان الطائر الصغير القصير الذنب المائل الى الخضرة والذي كان يرتبط بالشمس يسمى (حُر) . وكان الإله المصري (حور) أو (حورس) ملك الآلهة المصرية وابن إيزيس وأزوديس ووريث (رع) وهو إله الشمس وكان الصقر رمزه الأعظم .

والإله الكنعاني (حورون) يرتبط بالقوة والحرب والشمس ، ويعتقد أن اسمي (حوران) و(حران) لهما علاقة بهذا الإله . وهناك من يرى أنه إله العهود والمواثيق لأنه (لا ينطق الا بالحق) ، كما تروي بعض النصوص ذلك .

وكذلك ظهر هذا الإله مرتبطاً بالإله (رشف) والإله (شلمان أو شاليم) والإله (عناة) ويشبه في صفاته صفات الإلهين السومريين (نرجال) و(ننورتا) وهما إلها العالم الأسفل والعاصفة .

وفي مصر ظهر الإله (حورون) مصوراً على شكل عقاب كإله مام للفرعون رمسيس الثاني فوق أحد تماثيله المكتشفة في عاصمته (ممفيس) في الدلتا ، وكان تمثال أبو الهول الكبير في الجيزة من عصر السلالة الثامنة عشر يعبد على أنه الإله (حورون) (انظر اذزارد 1987: 210) .

ونرى أن مدينتي حوران (جنوب سوريا) وحران(شمال سوريا) لهما علاقة بعبادة قديمة كانت قائمة للإله (حورون) فيهما .

ويعتبر (حورون) إلهاً رئيسياً في مدينة يمينا(حورون يبن) في القرن الثالث ق .م كما اقترن اسمه مع هرقل (ملقارت) في نص مدون باللغة اليونانية فوق مسلة عثر عليها في جزيرة (دلوس) . وتسميه النصوص الادبية المندائية بـ(عبقري حوران وظل الوجود) (انظر المرجع السابق : 211) .

وظهرالإله (حورون) على مسلة شيحان في مؤاب (في منطقة رجم العبد) حوالي القرن الثاني عشر أو الثالث عشر . بصفة اله محارب يمسك رمحاً بيديه ويأتزر بتنورة المحاربين .

ويعتمر بكبوس ظهر منه الذيل المعقوف المدلى خلف ظهره وهو يشبه كبوس الإله بعل ويظهر الى جانبه صورة الإله حورس وقد إتخذ شكل العقاب (رمزه الشمسي) شكل (51) ،وهكذا تترسخ الصفات الشمسية والسفلية والحربية لهذا الإله وتضعف عنده الصفات الخصبية .

ولذلك نرجح أن تكون اسطورته مختلفة كلياً عن منظومة أسطورة أدونيس التي شملت أشمون ورشف وشدرافا . ونعتقد أنها اقرب لإسطورة إله شمسي او سفلي .

شكل (51)

الإله حورون من منطقة رجم العبر، جبل شيحان في مؤات حوالي القرن (12-13) ق.م.

9-أسطورة شبش

لم تحظ الشمس بأهمية دينية او مثولوجية في بلاد كنعان . ولذلك ظلت هامشية ،وقد مثلتها خير تمثيل الإلهة شبش Shapash وربما كان بعل أوحورون يأخذان صفات الألهين الشمسيين .

لكن النزعة الشمسية في الديانة الكنعانية ظهرت في نهاياتها وتحديداً في المرحلة الهيلنستية فصارت الشمس تغمر بصفاتها حتى الثالوث الإلهي(بعل حدد ، اترغاتس ،سيمسو) وصارت بعلبك مدينة الشمس وظهرت مظاهر أخرى مع طغيان الديانة الرومانية .

لقد كانت عبادة الطبيعة المخصبة المباشرة هي الأساس في الديانة المصرية ذات الطابع الشمسي أو من الديانة الاكدية ذات الطابع الشمسي ايضاً بل ظلت امينة لبيته أو ايقاعه الخصيب .

ويظهر دور الإلهة (شبش) في صراع بعل مع موت عندما تعثر على جثة بعل وعندما تهدد بعنف (موت) حين يعود لصراعه مع (بعل) .

10- أسطورة يرح(القمر)

كان القمر أوفر حظاً من الشمس في حضوره الاسطوري (على قلته) . ومن الطريف أن يأخذ القمر شكلين مختلفين عند الكنعانيين أولهما أنثوي والآخر ذكري .

كان الشكل الأنثوي للقمر هو الإلهة (نيكال) التي هي من أصل رافديني معروف ، فهي إلهة القمر السومرية التي يرد اسمها على شكل (ننكال) ، أي السيدة العظيمة ،ويرد اسمها كثيراً في قوائم الأضاحي في اوغاريت» . ويعتقد أن الإلهة كانت تتمتع بطقوس شعبية لائقة في اوغاريت ، ومن المحتمل أن مركز عبادتها الأساس كان في حران ، التي كانت إحدى مراكز عبادة إله القمر الرافدين(سن) الرئيسية وانتقلت عبادتها من هناك في وقت مبكر الى سورية» (ادزارد 248 :1987) .

أما الشكل الذكري للقمر فهو الإله (يرح) ويسمى أيضاً (باريش) وسنرى كيف يكون الإله (يرح) مصدر العبادة القمرية في جزيرة العرب واليمن من خلال الإله (ورخ) . وهناك

أسطورة زواج يرح من نيكال توصف فيما الإلهة العروس على أنها ابنة إله يلقب بـ(ملك ثمار الصيف) وتحضر حفل الزواج الإلهات المسؤولات عن الحمل والولادة (كوثرات) ،ويهتم القسم الأول بخطبة العريس وطقوس عقد القران وحفل الزواج حسب التقاليد الكنعانية القديمة .

أما القسم الثاني من الأسطورة فيخص مرحلة ما بعد الزواج وكيف أن الإلهات كوثرات يتهيئن لاستقبال الطفل الجديد من هذا الزواج الذي هو ثمرة مباركة تنبيئ بخصب الارض والطبيعة ايضاً .

وهكذا تصبح اسطورة القمر اسطورة هامشية على متن الفاعلية الخصبة التي يشكل اساسها ايل وجعل وعناة بالدرجة الأساس . وهو أيضا ما يعكس عدم اهتمام الكنعانيين بالشمس والقمر والكواكب بشكل عام في اساطيرهم وحياتهم لعدم اهميتها المباشرة قياساً الى دورات الخصب والجفاف والمطر والري .

11- أسطورة حمون

لا نملك نصا صريحاً يشرح لنا بدقة أسطورة حمون وتانيت في شمال افريقيا ، رغم وجود اشارات كثيرة الى وجود مثل هذه الاسطورة ،لكننا نستطيع أن نخمن أنها مزيج من أسطورة بعل وعناة وأسطورة ملكارت ؛ وذلك بسبب من الطبيعة النارية للإله حمون .

كان الإله حمون ،أو (بعل حمون) ، إلها كنعانياً /فينيقياً انتقلت عبادته مبكراً الى شمال افريقيا ، وساعد على ترسيخ وجوده اتخاذ صفاته مع صفات الإله المصري (آمون) الذي كان له معبد كبير ومشهور في واحة سيوه الغربية باتجاه الصحراء الليبية« وقد اقترح الاستاذ ستاركي تفسيراً لمعنى الاسم (سيد المباخر) معتمداً في تفسيره على وجود عدد كبير من الأنصاب في قرطاجة عليها مشاهد تقدمه البخور» (اذزارد 202 :1987) .

ويبدو أن الإله (بعل حمون) عبد من قبل البربر كإله قومي خالق وكانت أنصابه في قرطاج قبل القرن الخامس قبل الميلاد تذكره لوحده ، ثم تغيرت العقيدة الدينية القرطاجية واستبدلت ملكارت وعشتار ببعل حمون وتانيت ، وأصبح يحتل المرتبة الثانية بعد تانيت .

والتجسيد البشري لبعل حمون يأتي من قرطاجة حيث جسد على شكل انسان جالس على عرشه وبجواره تمثال لأبي الهول المجنح ويمسك رمحاً بيده اليمنى (شكل 52) . وكان

قرص الشمس المجنح الذي تظهر بقاياه في النقش البارز يظهر كرمز له بالاضافة الى القرنين في مقدمة رأسه في أحيان كثيرة ولذلك كان يسمى أحياناً (بعل قرنيم) ، وكانت تقدم له الأضاحي البشرية .

شكل (52)

بعل حمون منحوتاً على لوحة من سوسة. رسم : فاروق كاظم.

وكان حمون في شمال افريقيا ينبع من علاقته المقربة مع (آمون) المصري « وربما كان ذلك لأن الإله امون كان له معبد ذائع الصيت بالنسبة للساحل الافريقي الشمالي بأسره وهو المعبد الموجود في واحة سيوه ، ومما يزيد في تأكيد هذا التشبيه أن الإله بعل حمون كان يمثل بقرني الكبش وملتحياً مثل الإله امون المصري» (عصفور 147 :1981) .

وقد عبد البربر هذا الإله قبل مجيء الفينيقيين الى شمال افريقيا .

وكان (حمون) سيد البانثيون البوني ومطابقاً للإلهين (زوس) و(أبولو) والإله (ساتورن) في الحقبة الرومنية حيث عرف بهذا الاسم .

وقد تتعني كلمة (بعل) سيد الالواح النقشية ، وربما اشتقت كلمة (حمون) من كلمة (حمامين) التي تدل على الالواح النقشية كما ترى ذلك ميادان (انظر ميادان 1981:64) .

ولكننا نرى العكس حيث يمكن أن تكون كلمة الالواح النقشية مشتقة من (حمون) لارتباط هذه الالواح به بصيغة مركزة .

ثم تحول اللقب الى (إيل) الذي لقب أيضا بـ(سيد الالواح النقشية) .

وارتبط (حمون) بالاضاحي البشرية وخصوصاً الاطفال الذكور والإناث للتقرب منه وكف غضبه وقد عرف حمون في الفترة الرومانية باسم (ساتورن) وكان تقدم له الألواح النقشية . واحياناً الذبائح البشرية سراً .

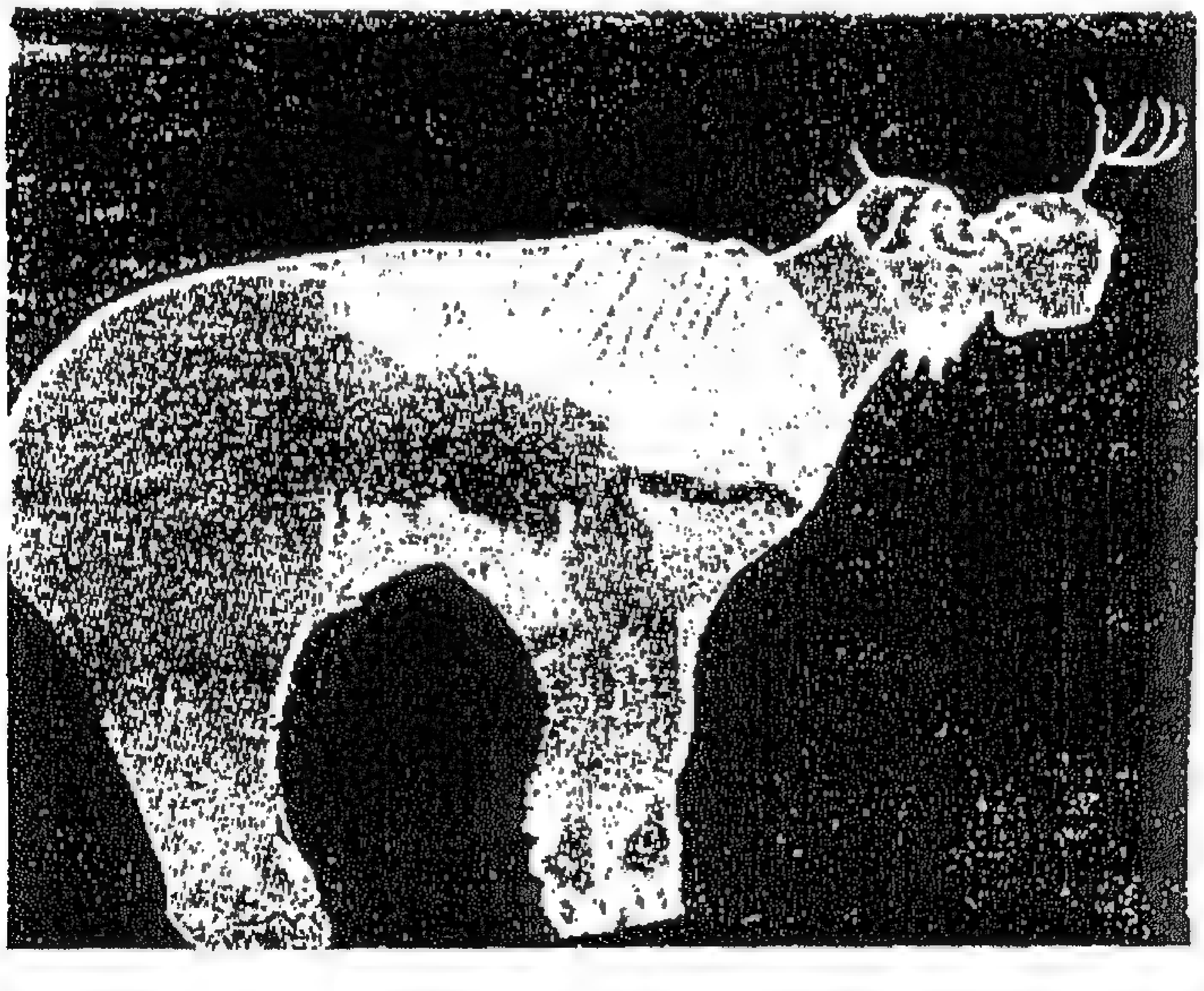

شكل (53)

الإله (آمون) وتجسيده الحيواني على شكل كبش يحمل الشمس بين قرنيه.

ويمثل هذا الإله، بشكله هذا، الإله الليبي والبربري القديم (بعل حامون).

12-أسطورة تانيت

أصل تانيت

تطرقنا سابقاً الى الجذور القديمة التي شكلت اسم تانيت وشخصيتها ، ونرى أن الإلهة عناة هي أصل تانيت فقد جلبتها الهجرات الكنعانية المبكرة جداً(ربما في الألف الثاني قبل الميلاد) الى شمال افريقيا . وتحور الاسم عندما تداوله المهاجرون الذي صاروا فيما بعد بربر شمال افريقيا . حيث يرد اسم (اناتا) في اسماء الآلهة الكنعانية ، ولأن البربر يؤنثون الاسم بتاء متقدمة ، فإن الاسم يتحول الى تاناتا او تانيت .

ولكننا نرجح رسوخ الاسم في شمال افريقيا بتأثير مصري ايضاً حيث عبدت في الواحات الغربية ثم في مدينة (سايس) ذات المناخ الصحراوي الإلهة (نيت) وهي الإلهة التي ورد ذكرها في مصر منذ عصر ما قبل الاسرات على فخار نقادة واعتبرت في الدولة القديمة ابنه رع . وقد شبهها الاغريق بمعبودتهم (أثينا) ذات الصلة بعناة أيضاً . وكان ظهور رمز مبكراً منقوشاً على الصخور الليبية موحياً بالعبادة المبكرة للإلهة الانثى دون أن نعرف لفظ اسمها الدقيق .

وهكذا اجتمعت كل هذه المرجعيات لتشكيل شخصية تاينت ورمزها واسمها . . واصبحت الإلهة الأم الخالقة .

أما الصفة السماوية لتانيت فنعتقد أنها أتت من (نوت) الهة السماء المصرية (القريبة من اسمها) اضافة الى الجذر السومري البعيد لملكة السماء إناتا التي نرى أنها أصل كل هذه الالوهة المؤنثة ،

وتظهر السماء في اسم تانيت مع حرف(ن) الذي يدل على السماء (آن) .

هكذا إذن ترسخت شخصية تانيت في شمال افريقيا عبر البربر اولاً ثم عبر البونيين .

وقد عبر البربر والقرطاجيون عن تقديسهم لهذه الإلهة ،فقد عثر على تمثال مجسم يجسدها مثل سيدة تحمل طفلاً بين ذراعيها وعلى حضنها (شكل54) فهي إلهة الأمومة والخصوبة عندهم ، وكان قرينها الدائم هو الإله بعل حمون .

شكل (54)

تانيت آلهة قرطاج تحمل طفلاً

رسم: فاروق كاظم

تانيت القرطاجية

سميت تانيت القرطاجية بـ(تانيت بانيبال) أي (تانيت المواجهة لبعل) أو (تانيت وجه بعل) . وكانت تعبد عندهم منذ القرن السادس والخامس ق .م .

ويرغم أنها كانت قرينة الإله بعل حمون ، إلا أنها كانت تقترن احياناً مع الإله (إشمون اله الشفاء) ، وهو اسكولاب الاغريقي ويجاور معبدها معبدة في قرطاج عند خليج بيرزه .

واضافة الى ان الالهة تانيت كانت إلهة أم ، لكنها كانت « في تصور العابدين عذراء رغم أنها الهة من الهات الخصب ، ومن رموزها ثمر الرمان والتين وسنابل القمح والسمكة ، وتلعب دوراً كإلهة من الهات السماء وتتميز عن عشتار- نجم الزهرة- بأن مجال عملها كان مقتصراً على الكواكب -الاقمار- وقد إستمرت عبادتها حتى القرن الثالث الميلاد في شمال افريقيا واسبانيا وبنى لها القيصرو (سبتموس سفيروس) الذي هو من اصل افريقي معبداً في روما» (اذزارد 208 :1987) .

وظلت عبادة تانيت صامدة قوية في قرطاج حتى بعد سقوطها ، فعندما رحل (غراكشوس) سنة 122ق .م الى قرطاج ونزل في خرائبها حاول أن يسميها (جونون) وهو الاسم الروماني المقابل لتانيت والذي كان يستعمل في الشرق الفينيقي الذي خضع للرومان ايضا . ونشير الى زوجة بعل (وبشكل خاص بعل مرقد اله الرقص) . وجونون (جونو) هو اسم إلهة الاسرة والزواج عند الرومان وزوجة كبير الآلهة (جوبيتر) وتقابل الإلهة هيرا الاغريقية زوجة (زوس) .

وفي حدود القرن الثالث الميلادي لاقى معبد الإلهة (جونون-كايلتس) (وهي تانيت البونية) شهرة عالمية ونافست كاهناتها كاهنات دلف في اسكشاف الغيب وتكاثر عبادها من الرومان واكرم ثمالها في الكابيتول . وبقي معبدها الملجأ الاخير للدين الوثني الرسمي ولم يُهدم إلا في سنة 426م .(انظر ميادان 125 :1981) .

وقد أظهرت التنقيبات في اسبانيا تمثالاً يعتقد أنه لـ(تانيت) الإيبيرية (الاسبانية) تشبه سيدة ألشي Lady of Elche وتزين بأغطية رأس براقة وحلي ايبرية قديمة .

المبحث الرابع
الكائنات الأسطورية غير الإلهية
(الشياطين والكائنات الخرافية)

ظهـرت الكائنات الأسطورية الأولى ، أو القـديمة في بداية شـجـرة الآلهـة ، ومنذ أول اتصال للسماء مع الأرض فقد ظهر عماليق الجبال وعماليق الحضارة وعماليق الممالك ، وظهر أيضاً الشياطين وكان على رأسهم (تيفون) الذي كان يقاتل ملكارت بشكل خاص .

ثم ظهرت أنواع أخرى من هذه الكائنات الأسطورية مع ظهور الإلهين ايل وبعل وكانت لها بعض الصفات الإلهية الشريرة أو الخيرة ولكنها لا ترقى الى مستوى الآلهة ، ويمكننا فرز هذه الكائنات إلى ثلاثة أنواع هي :

1-أبناء ايليم:

وينسبون الى الإله ايل ، وعندما يحجم ايل عن التدخل كان يكلف أبناء ايليم أن يحملوا غيوم الشقاء ، وكان الموت بيد ابناء ايليم وكان الموت الذي يحملونه يسمى (الموت الابيض) و(الموت الاحمر) ، وحين يصل الى الأرض يكسر شوكة المجد والكبرياء لأن روح الحي يمكن ان تكون مركز بعض الشياطين حيث يتمجدون بالكبرياء (انظر ميديكو 126 :1980) .

2-الكروبيم:

وهم قوى طبيعية تأتمر بواسطة بعل ويسمون الأبالسة الذين يمكن أن يتغلبوا على البلاد الاجنبية بواسطة (الايدي الخفية) ويسحقون كل شيء تحت اقدامهم . وكانوا كثيري العدد ويحاربون كالجيوش وزعيمهم المباشر كان يسمى (حارس الاموات) و(دليل المتوفين) وهو سفير بعل ، وكان البعض يدعونه إلى المائدة وتيذللون إليه ويقدمون إله الذبائح كما لو كان إلهاً . وشكله قاس يمكن أن يتبدل بعدة أشكال ولا تؤثر فيه اللعنة وإذا ما أسدى النصح لأحد فيجب ان يعمل بعكس نصيحته لأنه كاذب . ولحارس الاموات ودليل المتوفين طقس خاص به يمتاز بخاصية المكر المؤدي الى تدنيس المقدسات وهو يفرح للخزي ويضحك ممن يتخبط في سبيل التخلص منه .(انظر ميديكو 87 :1980) .

وكـان الكروبيم أبالسـة يقـال أنهم ابناء الإله ايل والإلهـة ريا آلهـة الأرض ومنهم الإله (موت) الذي هو بمرتبة إله .

وهناك اسـمـاء كـثيرة لبـعـضـهم مـثل (الذي يعـمي البـصـيرة)و(الذي يجـعـل الشـفـاء مستحيلاً) و(الذي يسحق بعملية تدمير مظهره) . .الخ وكان هؤلاء الأبالسة يظهرون بشكل طبيعي في العالم الآخر ، حيث تكون مهمتهم السهر على الأموات وتعليمهم عادات الحياة بعد الموت .

وكان فعل الموت الذي يقوم به الأبالسة يسمى (التطهير بالتدمير) ، أي أن الفناء هو نوع من تطهير الانسان أو الوجود من هذا الانسان حيث يذهب الانسان ليستريح قرب الأرض أمه الكبرى .

وقد ذكرت ملحمة الملك الكبير (اللاآليء) مثل هذا الفعل :

« والأن هذا هو كلام إبليس معمي البصيرة ، حامل علة الموت ، الطاغية سأحاربه ، السير الاعظم .

سـأطرح جـانبـاً الشكاوي واقـاتله -إنه إعـلان من فـمي -حـتى النهـاية وبتدمير مطهر سأكسره» . (ميديكو 113 :1980)

3-الرفائيم:

وهم كائنات طيبة تمثل جنس العمالقة في عصر جيل ايل وكان اسمها الكنعاني (رفوم) والعبري (رفائيم) .ولهذه الكائنات علاقة بأمور الشفاء من الأمراض وخصوصاً أمراض العقم ، وقد تشير مفردة رفائيم الى مجموع سكان العالم الاسفل .

وخلاصة أسطورة الرفائيم ، التي تدور حول حفل تتويج ملكي الهي ، هي : إن الإله إيل يوجه دعوة الى الرفائيم ليحضروا حفلة في الهيكل لكنهم يتباطؤن فيلح عليهم فيسرجون خيولهم ويسيرون حتى يصلوا البيدر في مزرعة ايل فيرحب بهم دانيال ويقدم لهم فاكهمة .

وفي الهيكل ينحرون عجلاً ويقدمون شراباً ويعلن إيل أن البعل سيتوج ويجلس على العرش ملكاً ويصادفون الهين هما(رفأ- بعل) و(حيلي) فيشكرهما ايل لحضورهما حفلة (سكب الزيت) على رأس بعل والتي تتوج بعل ملكاً .

وفي آخر الاسطورة يظهر شخص (ربما كان الها) يخاطب ولهد قائلا معلنا اكتمال بناء بيته ، وأن عناة ستقبل شفتيه وتقوده الى الهيكل حيث يجد هناك من يسبح بذكر ايل وحمده ، وتغادره عناة بعد هذا وتطير الى السماء ، ونحن نرجح أن هذا الفتى هو (بعل) نفسه وأن والده (إيل) هو الذي خاطبه .

ثم يقوم سدنة الهيكل بنحر الذبائح وسفح الخمور ويستمر الحفل لسبعة أيام .لكننا لا نعرف ما الذي حصل بعد ذلك (انظر فريحة 346-337 :1980) .

هذه الأسطورة الناقصة للرفائيم لا تتفق مع كونها جزءاً من قصة دانيال ، بل هي اسطورة بعل وبناء بيته وتتويجه ملكاً لكن الرفائيم فيها اصحاب حضور قوي ويفهم من النص أنهم أشبه بخدام الإله إيل يحضرون له حفلاته وولائمه وأنهم يعملون على إنجاح هذه الحفلات وضبطها .

4-أقنعة الشياطين:

انتشرت في قرطاج بشكل خاص صناعة الأقنعة التي استعملت لأغراض سحرية ودينية في محاولة لطرد الارواح الشريرة والتغلب عليها ، ولذلك كانت هذه الأقنعة بمثابة الأشكال والمسوخ الشيطانية التي كان الانسان يستعملها في طقوسه الخاصة بطرد الأرواح الشريرة أو التي يحتفظ بها في مقبرته لاغراض ما بعد الموت وإضافة الأرواح الشريرة وطردها .

ويعتقد أن مثل هذه التقاليد أتت من التراث الزنجي الافريقي الذي كان يعتني باستعمال هذه الاقنعة .

وكان بعض هذه الأقنعة يحمل علامة (×) الدالة على العالم الأسفل والتي كانت توضع عادة على جبين التمثال كما في هذه الأشكال الخاصة بالأقنعة شكل (55) .

لا نميل الى الاعتقاد بأنها كانت جزءاً من مستلزمات عروض مسرحية مثلاً . كان قناع (دويمس) الشهير (حـ) أكثر الاقنعة القرطاجية محلية دون ما يكون هناك ما يناظره شرقاً وغرباً (شكل 56) .

شكل (55)

الأقنعة الشيطانية عن (Moscati 1968, 74,62)

شكل (56)

قناع دويمس القرطاجي ويلاحظ وجود حلقات في الأنف والأذن (عن الناظوري 219 :1981).

5-الكائنات الخرافية

أبو الهول الكنعاني : يظهر أبو الهول الكنعاني (وهو رجل بجسد أسد) متأثراً بأبي الهول المصري الى حد كبير . فقد وصلتنا من مدينة أرواد (في حدود القرن التاسع قبل الميلاد نقشٌ مرمري جميل مزين من الأعلى بنقش زخرفي رائع ويظهر أبو الهول مجنحاً يلبس التاج المزدوج المصري . وفي أسفل اللوحة مذبح منخفض أو منضدة . (انظر عصفور 163 :1981) شكل 57 . وهناك نقش آخر لأبي الهول على تاج لولبي من الأعمدة الأيونية المبكرة عثرعليه في قبرص يظهر لنا شكلاً متناظراً لأبي الهول تتوسطه شجرة الحياة .

شكل (57)

أبو الهول الكنعاني على شاهدة عن (Harden 1962, 192)

شكل (58)

نقش أبي الهول على عمود أيوني مبكر عثر عليه في قبرص عن

(Harden 1962, 95)

العنقاء أو الفينيق : وقد تحدثنا عنها طويلاً في المبحث الأول وقلنا أنها طائر بجسد حيوان ، قد يكون أسداً . ولها علاقة بالنار والانبعاث من الرماد .

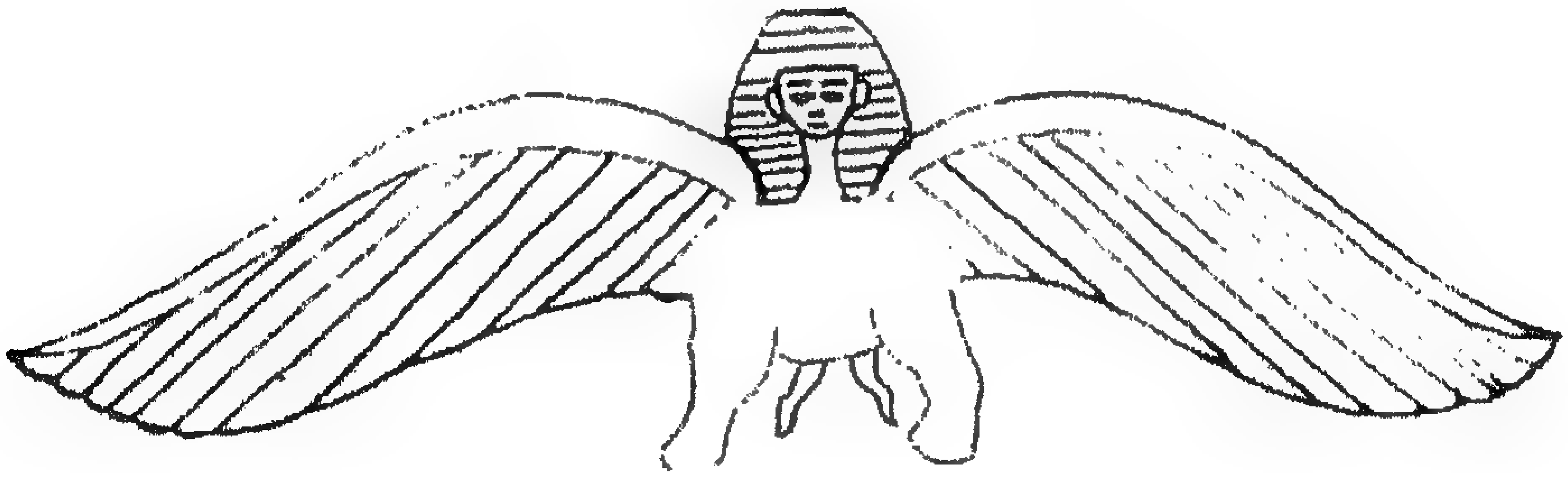

شكل(59)

العنقاء أو الفينيق رسم (فاروق كاظم)

أخذت شكلاً آخر حيث لها رأس الطير وتمتلك أجنحة وجسداً بشرياً . وهي أشكال مختلفة لأبي الهول والعنقاء كما في الشكل أدناه :

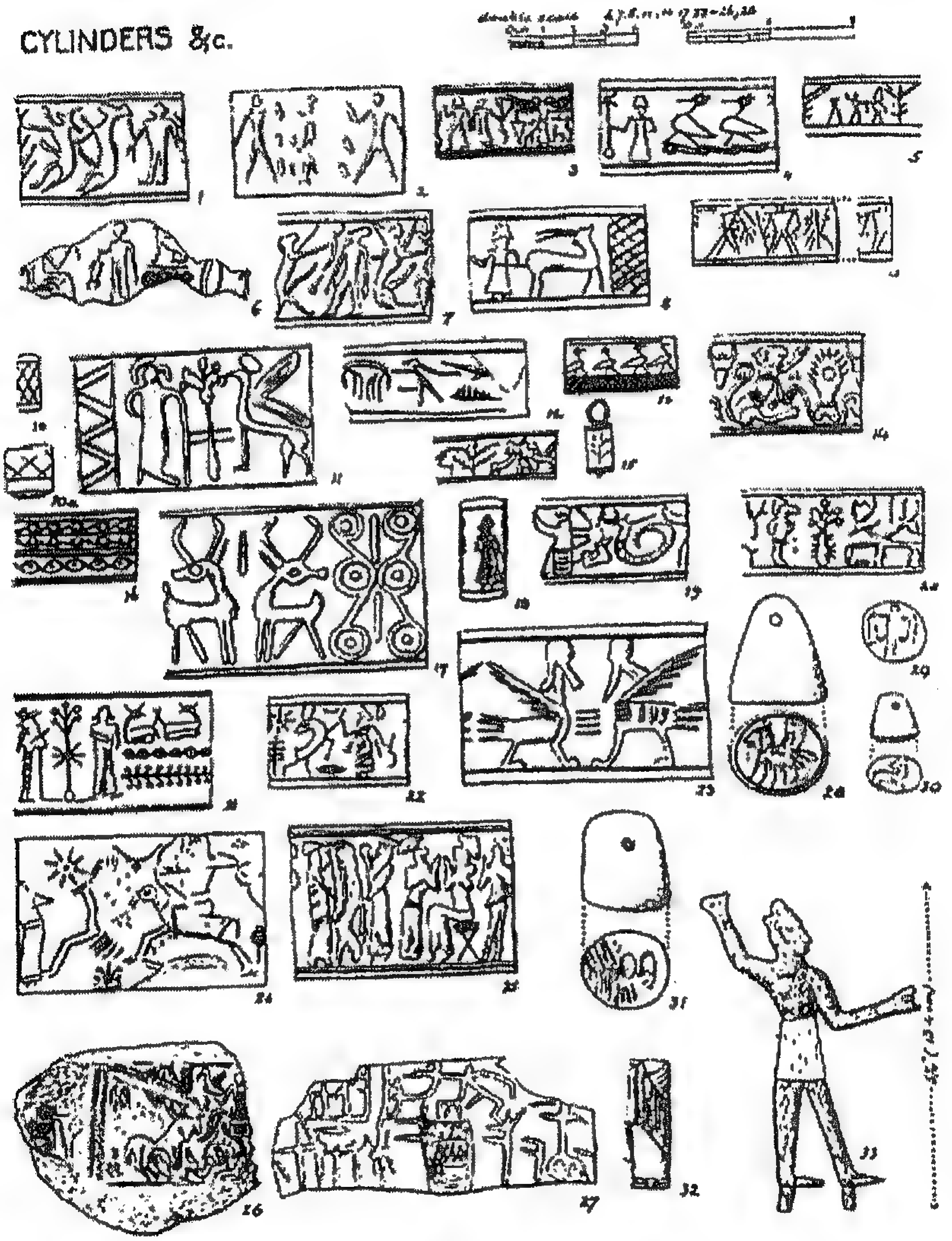

مجموعة من الأختام الكنعانية من جيرز عن: (Cook, 1930)

3- الجن : وهي عموماً الكائنات المجنحة التي تظهر في المنحوتات والنقوش الكنعانية ، ومنها الجن الذي يمسك سوطاً بيده اليسرى وكرة بيده اليمنى (شكل 59) وله رأس طير وجسد بشري ومزّود بأجنحة . وكانت مثل هذه الكائنات تتكرر مراراً في التراثين الاشوري والآرامي ، وتدل على كائنات شبه إلهية .

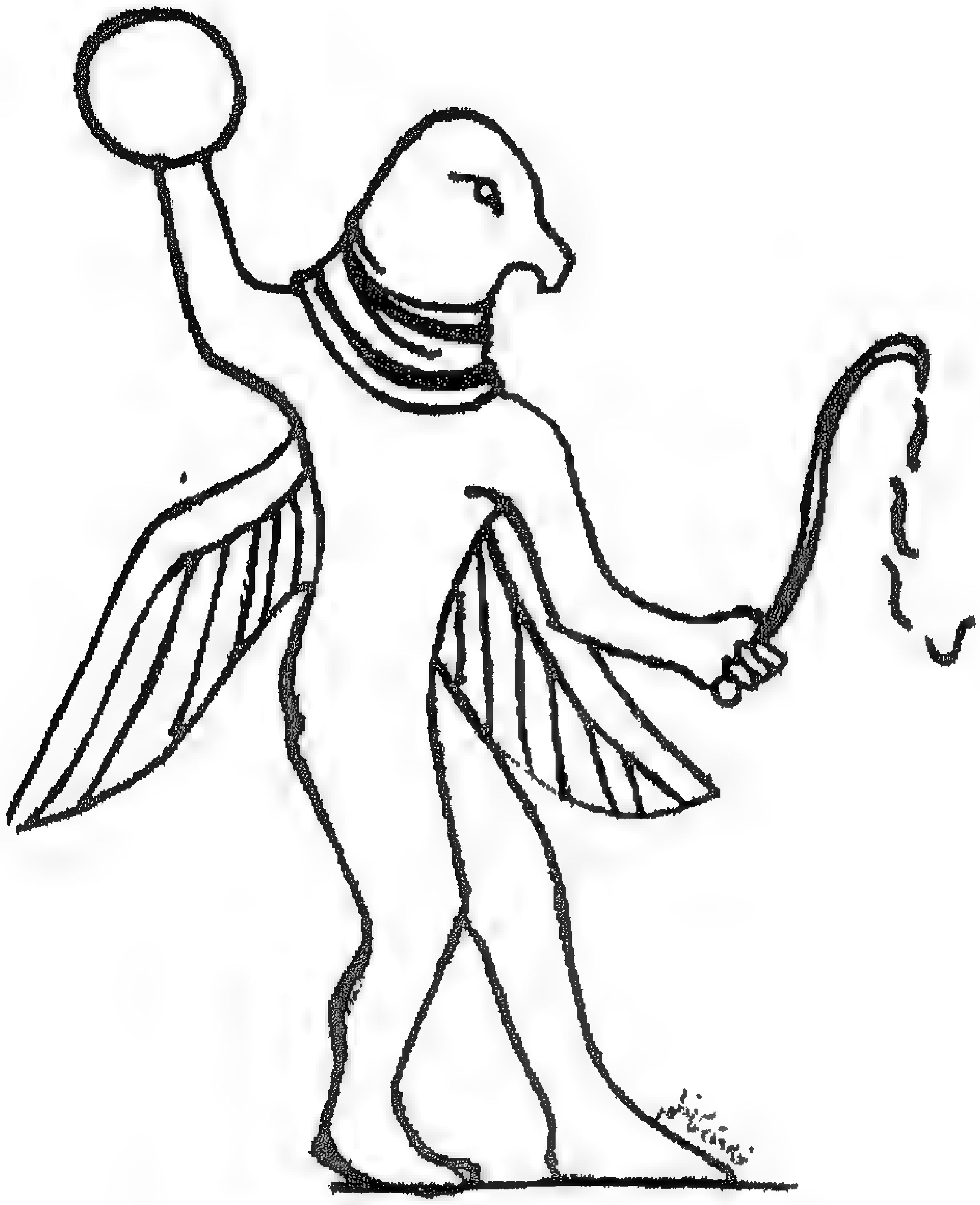

شكل (59)

جن كنعاني (رسم فاروق كاظم)

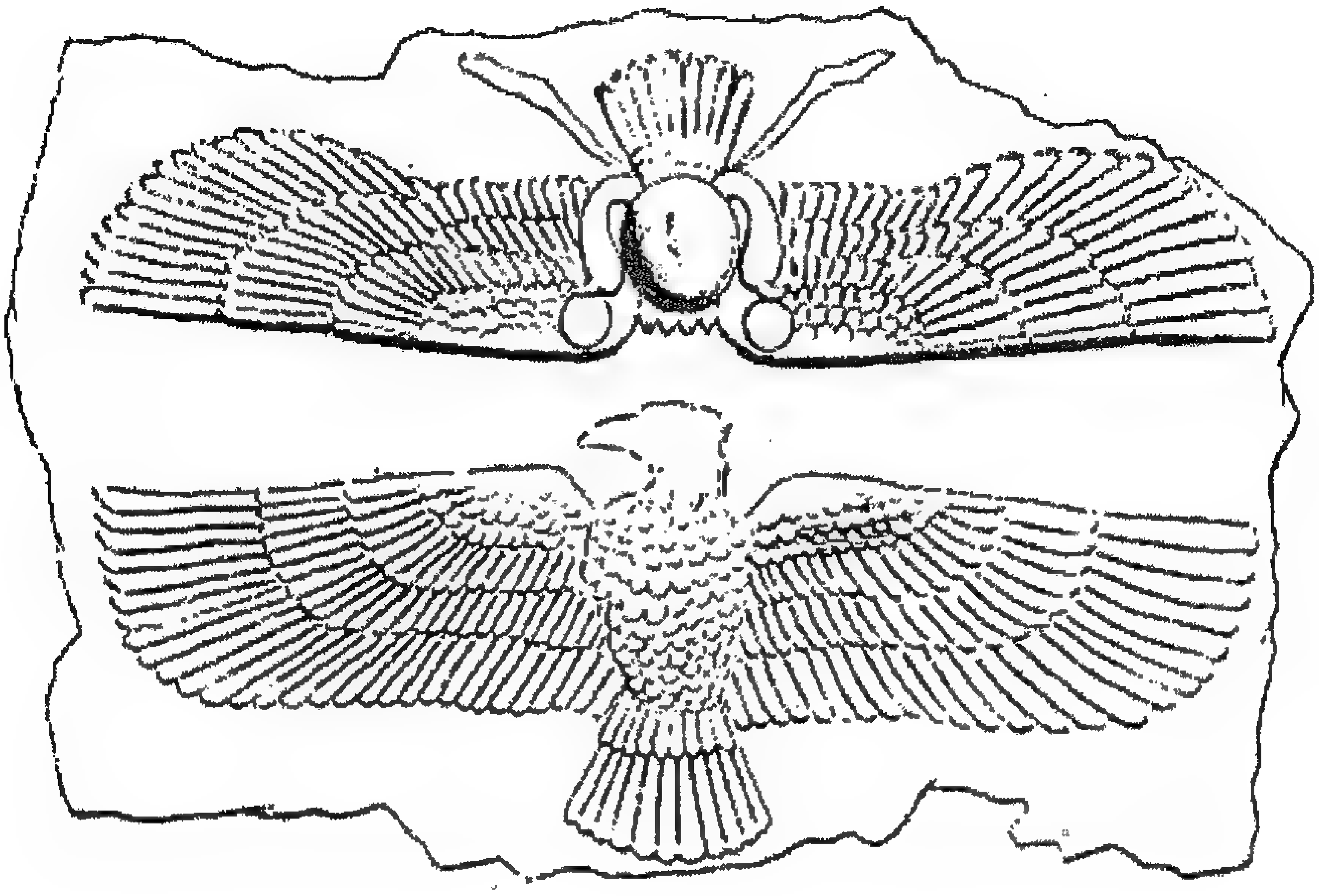

القرص المجنّح والنسر الفينيقيين عن : (Cook, 1930)

مشهد يوضح الكائنات الخرافية الكنعانية المختلفة وهي في حالة طقسية عن:
(Gray, 1964)

الفصل الثالث

القصص والملاحم الكنعانية

(دراسة في الآباء والبشر المؤلهين والأبطال عند الكنعانيين)

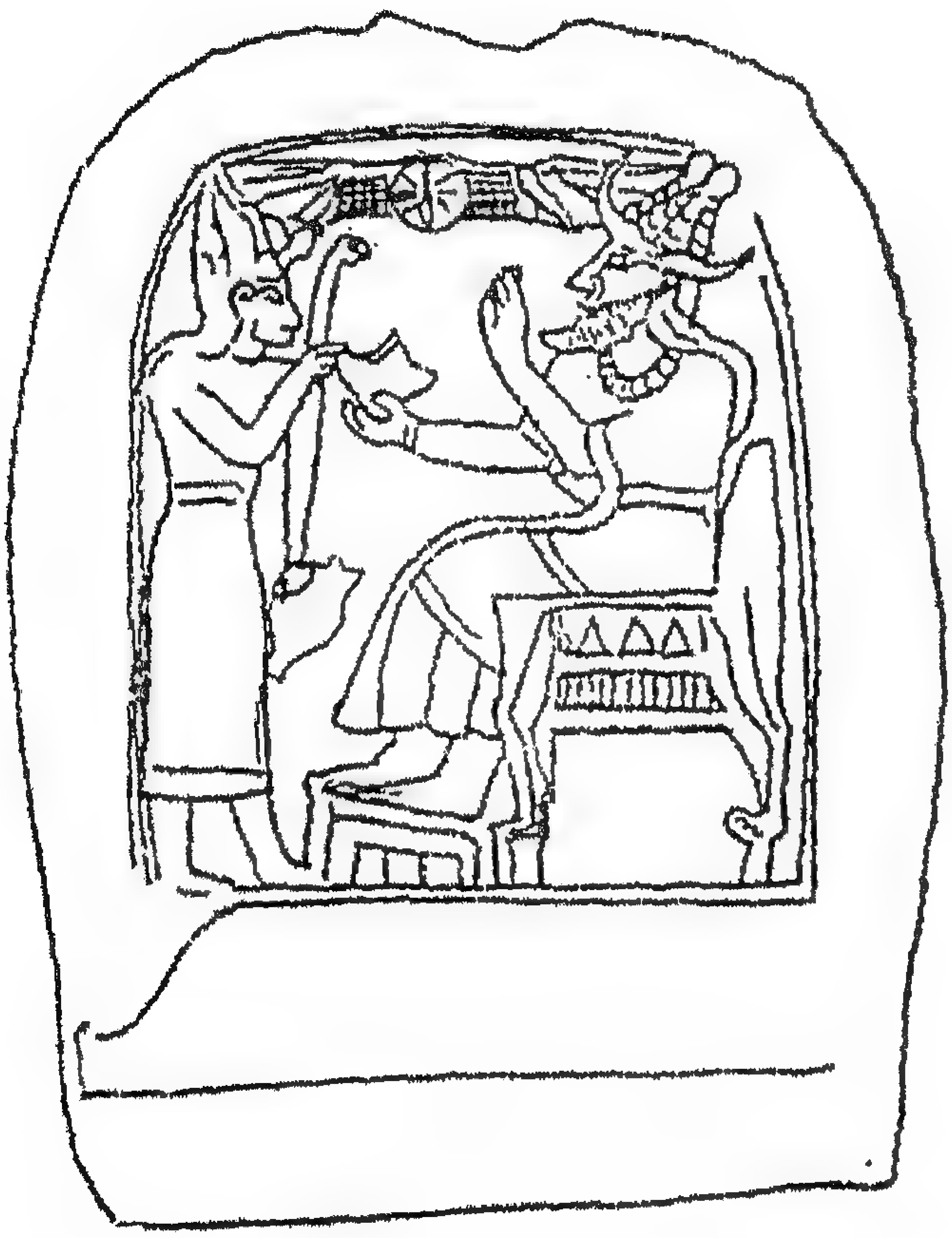

ملك اوغاريتي يقدم آنية للإله إيل ، نقش حجري من اوغاريت (رأس شمرا) .

ربما لا تقع مادة هذا الفصل في صلب العقائد الروحية الكنعانية ، ولكننا وجدنا أنها تكمل الفصل السابق وتضيء بعض الجوانب التي خلطت بين الآلهة والبشر ، وتفرز في الوقت نفسه الاساطير عن القصص والملاحم فقد تعودنا مصادفة العبارة الخاطئة (اسطورة كرت) أو (أسطورة إمهات) . . .الخ وقد أمدتنا الكتب والروايات الشعبية بما يحكى عن أبي الكنعانيين (كنعان) وعن أبي الفينيقيين (فينيق) وهذه كلها شوشت صورة المثولوجيا الكنعانية وزادتها غموضاً .

وقد وجدنا أن الطريق الاسلم لدراسة تحليله في هذا المجال هو الذهاب لابعد نقطة أي منذ خلق البشر والتدرج في ذكر البشر الأسطوريين وتتبع جذورهم المثولوجية .

1-قصص الجيل الأول من البشر

(الآباء :آدم وسلالته)

ذكرنا مفصلاً في الفصل السابق أسطورة خلق الانسان الكنعانة وقد وضعنا الهيكل الفرضي لهذه الاسطورة التي نتمنى أن نكشفها الآثار ذات يوم ، واعتمدنا في ذلك على الأسطورة العبرية التي نرى أنها نهلت من الأسطورة الكنعانية المفقودة .

أ-آدم:

لا نملك القصة الكنعانية الأثارية عن آدم ، لكن ما في حوزتنا من أخبار متواترة هي خليط من الروايات الكنعانية والعبرية والعربية عن آدم توضح لنا بعض ما يشبع الفضول .

إن قصة آدم في الفردوس الألهي وقصته حواء والأفعى التي نرجح أن تكون (تيفون) هي أمور لا نستطيع تأكيد ما إذا كانت كنعانية أم لا . . رغم أن هناك ما يشير الى وجود مؤثرات سومرية معروفة فيها وهو مايقرب لنا صورة الصلة بين السومريين والكنعانيين الذين كانوا في أصولهم الاولى يقطنون مكاناً واحداً هو جنوب العراق .

كذلك تبقى قصة السقوط من الفردوس إلى الأرض غامضه ، رغم أن هناك ما يشير الى أن آدم هبط الى جبل حرمون الكنعاني(جبل الشيخ) وأن ولديه (قابيل وهابيل) اقاما

طويلاً شرقي الفردوس في سهل البقاع ويستدل على صحة هذا التقليد اليوم من قبور هابيل وقابيل وشيث المقامة في المحل المشار إليه (انظر عبد الحكيم 1978:66) .

وإذا قمنا بتحليل اسم آدم فلا شك ان معنى اسمه هو مذكر الأدمة لآلهة وقشرة الأرض ، وفي اسمه ما يفيد وجود الدم وهو سر الحياة عند الاولين . كذلك نرى ان اسمه يمكن أن ينقسم الى قسمين هما (أد+أم) ويعني مقطع (آد) الإله و(أم) يعني الريح وهو إله الريح والأصح(الكائن الذي فيه ريح الإله) أو روح الإله وهذا يتطابق مع ما ورثناه من أن الله نفخ في صورة آدم من روحه أو نفسه .

ويروي فيلون سانخنيتن رواية تحمل مؤثرات مصرية واغريقية عن خلف الانسانين الأولين وهما (يون= الدهر او الزمن) و(بروتوجون=حواء البكر) ومنهما جاءت ذرية فينيقيا وعددهم مائتان ، فسموهم النور والنار واللهب ، وبعد ذلك أنجب هؤلاء الكنعانيون أولاداً ضخام الاجسام ، طوال القامات وسميت الجبال التي ملكوها بأسمائهم وهي قاسيون ولبنان وانتيلبنان وبراتي (انظر المرجع السابق : 45) .

ويؤكد سانخينتون من ناحية أخرى على أن (بوتوس=الهواء المتحرك) لقح نفسه فوق الخواء فانتج(موت= البيضة المضيئة) التي جعلت مياه المطر تنهمر بالحرارة وظهر منها الشمس والقمر والكواكب والنجوم والزوابع والعواصف وظهرت من هذه كائنات تتحرك وهي غائبة عن الوعي ثم ظهرت منها كائنات ناطقة تتأمل السماء فيما الذكر والأنثى فوق اليابسة وتحت الماء .

لكن سانخينيتوس ومعه فيلون يؤكدان أن بوتوس هذا كان يمثل الرغبة التي تزاوجت مع (أوميشيل) ، أي الظلام ونتج عن ذلك العقل المحض (إر) والصورة الحية من العقل (أورا) حيث نتج عن ذلك العقل الأول (اوتوس) وكل هذه الأفكار الغنوصية والهيلنستية تطلي تلك الروايات القديمة عن الخلق البشري .

ب-قابيل وهابيل:

هناك ما يروى عن أن دمشق كانت أرض آدم وأنها الأرض التي شهدت الجريمة الأولى : قتل قابيل لهابيل ، حيث أن اسم دمشق يعني شراب الدم اشارة إلى اراقة دم هابيل عليها .

وينتشر بين سكان جبل قاسيون (شمال دمشق) الاعتقاد بأن هذه الجريمة وقعت أعلى قمة الجبل ، وينسب القزويني لصخرة دمشق الكبيرة أنها كانت المكان الذي قدم عليها قابيل وهابيل قربانهما وحين لم يقبل قربان قابيل قام بقتل هابيل وسال الدم على هذه الصخرة التي تجاورها مغارة تسمى (مغارة الدم) . (انظر المرجع السابق : 66) .

جـ- شيث:

أما شيث الذي نرى أنه المقابل البشري للاله (سيتون) فهو الذي انحدر منه الجنس البشري بعد مقتل هابيل وفرار قابيل الى منطقة بعلبك حيث بني فيما هذه المدينة وسكن فيها البشر والاشرار من نسله .

وربما إشتق اسم صيدا من شيت ، رغم أن الإله صيد هو أساس الاشتقاق لكن ذلك يدفعنا الى المقاربة بين شيت وصيد واعتبارهما مرتبطين بالصيد البري والبحري .

وإذا اتخذنا من الرواية التوراتية مؤشراً فسيكون نسل الانبياء والرجال الصالحين القدماء منحدراً من شيث مثل أنوش ، قينان ، مهلئيل ، يارد ، اخنوخ متوشالح ، لامك ،نوح) وبالطبع فإننا لا نعرف الاسماء الكنعانية الدقيقة المقابلة لهذه الاسماء والتي نرى أنها تشكل مع آدم وحواء وأبنائهما الجيل الأول من البشر الذين نحتتهم الذاكرة الكنعانية من تراثها او من تراث من سبقها ممن كان يعيش معها في مناطق نزوحها الأول .

2-قصص الجيل الثاني من البشر

(البشر المؤلهين : بعد الطوفان)

لا نمتلك ، لحد الآن ، رواية كنعانية خاصة باسطورة الطوفان ونستغرب غيابها أو عدم ظهورها في حين أن صلة الكنعانيين بالمياه قريبة .

إن ظهور جيل آخر من البشر بعد الطوفان أمر لا نلمسه بصراحة بعد خلق السماء والارض مباشرة أي أنهم يشبهون (آدم وسلالته) . . وهذا غير جائز لذلك نرجح ان يكون هؤلاء قد ظهروا بعد الطوفان (إن وجد عند الكنعانيين) لأن أولهم وهو كنعان يتطابق مع سام أو ينحدر من حام وهما أبناء نوح بطل الطوفان .

لا بد أن نشير أولاً الى مسألة نظرية في غاية الأهمية تفسر لنا علاقة الأسطورة بالدين من جهة وبالتاريخ من جهة أخرى ، حيث ينتج عن علاقتها بالدين مثولوجيا خالصة ، أما عن علاقتها بالتاريخ فينتج نوع من المثولوجيا التاريخية .

المكان الطبيعي للأسطورة هو الدين ، والآلهة محور الأساطير وجوهرها . وعندما تزحف الأسطورة نحو التاريخ فإنها تؤسطره وينتج عن ذلك أما ملاحم ترفع الأبطال والملوك الى مكانة الآلهة وتنسبهم لها ، أو مدناً تقوم الآلهة ببنائها فتكون مقراً ارضياً لها .

ولأن التراث الكنعاني كان على صلة كبيرة مع التراثين العبري والعربي فإنه تحول في بطون التاريخ الى فولكلور وملاحم تاريخية ذات طابع شعبي وديني . وهكذا أصبحت المقابلة بين الأصول الأسطورية والنتائج الفولكورية الشعبية صعبة للغاية .

ولكننا رغم ذلك حاولنا أن نرصد مجموعة من التحولات التي خاضت فيها المثولوجيا مع التاريخ . فقد تحول شام الى كنعان وطرد من العائلة السامية بل وأصبح ابن حام (وهذه مفارقة توراتية معروفة) وأصبح فينيق (الذي ربما كان دامور مثولوجيا) ابن كنعان؟ في حين أنه اسم مرادف له .

وأصبح صيد ابنة كنعان وأصبحت صور ابنة صيدا وهكذا تحول الآلهة الى ما يشبه الملوك او الاجداد المؤسسين لكنعان ومدنها .

ونرى أن الأسطورة تكون راسخة ثابتة قوية عندما تكون جزءاً من الدين ، أما عندما ينهار ذلك الدين أو يستبدل بدين جديد فإن عناصر الاسطورة تنهار معه وتتخفى وتتوارى وراء التاريخ بل وتتحول الى حكايات وخرافات شعبية وتندس في الملاحم الشعبية والقصص الخرافية .

ولا شك أن التوراة أولاً ثم كتب أخبار الرواة وكتب المؤرخين القدامى هي المكان الذي شهد انهيار الأساطير القديمة ورحيلها نحو التاريخ .

أ-كنعان:

تعتبر التوراة المصدر الرئيسي للمثولوجيا التاريخية الكنعانية فقد لعبت التوراة دوراً رئيسياً في تحريف وتشويه سيرة الكنعانيين وتغيير حقيقتهم التاريخية وصياغة حكايات أسطورية عنهم .

يذكر سفر التكوين أن كنعان هو أحد ابناء حام الأربعة (كوش ، مصرايم ، فوط ، كنعان) (انظر التكوين : 10:6) .

وهذه هي المغالطة الأولى حيث يستبعد كنعان من الساميين وينسب الى الحاميين ، ولأن اللغة الكنعانية تنتسب الى اللغات السامية الغربية فلا مجال الوضع الكنعانيين ضمن النسب الحامي الذي اتسم بسمرة البشرة والسكن في شمال وشرق افريقيا بشكل خاص .

ويبدو أن حمرة البشرة الكنعانية أبعدها عن الساميين (في نظر كتبة التوراة) وجعلها تنحشر مع البشرة الحامية السمراء .

ثم أن ربط الكنعانيين بمصر أمر يدعونا الى الاستغراب والمزيد من التأمل في الوقت نفسه .

إننا نرى أن العلاقة المبكرة المتميزة التي ربطت بين بعض المدن الكنعانية الساحلية مثل (جبيل) وبين مصر كانت سبب هذا الربط فقد ظهرت هذه العلاقة بوضوح منذ عهد الاسرات العتيقة والقديمة ، أي من الأسرة الأولى وحتى السادسة بوضوح شديد . وكانت العلاقة اقتصادية ودينية وقد اعتبر المصريون أن اوزريس كان أخاً لكنعان» . وكان كنعان أول من سمي (فينقس) ، فكانت أعياد قيامة الإله المصري اوزريس ،تقام في مدينة جبل الكنعانية أو اللبنانية ، كما أن في مكان الاسكندرية القديمة ، أو فاروس ، كانت تقام اعياد وشعائر ادونيس الفينيقي ، فقد جعلوا من كنعان أخا لاوزيريس ، دلالة على وحدة نسب الامتين» (عبد الحكيم 41 :1978) .

ورغم أننا لا نملك في الميثولوجيا المصرية أو الكنعانية ما يشير الى ذلك لكننا لا نستبعد وجود معابد متبادلة بينهما .

إن العلاقة بين الكنعانيين والمصريين أمرٌ مؤكد ولكنه لا يصل الى حد وحدة النسب بل ربما كان هناك تأثر وتأثير ثقافي كبير بينهما ويعزز ذلك الوجود المصري الطويل الأمد في المدن الكنعانية الساحلية ، والبرية في فلسطين ، والصراع الطويل الذي خاضه المصريون مع الحوريين والحيثيين لاخضاع بلاد الشام وخاصة قسمها الكنعاني .

المغالطة الثانية هي في جعل الفلسطينيين والكريتيين يخرجون من أبناء مصرايم حيث يقول سفرالتكوين (ومصرايم ولد لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم وكسلوجيم الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم) (التكوين 13,14 :10) .

وفلشتيم يشير إلى فلستو أما كفتوريم فيشير إلى جزيرة كريت التي كان المصريون يسمونها (كفتور) ومعروف أن الفلستو هم أقوام بحرية إيجية ساهمت في الهجوم على مصر وبعد أن هزمت إتجهت نحو السواحل الكنعانية فاحتلت مدنه الجنوبية واستقرت فيها . أما جزيرة كريت فقد هاجر اليها الكنعانيون مبكراً ونقلوا اليها ثقافتهم التي كانت السبب المباشر في ظهور الحضارة الكريتية ، كما أن اسم كريت نفسه يمكن أن يكون كنعانياً حيث كلمة (كريت) نعني (قرية او مدينة) ولا يعرف الى اليوم من هم سكان كريت الاوائل رغم ان الاعتقاد السائد انهم من أصل آسيوي .

المغالطة الثالثة هي في اللعنة التي لحقت بكنعان بعد أن صُبت على حام حيث يروي سفر التكوين أن نوحاً بعد الطوفان اصبح فلاحا وغرس كرماً وصنع من الكرم خمراً وشرب فسكر وتعرى داخل خيمته ودخل عليه حام (أب كنعان) فشاهده عارياً ورأى عورته فأخبر أخويه(سام ويافث) فأخذ أخواه الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء سترى عورة أبيهما ووجهما الى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من طمرة علم ما فعل به ابنه لصغير حام فقال« ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لأخوته . وقال : مبارك الرب إله سام .وليكن كنعان عبداً لهم .

ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام . وليكن كنعان عبداً لهم » (التكوين 9 : 25- 27) .

ونلاحظ هنا أنه بالرغم من أن حـام هو الذي أخطأ لكن اللعنة تنصب على (ابنه المزعوم) كنعان . وهكذا نجد كنعان مهمشاً ملعوناً في التوراة لا لشيء إلا لأن العبريين إحتلوا أرض الكنعانيين وأصبحوا أعداء لهم ولا بد من وصمهم دائماً بالعار والخطيئة وهو منهج سار عليه التورايتون واليهود في علاقتهم مع مجاوريهم ومن حاربهم أو عاداهم .

وعندما نمعن النظر في مسلسل اللعنات الذي يبدأ من قابيل الى حام الى كنعان ، فإننا نراه يستمر الى إسماعيل ، ونرى أن التوراتيين همشوا كل هؤلاء لأنهم أرادوا إبعاد كل ما هو خارج نسلهم بدءاً من آدم . وهكذا وصموهم بالخطيئة وعلقوا بهم دائما لعنات القتل (قابيل) واللون (حام وكنعان) والخطايا الجنسية (لوط وبنعمي ومؤاب) وشكل الجسد عيسو) وضعة النسب (إسماعيل) . . . الخ (انظر الماجدي 287-278 :1997) .

وحذت كتب التراث العربية حذو التوراة فحقرت الكنعانيين واعتبرتهم مع المصريين من نسل حام . وقام العرب بمساواة الكنعانيين مع البربر والنوبيين « فكان كنعان أخاً لهم كما يقول النسابة العرب ، فبعد اللعنة ولدت امرأة حا م غلاماً لون أسود ، وسموه كوشاً ، وولد لكوس الحبشة بن كوش ، أما شقيقه الثاني الذي لحقته أيضاً لعنة أبيه وهو ماريع بن حام ، فقد ولد ثلاثة أولاد أو أجناس وهم كنعان وبربر والنوبة» (عبد الحكيم 40 :1987) .

وهكذا نسج تاريخ الكنعانيين وفق مخيلة مثولوجية اندفعت بقصد وبدون قصد- من منبع عدائي لهم ومن نظرة استعلائية وقد تكون عنصرية لها علاقة باللون الأسود أو الأحمر ، وهو خطأ قاد الى أخطاء اخرى كثيرة . ولذلك لا نستبعد أن يكون تكريس اسم (كنعانيون) له علاقة بمفهوم الـ(الشعب الواطيء) ، أو الـ(الشعب الأحمر) وهو ما تفضحه الكثير من الجمل والعبارات التوراتية الصريحة .

ب-فينيق

فينيق هو الاسم الذي أشاعه الاغريق للدلالة على الكنعانيين الذين كانوا يسكنون سواحل المتوسط الشرقية ويجوبون البحر وينشرون فيه حضارتهم .

وهناك مجموعة من الافكار والمثولوجيات التاريخية التي رافقت ظهور وانتشار هذا الاسم ومصادره البعيدة والقريبة وسنبدأ بأبعدها (انظر مخطط 8) .

1-طائر الشمس أو الطائر المحترق

هناك احتمال قوي أن يكون مصدر هذا الاسم من اسم الطائر الاسطوري المصري (بنو) ، وهو الذي يوصف بأنه إله الشمس الذي ظهر على شكل (أتوم) في بداية الخليقة من البحر الأول (نون) ، وعندما لم يجد له مكاناً صعد فوق حجر على هيئة مسلة (بن بن Bin Bin) في مدينة أون (شكل 60) .

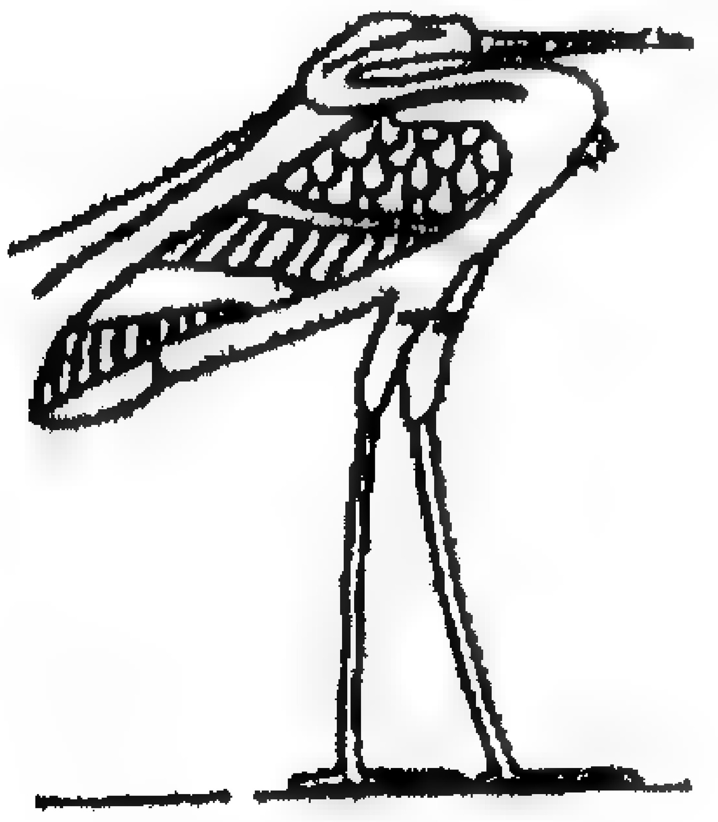

شكل (60)
الطائر الأسطوري المصري بنو

ويقترب شكل هذا الطير من شكل اللقلق أو أبو قردان أو مالك الحزين يرمز للشمس وربما كان هو مصدر فكرة ارتباط الشمس بالنسر عندما تحول بعد ذلك طائر (بنو) الى النسر الذي يمثل طوراً أكثر افصاحاً عن الشمس المحرقة وهو رمز الإله (حورس) إله الشمس الاقوى في مصر .

وتذكرنا هذه المرجعية المثولوجية بالفكرة الشائعة عن طائر اسمه طائر الفينيق الذي يمثل فكرة الانبعاث الدائم حيث يحترق هذا الطائر ومن رماده ينبعث من جديد ، ولعلنا نجد جذراً لهذه الفكرة في دورة الشمس حيث يظهر النسر في الاساطير المصرية وهو يحمل في كل فجر الشمس بقدميه من الشرق ويغرب أو يموت مع غروبها لينبعث مرة أخرى صباح اليوم القادم وهو يبعث الشمس معه من جديد وهكذا .

لقد وحدّ المصريون الإله(بنو) بالإلهين (رع) و(أوزرس) ، بل أنهم عدوه في هليوبوليس كروح لأوزريس ، وهذا يعني أنه روح الخصب والشمس معاً .

واسطتاع هيرودوت أن ينقل لنا صورة شائقة عن هذا الطائر عندما قال أنه يشبه العنقاء وقال بأنه يظهر في مصر كل (500) عام مرة واحدة ، وأنه يولد اولاً في اعماق الصحراء وما أن يولد حتى يطير مباشرة وهو يحمل جثمان أبيه ويقف بعد ذلك على مذبح معبد هيليوبوليس (معبد مدينة الشمس) حيث يحترق بأعشاب المر وتجرى عملية الحرق هذه في احتفالات جنائزية ضخمة يقوم فيها موكب من الناس والكهنة بدفنه بعد ذلك مصحوباً بالعويل والبكاء (انظر Larousse 1995: 46) .

وهذا يعني أن فكر احتراق طائر الشمس ، أو الفينيق أتت من مصر ودخلت في العقائد الفينيقية .

ولكن القديس هيرونيم يذكر لنا شيئاً مخالفاً فيرجع أصل هذا الطائر الى الهند حيث يولد هذا الطائر هناك ويعيش لمدة (50) وبعد ذلك يجيء الى فينيقيا ويبقى فيها لمدة ثلاثة أيام ثم يعود الى الهند ويحصل له خلال وجوده في فينيقيا عبر هذه الأيام الثلاثة ما يلي :

أ-اليوم الأول : يجمع الأعشاب الطيبة الموجودة في فينيقيا ليصنع منها عشاً يضعه على هيكل الاسرار في معبد الشمس (هيلوبوليس) ربما في بعلبك بشكل خاص ويضمخ طائر الفينيق هذا العش برائحة العنبر التي تخرج منه وينام فيه الليل كله .

ب-اليوم الثاني : مع شروق الشمس تمس أشعة الشمس هذه الأعشاب والطيوب فتحترق ويحترق معها طائر الفينيق ، وتبقى في العش دودة وسط رماده .

جـ-اليوم الثالث : عندما تمس أشعة الشمس هذه الدودة تنبت لها أجنحة وتستعيد هيئة طائر الفينيق وتطير عائدة الى البلاد الأصلية .

وتصير الدودة في الأساطير العبرية بيضة حيث يعيش طائر الفينيق ألف سنة وبعد انتهائها ينبعث في عشه لهب فيحرقه ،لكن بيضة تبقى فيالعش يعاود منها الحياة ، وأن هذه القيامة أعطيت لفينيق من عند الله ؛ لأنه كان الطائر الوحيد الذي استنكر أكل حواء من الثمرة المحرمة (انظر عبد الحكيم 60 :1987) .

ولا نستبعد أن يكون (أبو الهول) ذكر (العنقاء) له علاقة بهذا الطير الشمسي الخالد .

2-النخلة والتمر(شجرة الفينيق) (فوانيكس)

كانت النخلة شجرة مقدسة عند عموم شعوب الشرق الادنى السامية ، وكانت تعتبر شجرة الحياة عند السومريين وكان ثمرها يحضى باحترام وتقديس خاصين .ومن السومريين انتقل هذا التقديس الى الشعوب السامية حيث تفصح لوحة طينية عن ظهور رجل وامرأة (ربما كان آدم وحواء) وبينهما نخلة محملة بالتمر وتظهر الأفعى خلف المرأة وقد عد الباحثون هذه اللوحة أصل فكرة الخطيئة التوراتية في الجنة واعتبروا النخلة شجرة الحياة أو شجرة المعرفة .

وتطابقت النخلة مع الإلهة عشتار ، وكانت النخلة تسمى (فينيق) ، التي تعني هنا (الدامي) ؛ إذ أن شعوب البحر الأبيض عامة ارتبطت وربطت بين عمليات إخصاب النخيل ، أو ما يعرف بـ(الطلوع) ، أو التلقيح التي بدونها لا تطرح النخلة أو تثمر . فهناك علاقة بين النخيل وبين الموت ثم القيامة أو توالي الولادة والاستمرار (انظر المرجع السابق ، 59) .

وهكذا رمزت النخلة أيضا ، مثلما رمز طائر الفينيق ، الى البعث المستمر .

إن ثمار شجرة الفينيق التي هي النخلة كانت تسمى أيضا باسم يدل على الآلهة فقد كان ثمرها يشير الى الإله (دامور) أو (تامور) او (تامير) وهو كما نرى التمر وقد عثر على آثار

هذا الإله في جزر البحر المتوسط التي أسسها أو أستوطنها أو استعمرها الفينيقيون وقد سكت بعض النقود التي تحمل شكل النخلة الوافرة الثمر للدلالة عليه .

وإذا ذهبنا الى أعماق الالهة القديمة نوجدنا أن هذا الإله موجود ضمن الآلهة الأمورية بصيغة (ذ .مرت) ، وهو ابن الإله(دجون) إله الطقس الأموري ، ويعني الإله الشديد القوي وهو ما عبرت عنه بعض الكتابات الهيلنستية على أنه الإله (دماروس) الذي تطابق مع الإله (أمورو) وأنجب الإله ملكارت إله النار .

وإذا قارنا بين الآلهة الكنعانية والأمورية فإننا سنجد أن هذا الإله (ذمر) ، الذي هو (دامور) ، يطابق من حيث الموقع إله صور(عوس) أو (عوص) أخ إله السماء (شاميم) .

وينكشف لنا سر هذه المطابقة عندما نعرف أن لون (عيسو) ابن ابراهيم ،كان لونه أحمر وذا شعر كثيف وهو السبب الذي أقصاه لأجله التوارتيون عن النسل الرسمي لهم .

وهكذا تكون النخلة وتمرها موحية بالاسم النباتي لفينيق ، وهذا يعني أن فينيق والفينقيين كان لهم طوطم مقدس نباتي هو النخلة والتمر ، وحيواني هو العنقاء .

كان التمر هو الثمرة التي ينتج عنها الخمر بعد تخميرها وبسبب طبيعتها المسكرة تنكشف اسرار النفس واعماقها ويلهو بها الانسان عن مشاكله وعن الموت والفناء وعن طريق خمرة التمر كان المصريون يحنطون الحشيث بتنقيعها في الخل فهي قرينة الخلود ومضادة الموت . وهذا سبب علاقة الخمر بحام وكنعان في المثولوجيا التوراتية .

وهكذا نجد انفسنا في مترادفات واحدة هي النار والشمس وابو الهول والعنقاء والاحتراق والبعث والخلود والنخلة والتمر والخمر وهي كلها تجتمع في اسم فينيق الذي صار لزاماً علينا الاعتراف بشرقيته والعبور على اسمه الغربي الاغريقي .

ولكننا يجب أن نتساءل : لماذا أصبحت النخلة رمزاً فينيقياً في حين أن فينيقيا تخلو من النخيل؟ وقد تدفعنا الإجابة على هذا السؤال للبحث في أصل الفينيقيين الذين هم أجداد الكنعانيين الأوائل . .وتعود بنا الاجابة هنا أيضا الى واد ي الرافدين رمز النخلة أساسا لهم لأن النخل في جنوب وادي الرافدين كان لا حصر له وهو ، دون بقاع الأرض كلها ، الأغزر في هذا المكان .

النخلة اذن رمز فينيقي يشير الى الأصول العراقية القديمة للفينيقين أما ربطه بالشمس والنار وابي الهول فأمور لاحقة فرضتها ظروف الفينيقيين الجديدة ، بل فرضتها بالدرجة الأساس مسألة عدم وجود النخيل في فينيقيا وضرورة ربط هذا الرمز بمدلولات أخرى .

3-الشعب الأحمر(فوانوس):

كان اسم (فوانوس) الذي يعني في اللغة اليونانية القديمة (أحمر) هو الاسم الذي يشير الى الشعب الذي ارتبط باللون الاحمر سواء في بشرته ، أو في المكان الذي أتى منه أو في الصبغة التي كان ينتجها ويصدرها .

وسنتناول ما يخص هذا (الشعب الاحمر) في نظر القدماء الذين اشاعوا عنه هذه التسمية .

أ-البشرة الحمراء (النحاسية)

كان الكهنة المصريون ، فيما مضى ، يصنفون البشر الى أربعة أصناف على أساس لون بشرتهم وهم :

1-روى : الشعب الأحمر ويضم شعبين مرتبطين حضاريا وهما الشعب الكنعاني في بلاد الشام والشعب المصري في بلاد وادي النيل .

2-أمون : الشعب الأصفر وهو الشعب الآسيوي .

3-هلاسيو : الشعب الأسود وهو الشعب الافريقي الزنجي وربما كان هذا الاسم أصل كلمة (خلاس) العربية ، بمعنى المضرب باللون الاسود

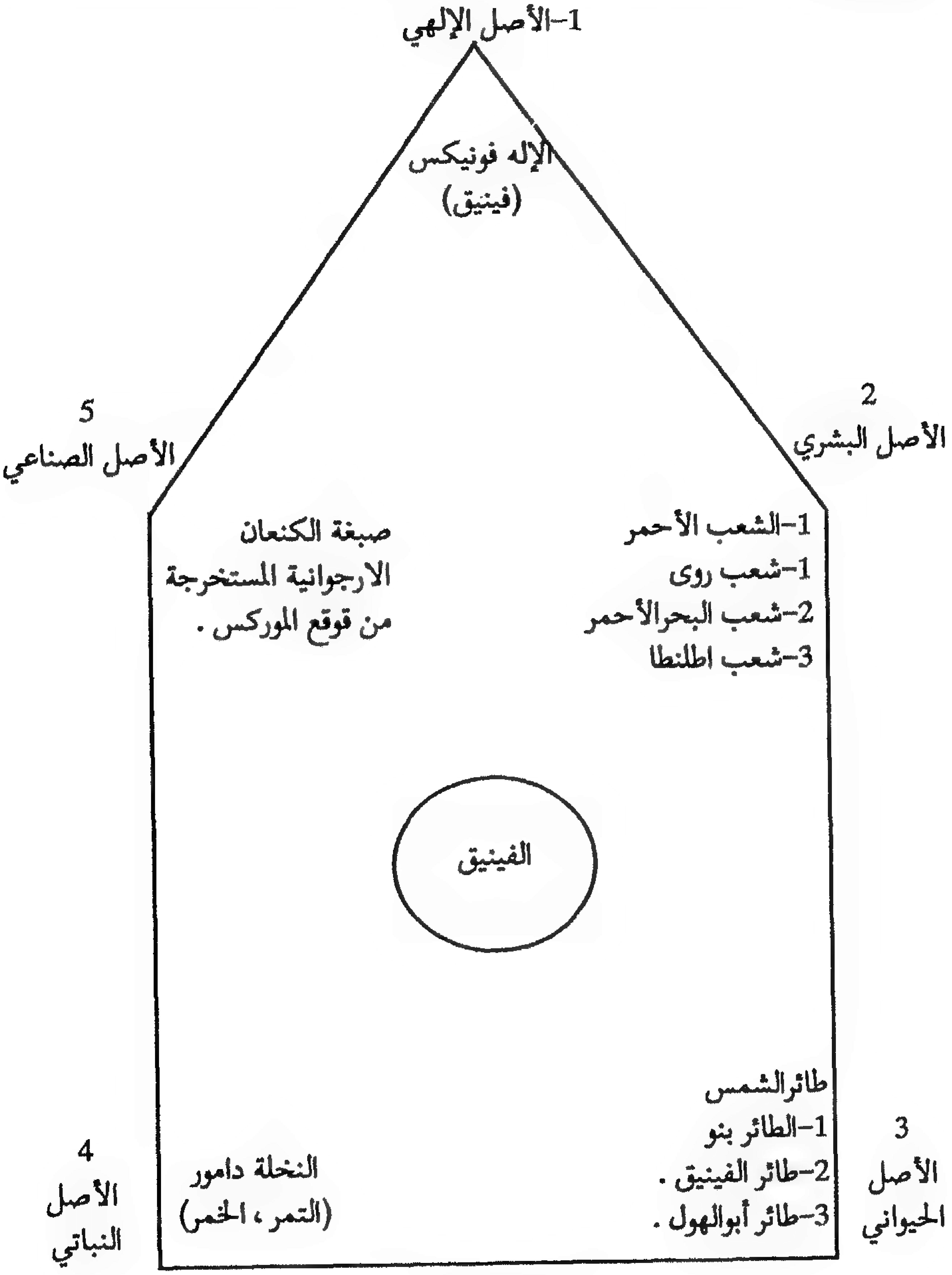

مخطط (8)

الأصول الخمسة لإشتقاق كلمة فينيق.

4-تمحو : الشعب الابيض وهو الشعب الليبي الذي كانت تمثله قبائل التمحو انذاك .

وربما كان تقسيم الكهنة المصريين هذا هو الذي اوحى بالاصل المشترك بين الكنعانيين والمصريين وربطهما باللون الأحمر وهذا التقسيم كما نرى يفتقر الى سعة الاطلاع على شعوب الارض القديمة انذاك وهو في حقيقة الامر يقسم شعوب مصر وجيرانها اكثر مما يقسم شعوب الارض .

لكن الاغريق القدماء رأوا في الشعب الكنعاني او الفينيقي ما يدل على البشرة الحمراء او النحاسية المختلفة عن لون بشرتهم البيضاء فأطلقوا عليهم اسم (فوانوس) الذي كان أحد مصادر كلمة فينيقيا .

ب-البحر الأحمر (الإرتيري)

ربما كان الاعتقاد القائل بأن الكنعانيين قد نزحوا من البحر الأحمر الذي كان يسمى (الإرتيري) والذي كان يتميز باحمرار لون مياهه بسبب تراب قاعه وضفافه الحمراء اللون والحاوية على أكاسيد الحديد الحمراء ، ربما كان هذا الاعتقاد سببا في إطلاق اسم (فوانوس) ، الذي يعني (الأحمر) على هذا الشعب القادم من هناك .

كان المؤرخ هيرودوت أول من رأى بأن الكنعانيين قد خرجوا من شواطيء (بحر ارتيرية) على أثر زلزال مدمر حصل هناك فنزلوا على ضفاف الممرات المحاطة بالمستنقعات ثم واصلوا السير الى شواطيء البحر المتوسط (البحرالداخلي) وأسسوا صيدا .

وقد أيّد سترابون هذه الفكرة وأضاف لها ان سكان الخليج العربي أخبروه بأن أصل الكنعانيين من شواطيء البحر الارتيري التي ما زالت تحوي مدناً باسماء (صور ، صيدا ، آراد) وان هياكلها تشبه هياكل الفينقيين .

أما المؤرخ يوستينوس فلم ينف آراء هيرودو ت ولم يرفض آراء سترابون عن بلاد الفينقيين الأصلية ، ولكنه قبل أن يجعل مقرهم على شواطئ البحر المتوسط حيث شيدوا مدنا اسموها (صيدا) ، قالوا بأنهم أقاموا أولاً على ضفاف(البحيرة الآشورية) دون أن يأتينا بأي معلومات عن تلك البحيرة التي ربما كانت بحيرة(برس)جوار بابل أو هي (البحر الميت ، الذي كان يسمى (بحر الاسفلت) الذي أطلق عليه يوستينوس اسم (بحيرة اشورية) (انظر بنت بطوطة ب .ت :22) .

جـ-القارة الأطلسية (أطلنطا)

وتسمى أيضا القارة الكوكبية (أسترال Astral) ، وهي القارة التي رأى افلاطون في كتابه (كريتياس) ، بأنها القارة الغارقة في المحيطة الاطلسي وأن هذه القارة كانت قبل غرقها مسكونة بجنس الأطالسة الأحمر القوي والذي قام بغزو مصر قبل عصر (مينا) وشواطيء ارتيريا وما وراء بلاد الكلدان وأن فروع هذا الجنس العملاق ، أو بعبارة أدق ما تبقى منه قد يكون أصل هؤلاء الفينيقيين (المرجع السابق : 42-41) .

وقد ناقش المؤرخون المحدثون قضية هذه القارة المفقودة في بحوث وكتب كثيرة وذهب بعضهم إلى أن هذه القارة كانت مسكونة بالجنس الأحمر ثم تعرضت الى كارثة عظيمة اجبرت سكانها على الهجرة شرقاً باتجاه البحر المتوسط حيث استقروا في مصر وبلاد الشام وهم (الكنعانيون والمصريون) . وغربا باتجاه قارة امريكا وهم الهنود الحمر في اميركا الشمالية وقبيلة الازتيك في المكسيك ، وانتشر بعضهم في جزر الباسفك على شكل سلالات بولينزية كثيرة . وهؤلاء اصحاب حضارة معروفة . وقد يفسر هذا الرأي الصلات المشتركة بين حضارات اميركا القديمة والحضارة المصرية القديمة .

وهكذا يكون الشعب الأحمر وفقا لهذه النظرية هو شعب القارة الأطلسية الغارقة أو المفقودة .

4-الصبغة الحمراء (الارجوان)

اشتهر الكنعانيون بانتاج نوع من الاصباغ البحرية المنشأ ذات اللون الأحمر ، وكانوا يصبغون بها الملابس التي تسمى الملابس الارجوانية واشتهروا بتجارة هذا النوع من الأصباغ والاقمشة ، ومن المرجح أن تكون شهرتهم هذه المرتبطة بالأصباغ والاقمشة الارجوانية سببا إضافياً لنعتهم بكلمة(فونوس) ، التي يرى البعض أنها ترجمة لكلمة (كنعان) التي تدل على هذه الصبغة الارجوانية .

وكان الكنعانيون يحصلون على هذا اللون الارجواني من حيوان بحري قشري يدعى (موركس Murex) الشائع الانتشار على شواطئهم .

وكان يصبغون أشرعة سفنهم بهذا اللون أيضا ، ويقال أن سفينة كيلوبترا التي كانت تقود الاسطول البطلمي في معركة اكتيوم عام 31 ق .م كانت تحمل شراعاً ارجوانياً .

وتروي الأسطورة أن الإله (ملكارت) ، ملك وإله صور ، كان يتنزه مع الحورية تيروس (صور) على طول شاطىء البحر المتوسط وكان معهما كلبهما الذي عض حيواناً رخوياً (محاراً أو أفعى البحر) فتلطخ فمه باللون الأحمر الأرجواني فلاحظ ملكارت ذلك وصبغ عباءته بهذا اللون وقدمها لرفيقته .

ويرى العلماء أن هناك انواعاً من الرخويات في البحر المتوسط تحمل غدداً تحت خياشمها تمثل المادة الكيميائية الخام للصباغ الارجواني ، وقد تخرج هذه الحيوانات باتجاه المياه الضحلة والسواحل الصخرية لتتزاوج في أواخر الربيع وهذه الحيوانات هي (انظر مكغفرن 1992: 4) .

Purpura hameostoma

Murex brandaris

Murex trunculus

وقد تم وصف عمليات الصباغة لأول مرة في كتاب (التاريخ الطبيعي) (الكتاب التاسع : جـ من 60 الى 65 الفصول ، 41-3) . لبليني الأكبر من العهد الامبراطوري الروماني . حيث وصف كيفية صيد تلك الرخويات باستعمال سلال خادعة بعد بزوغ نجم الكلب ، ثم تجتث وتقطع غدد هذه الرخويات وتوضع في قدر معدني ويضاف اليها الماء والملح وتبقى على النار مدة عشرة أيام يتم خلالها ، من حين لآخر ، قشط المواد العضوية الطافيةفي ذلك المزيج وكيفية فحصه للحصول على خواصه الصبغية (انظر المرجع السابق : 6-5) .

وقداكتشف الأثاريون في مدينة (ساربطه) التي تقع في منتصف الطريق بين صور وصيدا ، مجموعة من القدور الفخارية التي تحمل راسباً أحمراً منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ووجد قربها ركام من الأصداف المسحوقة من نوع موركس ترنكلوس . وقد أثبت التحليل الكيميائي لهذه الرواسب إنها تتكون من ارجوان حيوانات رخوية . (انظر المرجع السابق) .

5-الجد الأسطوري : فونكس أو (فينيق) . وهو إله مدينة صورالقديم جداً والذي يرجح أن يكون ابناً من أبناء صيدون من زوجته صور ، هو ومجموعة من الآلهة ذات الملامح البشرية مثل :قدم ،اوروبا ، قيليق ، فينيق ، سور ، تاس ، سيبول ، فيني دريال . .الخ .

ويعتقد أن فينيق وقدم أسسا مدينة طيبة في مصر ، ثم قدما الى سواحل لبنان وسكنا مدينة صور .

جـ-صيدا (صيدون)

إذا كان كنعان ابن حام مثولوجيا ، وإذا كان فينيق ابن كنعان فإن صيدا هي الابنة البكر لكنعان . وقد سميت مدينة صيدا على إسمها فكانت العاصمة الأولى للفينيقيين .

وترد صيدا في العهد القديم على أنها مدينة صيدون ابن كنعان البكر(التكوين : 15 :10) أما (صور) فهي مثولوجيا ابنة (صيدا) أو(صيدون) .

وتعتبر صيدا وصور أقدم المدن الكنعانية « ومع ما كان من تناوب السيادة بين المدينتين العظيمتين (صيداوصور) فإن بعض ملوك صور كانوا يحملون لقب ملك الصيداويين ويغلب على الظن أنه كان معقودة لهؤلاء الملوك لواء السيادة الفخرية على مدينة صيدا ، ومن جهة أخرى فإن نقود صيدا تشير الى صور باعتبارها ابنة صيدا ، وقد اطلق هوميروس نفسه على الفينقيين اسم (الصيداويين)» (بنت بطوطه ب ت : 50-51) .

وأغلب الظن أن (صيد) هو إله كنعاي قديم ظهر في أسماء الاعلام الكنعانية على شكل(صيدياتون) بمعنى : الإله صيد يعطي والاسم مشتق من جذر في اللغات السامية يظهر في الاوغاريتية على شكل (ص .و .د) وفي الاكدية (صادو) وفي العربية(صيد) ومعناه كما هو في جذر الكلمة العربية (الصيد) . وقدعثر معبد لهذا الإله في قرطاجة (انظر اذزارد 220 :1987) .

وهذا يعني أن الإله (صيد) هو إله الصيد عند الكنعانيين . ومعروف أن مدينة صيدا دمرت ثلاث مرات تدميراً كاملاً المرة الأولى على يد الآشوريين عام 678 ق .م عندما أحرقها اسرحدون ثم على يد الفرس في عصر احشويرش الثالث 346 ق .م ، ثم على يد الرومان عام 14 ق .م على يد اوكتافيوس اغسطس .

ونرى أن الاله الاغريقي (بوزيدون) مشتق من الإله (صيدون) حيث (بوصيدون) تعني خادم صيدون) ، وهو إله نظير للأله صيدون ومعروف أن بوزيدون ارتبط مثل صيد أو صيدون برعاية الصيد البحري والبري وكان أهم عباده من البحارة ومدربو الخيول ومروضوها وأهم الالعاب التي اقيمت له في اليونان هي (ألعاب البرزخ) كل أربع سنوات . وأن واحداً من رموزه الدلافين وأداة صيد السمك ذات الانياب الثلاثة ، وقدعثر في جرش (في الاردن) على عصا بوزيدون هذه منقوشة على لوح يحيط بها اثنان من الدلافين (شكل)

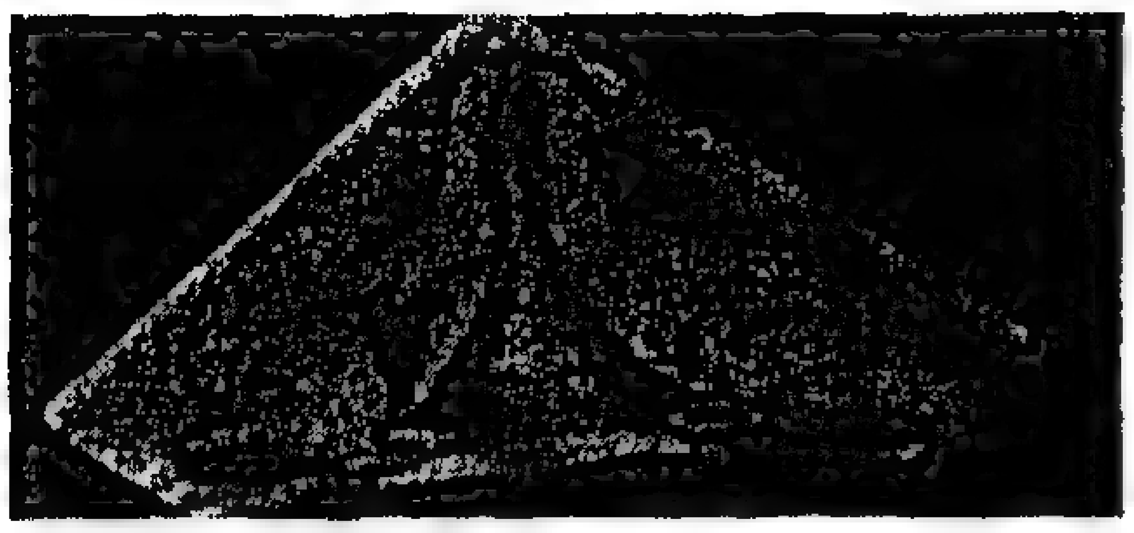

شكل (61)

الإله بوزيدون (نظير خادم صيد)

أ-تمثاله الاغريقي.

ب-لوح رخامي عثر عليه في جرش نقشت عليه شوكة بوزيدون واثنان من الدلافين حولها.

ونعود الى ما سبق أن ذكرناه « وهو أن اصل بوزيدون من بوصيدون واصل هذا من صيد وأصل هذا من سيتون الذي هو أخ ايل مثلما كان بوزيدون أخ زوس . وهذا يعني ان بوزيدون اصله من صيدا مثلما كانت أثينا أصلها من عناة .

نوح

سام ← حام ← يافث

حام ↓ كنعان

كنعان ↓ فينيق ، صيدا

صيدا

لها ثلاث آلهة رئيسية هم :

(صيد ، بوصيدون ، اشمون)

↓

صور

لها ثلاث آلهة رئيسية هم :

(عوص ، قدم ، ملكارت)

مخطط (9)

انساب المثولوجيا التاريخية لكنعان

د- صور

ربما وضعت الاسطورة التي وردت على لسان فيلو الجبيلي ثم سانخونتين مدينة صور في بداية الخليقة حيث تتبعا فيها مشهد الخليقة الأول من (الهواء والرياح) حتى ظهور أنصاف الآلهة العماليق السبعة (انظر المثولوجيا الكنعانية) .

وقد يكون اسم صور مشتقاً من اسم الإله (اوسوس) ، الذي يعتبر اله الملاحة الأول الذي بنى مدينة صور ووضع فيها نظام العبادة والحضارة وأول من قاد سفينة في البحر ، وقد اختلط اسم هذا الإله بالإله ملكارت الذي يعني اسمه (ملك المدينة) والذي قابله الاغريق بالإله (هرقل) وهو إله شمس ناري .

وربما كان لاسم صور علاقة بكلمة (سار) التي تعني في السومرية الملك ، السنة ، المحيط الكوني ، ثم صارت داله على إله كنعاني هو إله القمر وهو (شار) أو (سحر) او (شهار) .

ويرد اسم إله آخر هو الإله (عوس) كإله حام لمدينة (صور) ويرجح أنه نفسه الإله (اوسوس) ، حيث تحكي الأساطير عنه وعن شقيقة الإله (شميم) ، أي إله السماء بأنهما أقاما هياكل الإلهي الريح والنار بعد أن شب حريق هائل في صور .

وكان لـ(عوس) ولدان هما (دامور) ، أي : النخيل والتمر و(هرقل) الذي هو ملكارت والذي أنجب ولداً اسمه(سرد) أسس مدينة على جزيرة سردينيا . وكان ملكارت سيد الارجوان والنار .

الرمزالثالث الذي ارتبط بـ(صور) هو قدموس واخته اوربا اللذين نسجت اسطورتهما المخيلة الاغريقية على ضوء ثمةاسطورية كنعانية قديمة وربطت فيها بين كنعان والاغريق من خلال زواج اوروبا من زيوس وولاده الملك مينوس ملك كريت .

3-قصص عصر البطولة الكنعاني

(الملاحم الاوغاريتية)

لكل أمة من الأمم القديمة عصر بطولة يظهر فيه مجموعة من الافراد المتميزين الذين يحملون ، دون غيرهم ، مهمة صياغة الشعور الجماعي وبلورة شخصية الأمة أو الشعب الذي ينتمون له .

وقد وجدنا أن بعض الملاحم التي عثر عليها في اوغاريت يمكن أن تحقق هذا الغرض فهي تروي حكايات ملوك وحكماء وابطال ينحدرون من الآلهة ويقومون بأعمال جليلة .

وربما كانت أعمال بعضهم (مثل الملك الكبير) عبرة من عبر التاريخ لذلك جاءت قصص هؤلاء أقرب الى الملاحم الصغيرة التي شاعت في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد والتي لا نجزم بوجودها في التاريخ ، بل هي نسج بين الاسطورة والتاريخ أو ما عبرنا عنه بالمثولوجيا التاريخية التي تميل نحو الملحمة أكثر من ميلها نحو الخرافة . وسنستعرض قصص أربعة من هؤلاء :

أ-كرت

مازالت ملحمة كرت ناقصة إذ لم يعثر على بدايتها ونهايتها ولكنها تخبرنا في ثلاثة الواح من اوغاريت عن قصة كرت (ملك خوبور) المفجوع يموت عائلته واولاده ومرضه ، فيظهر له إيل في المنام ليواسيه ويطلب منه الاغتسال وتقديم الاضاحي والقيام بحملة عسكرية على مملكة (آدوم) على أن لا يقبل من ملكها أي تنازلات أو اغراءات ويصرعلى طلب يد ابنته (حورية) التي ستعوضه عائلته الأولى التي تبددت وتنجب له الأبناء .ويفعل كرت ذلك ويتزوج حورية وينجب (ثمانية ابناء) منهم ولدين هما (يصيب والحاء) وبنات اصغرهن(ثتمانه) التي يعني اسمها (الثامنة) التي نال حق البكورية أي : (مساواتها مع يصيب) . ويصابكرت بعد سبع سنوات بالمرض ويكاد المرض ينهي امره فيعجب لذلك ولده يصيب لان كرت نصفه بشر ونصف بشر ولا يناله الموت وهو من الخالدين يتدخل الإله ايل ويستدعي أولاً الاله (الش) وهو الاله الصانع أو النجار الذي يستنزل المطرعن طريق تعاويذه ليقوم بدوره في شفاء كرت واعادة الخطيب والوفرة الى المملكة ، وبعد أن

يسأل الإله ايل الالهة سبع مرات يتدخل هو فشيفي كرت لكن ابنه (يصيب) يطلب من كرت أن يتنازل له عن العريش ، فيغضب منه بشدة ويدعو الآلهة لمعاقبته ،ولانعرف بقية القصة .

ولهذه القصة ما يوازيها في آداب واحداث المنطقة فهي تشبه في بدايتها قصة (أيوب) وفي نهايتها قصص محاولات الاستيلاء على العرض من قبل الابناء عند الآلهة والملوك .

إذا حاولنا العثور على شخصية الملك كرت التاريخية فإننا سنخفق لكن مكتشفات رأس الشمرا تقول إن كرت هو ابن إيل وربما كان اسمه (كريت) ومان ملكاً على(سدوم) وقد أمره أبوه ايل بالقيام بغزوة تقودها الالهة (تيرا) أو (طيرة) لتأديب شعب زبولون ، وبعد أن عاد كرت من حروبه اشترى زوجة أنجب منها طفلاً جميلاً تعشتر كريما كانت هو دانيال (انظر عبد الحكيم 50 :1978) .

ب-داميال

عرفنا أن كرت انجب ابناً منهم دانيال الذي تتحدث عنه حكايات فتقول أنه ما أن ولد حتى دوى صوته صارخاً بعبارة أنا أكره الاعداء وقد كان طفلاً عجيباً في قصة مولده يروي عنه الدميري في كتابه حياة الحيوان قصة غريبة فحواها أن دانيال ولد في زمن ملك ظالم تنبأ له العرافون بان طفلاً ولد في تلك الليلة سيفسد عليه ملكه فأمر بقتل كل من ولد تلك الليلة لكن أم دانيال وضعته في حظيرة أسد وليوه يلحسانه الليل كله حتى نجاه الله . ويبدو أن دانيال لما كبر اصبح حكيماً وتبحر في فن العرافة حتى أنه أورث الفن لابنته التي سميت (ملكة كل الأسرار) (انظر المرجع السابق) .

ج- إقهات

لا نعرف فيما إذا كان دانيال الذي تحدثنا عنه هو نفسه دانيال والد إقهات الذي سنتحد ث عنه في هذه الملحمة الصغيرة رغم أننا نرجح أن يكون هو .

وتروي الملحمة أن الرجل الصالح الحكيم دانيال كان يخاف الهته ويقدم لها الاضاحي ويقيم الشعائر الخاصة بأسلافه الموتى ويعمل على حماية والده ضد الاعداء ويحافظ عليه ويغسل ثيابه ، ويشارك في ولائم بعل في معبد الإله بعل ، وكان يقيم العدل بين الناس

لأنه كان قاضياً معروفاً . ولكنه كان يبتهل دائماً الى الآلهة لأن ترزقه بولد يخلفه وبعد سبعة أيام من الابتهالات المتواصلة للإله بعل يرق له قلب هذا الإله ويتوسطه عند الإله ايل ليمنحه الخصب ، ويتم له ذلك فتلد زوجته ولداً يسميه (إقهات) .يقيم دانيال احتفالاً بهذه المناسبة لمدة سبعة أيام تحضره (كوثرات) إلهات الولادة والنسل اكراماً لها . وذات يوم يرى دانيال الإله (كوثر) إله الفنون والحرف ، يحمل قوماً مدهشاً ويقترب منه فيدعوه الى بيته ويأمر زوجته (دينيتيا) لتعد وليمه فاخرة له يهدي في نهايتها الإله كوثر القوس الى دانيال فيقوم دانيال بإهداء هذا القوس الى ولده اليافع(اقهات) ليتعلم به الصيد والقنص في البراري .

وعندما تشاهد الألهة (عناة) هذا القوس بيد إقهات تحاول اغراءه بالفضة والذهب ليعيه لها لكنه يرفض بحزم ويعدد لها فضائل هذا القوس المصنوع من خشب ارز لبنان واوتار الثور البري وقرون الماعز الجبلي وأوتار ركب الثيران ومن القصب وينصحها بأن تجلب هذه المواد إلى الإله (كوثر) ليصنع لها مثل هذا القوس ،لكنها تصر على امتلاك هذا القوس بالذات وتعرض على إقهات بأن تمنحه الخلود مقابل ذلك فيرد عليها إقهات بحزم أيضاً ويقول لها بأنه لا يفضل الخلود ويود أن يعيش مثل الناس ويتهمها بالخداع لانها لا تستطيع ذلك أصلاً ثم أنها لا تعرف استعمال القوس فلماذا تريد كل ذلك؟

فتخسر عناة منه وتذهب الى والدها (إيل) وتهدده بأن تخضب شعره الأبيض بالدم إن لم ينتقم لها من إقهات ، فيرضخ ايل لذلك ويسخر لها الكائن (يطفن) ليقتل إقهات .وتمسخ عناة يطفن وتحوله الى عقاب وتخبؤه في حزامها وتطي به مع سرب من الصقور فوق رأس أقهات وينطلق يطفن كالبرق ليخطف روح اقهات ، فتبكي عناة على ما فعلت إذا لم تكن تقصد قتله بل خطف قوسه الذي ينكسر هو الآخر ويختفي .

وهكذا تجدب الأرض وتجف النباتات ، ويحل القحط بسبب موت اقهات . وعندما يعلم دانيال ويرى الصقور وهي تحوم في السماء ينتابه البكاء والحزن ، ويمزق ثيابه متضرعاً الى السماء لتنجده بالمطر المحبوس في السماء .وهنا تشاهد ابنته (يوغات) والدها والعقبان تحوم حوله وهو يمزق الثياب فتجهش بالبكاء ، ثم يمتطي حماره ويتجول في الحقول الميتة عطشاً ويمسك سنبلة بيده مداعبا إياها ومتمنياً على (إقهات) أن يجمع سنابل الحقل ويخزنها في المستودعات فيتقدم اليه الخدم يبكون نادبين فيقسم دانيال أن ينتقم من القتلة شر انتقام .

ويقدم دانيال بالدعاء الى بعل ليكسر أجنحة الصقور التي تحوم حوله ، فيفعل ، وتسقط الصقور عند قدميه ويبحث في بطونها عن رفات ابنه وعظامه ليدفنها في قبر يليق به ويفشل أولاً ثم يعثر على ما يريد في احشاء الصقر (صمل) ويدفن رفات ولده ويهدد بقية الصقور بان بعل سيكسر اجنحتها أن هي حامت فوق قبر ولده ثلاث مدن تقع قرب موقع الحادث ثم يعود الى قصره ويأمر بالحداد على ولده سبع سنوات .

وتقوم (بوغات) أخت (اقهات) بالدعاء الى الآلهة لتأخذ بثأر أخيها فتتبرج بالمساحيق وتعطر نفسها وتلبس عدتها المحاربة وفوقها الملابس النسائية وتذهب الى مجموعة من البدو ليدلوها على كائن اسمه (يطفن) قد يقوم بمساعدتها في ذلك فتلتقي به دون أن تعلم أنه قاتل أخيها ودون أن يعلم هو أنها أخت القتيل ، ويستضيفها في بيته ويشرب معها الخمر ويخبرها بأنه قاتل اقهات فتعطيه المزيد من الخمر حتى تتمكن بوغات من قطع رأس يطفن بالسيف الذي تخبؤه تحت ثيابها . وهناك ما يشير في نهاية الملحمة الى بعث اقهات (الذي ربما كا بعثاً رمزياً) . وعودة الاخضرار للمراعي والخصب للحقول والحياة .

ونرى أن هذه الملحمة تتشابه في بعض أوجهها مع :

1-اسطورة (اوريون) الاغريقية التي ربما أخذت من الملحمة الكنعانية حيث تغضب ديانا على اوريون وتقتله ثم تحوله الى نجم (اوريون) في السماء يختفي مع نهاية نيسان ليشرق في تموز وخلال ذلك تنحبس الأمطار وتجنى الأرض . وهو ما أشار اليه (ت .هـ غستمر) (انظر اذزارد ، 173 :1987) .

ونريزن الحادثتين تعودان الى مرجع حيث أسطورة إنانا مع الفلاح شوكليتودا الذي تحوله الى نجم بعيد .

2-حكاية يوديث وهولوفيرن في العهد القديم في نهاية الملحمة .

3-ولادة اقهات المشابهة لولادة اسحاق وشمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان في العهد القديم .

4-صبر دانيال المشابه لصبر كرت وصبر أيوب وبطل (حوارية العدالة الالهية البابلية) ساحل كينا موبيب وبطل حوارية (لامجدن رب الحكمة البابلية) المسمى شوبش مشري شكان .

والحقيقة أن هذه التشابهات تأتي عن طريق البنى الاسطورية والملحمية المتداخلة التي سادت في منطقة واحدة هي الشرق الأدنى القديم .

لكن ما نود التأكيد عليه هنا هو أننا وجدنا تسلسلاً مدهشاً لمجموعة من الأبطال شبه الأسطوريين القدماء في كنعان ، فقد ولد الإله إيل ابناً نصف الهي هو (كرت) إمتاز بالصبر والورع والذي ولد ابنا نصف الهي هو (دانيال) إمتاز بالصبر والحكمة وهذا ولد ابنا نصف الهي هو (إقهات) الذي امتاز بالحيوية والشباب . وبذلك يكون تسلسلهم كما يلي :

إيل ← كرت ← دانيال ← اقهات

وربما أشار ذلك في بعض من الوجوه الى أن هؤلاء المنحدرين من أصل إلهي يشكلون ما اصطلح عليه بـ(عصر البطولة الكنعاني) حيث تنتج الأمة في عصورها الذهبية القديمة سلالة شبه الهية من الأبطال والحكماء والملوك يشكلون مادة عصرها البطولي وهو ما حصل مع عصر البطولة السومري المكون من (مسكيكاشر ثم أنمركار ثم لوكال نبدأ ثم جلجامش) وعصرالبطولة الاغريقي غيرها .

ثم أن جيل الآلهة الأقدم من إيل كان قد أنجب أبطالاً عظاماً مثل قدم وفينيق واوربا . . . الخ ، لكن إيل أنجب هذا الجيل من العصر البطولي الكنعاني .

2-الملك الكبير

وهي ملحمة كبيرة عثرعلى نصوصها الطينية في اوغاريت (راس شمرا) وقام بترجمتها ودراستها العالم هـ.ي ديل ميديكو والتي نشرها كجزء من كتابه الشهير (التوراة الكنعانية) ، وهو اسم أدبي مستعار يحتوي على التراث الكنعاني والفلسفي والديني والاجتماعي الذي كتبه الاوغاريتيون قبل ظهور الشعب العبري والديانة اليهودية والتي تشكل الظهير الروحي للتوراة الحقيقة أو ما نسميه بـ(العهد القديم) .

أما الجزء الخاص بملحمة (الملك الكبير) فهو نص كتبه كاهن اوغاريت الأكبر رئيس مقدمي القرابين والمطهرين المدعو (إيلي ميلكو) وقد كتبها بناء على أمر الملك الاوغاريتي (نيقمد) خلف الملك الكبير وقد أطلق عليها إيلي ميلكو اسم (اللالي) ليشير الى (المرأة ذات اللآليء) وهي سرية أو محظية الملك الكبير التي لعبت دوراً كبيراً في حرف ديانته من عبادة إيل الى عبادة بعل .

ويرجح ميديكو أن المقصود بـ(الملك الكبير) ربما كان ملك اوغاريت (يربعل- ابيمالك) ويركز على (أبيمالك) ضمن استنتاجاته الخاصة بذلك لأنه يسبق(نقمد) الذي أمر بكتابة قصة سلفه ليكون عبرة لمن اعتبر خصوصاً أن هذا الملك حكم أجزاء كبيرة من بلاد كنعان منها فلسطين ولبنان وصادف عهده اجتياح القبائل العبرية بقيادة يشوع ثم يهوذا الذي أدى الى احتلال اورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد (انظر ميديكو 135-129 :1980) .

وخلاصة الملحمة ان الملك الكبير كان قد تعرض الى كارثة حربية وغضب فيها الإله بعل على الملك البلاد وسلط عليه اتباعه الكروبييم كي يصرعوه وبعث له بسريه (مخطية) اجنبية تحرضه على تغيير معتقداته الدينية من الايمان بالاله (ايل) الذي يدين بعبادته الشعب ويعتبر نفسه شعب ايل الى الايمان بالإله (بعل) ، وهكذا شن الملك الحرب على ايل واشيرة وترافق ذلك مع هجوم بعض القبائل على فلسطين مما اضطره للانكفاء على المدن الشمالية التي كانت تعبد (بعل) ، وأراد الملك أن يوحد العبادة نحو طقوس بعل . وتحاول عناة ان تتدخل عند الاله ايل ليرفه عن الملك لكن الملك كان قد فتح (بيت اللعنات) واعلن الحاده بالإله ايل .

ويبدو أن الملك يخسر أمام قوة اجنبية أخرى ويخذله حلفاؤه ، وهكذا تسقط البلاد في الفوضى والخراب فلا يجد الملك سوى عناة يركع عند قدميها خصوصا أن ايل مد يده المنتقمة حتى أحشاء القصر الملكي فتبددت ثروة العاهل في الذل ، وتقوم عناة بالتأكد من خراب المدينة بمحراثها (قرنها) واجنحتهما حيث تتجول في سماء المدينة ، وتتدهور أمور الملك الكبير أكثر من ذلك فيؤدي طقوس التوسل لبعل وهو عار ليعينه على وضعه .

وفي هذه الاثناء يهجم اعوان (عبدي عشيرتا) وهو ملك عمور والمسمون (الاشرتيم)وهنا تظهر (عشيرة) لتنصح الشعب بأن يصهر ما يملكه الملك من ذهب وفضة تماثيل الآلهة الاجنبية ليسدوا بها حاجة الحرب . وعلى الملك أن يذوق طعم الجوع ليشعر بالآم الناس .

وبدلاً من أن يستجيب الملك لهذه الطواري نراه يرفض ذلك ونعرف في شرب الخمر ويرمي بتمثال اجداده في النار ويتراءى له موكب اله الجحيم بعل وزوجته اشتار (عشتروت) ويرتمي الملك خاضعاً لمساعد بعل حارس الأموات وتفشل محاولات عناة في إنقاذ الملك من حالة التردي ويفسر الأموات وتفشل محاولات عناة في إنقاذ الملك من حالة التردي ويفسر النص تحالف رؤوساء اليوديم مع أنصار عبدي عشيرته ضد الملك تصدي

التردي الملك الروحي . وهكذا تغرق البلاد في الشقاق والجاعة ويتظاهر الشعب عن قصر الملك ويقترح بناء معبد لبعل ، إذ ربما لكونه لا بيت له ، فإنه فعل كل هذا بالبلاد ويستحسن ايل هذا المقترح لكن الملك رفض ذلك وزاد كنوزه وأعتمد على شعوب مريام الشمالية بل أنه تمادى في غيه ومن أجل أان ينفرد بالثروة قتل إخوته وكل ذكر في عائلته .

وفي جلسة أشبه ما تكون ببيع النفس الى الشيطان ، يدعو الملك ، ملك الأموات ، وبعل ويتوسلهم أن يظهروا قصره لكنهم لا يصغون اليه فيقوم الملك بإحراق القصر وتحترق كنوزه كلها ويستمر الحريق سبعة أيام ويعمد الملك في نوبة غضب الى ذبح ورجم مواشيه وقتلها وتسوء الأمور اكثر ويخذله الحلفاء والشعب ولا يبقى أمام الملك سوى انتظار الموت . . إذ هوغير قادر الآن على العودة لعبادة إيل وبذلك يغرق في شرب الخمر ويغضب جميع الآلهة عليه بما فيهم بعل وعناة ، وعندما يضع الملك التاج على رأس السرية الاجنبية ينتهي كل شيء . وتبدأ جموع الشعب بالزحف الى قصره بينما الملك الكبير يطلب من بعل أن يبعث من الموت إخوته الصغار . فيتضايق الشعب أثر ذلك معتقداً أن أمراً ما سيقع ، وهكذا تهجم جموع الشعب على الملك وتضربه وتعضه فيطرح أرضا ويدوسه الناس وينزف حتى الموت وهو يسمع تهكم الناس من حوله . ويرحل الى العالم الآخر مرافقا الأبالسة وحارسي الاموات حيث تنحدر روحه نحو المهاوي .

وهكذا توضح لنا هذه الملحمة قصة ملك متجبر يحتقر الشعب ويشغله بحروب خاسرة ويزيد من جوعه وعذابه ويترك عقائده ويصغي لملذاته حتى يأتيه عقاب الشعب الذي يقتله علناً . ويبدو أن الملك (نيقمد) يأمر الكاهن (إيلي ميلكو) بكتابة هذا النص ليكون عبرة للملوك القادمين ، رغم أن نيقمد يخصص ضريحاً جديداً للملك الكبير الذي ذهب الى الظلمات احتراماً منه لتقاليد دفن الملوك السابقين .

4-قصص عصر البطولة الفينيقي (أبطال صيدا)

لا امتلك النص الكنعاني الذي يروي لنا اسطورتي أوروبا وقدموس ، كل ما في حوزتنا النص اللاتيني الذي رواه لنا الشاعر الروماني اوفيد في كتابه (مسخ الكائنات) .

قبل أن نعيد رواية الأسطورتين معاً لا بد لنا من البحث عن الجذور الكنعانية /الفينيقية لها . والحقيقة أننا لا نملك إلا بعض مرويات الاخبار والنسب التي تعيد خلط الاوراق بين نسل كنعان ونسل إيل ولا تفرق بينهما .

ويمكننا غربلة تلك الاخبار والانساب المختلطة والخروج بنتيجة مفادها أن الإله (سيتون) ابن (شميم : إله السماء) يوصف في قصص الاخبار بأنه ابن كنعان واحيانا أخ أيل . ونرى أنه ذاته الذي أصبح اسمه يطلق على مدينة (صيدون) حيث تحرف اسمه قليلاً من (سيتون) الى(صيدون) وربما الى(زيدون) ، ويبدو أن «اسم صيدون ، ابن كنعان ، عمم فشمل كل القبائل الكنعانية . كما أن التوراة لقبت الكنعانيين بالصيدونيين في أماكن عدة ، وذلك لأسباب عدة منها : أن صيدون كان بكر كنعان الذي تضخم فأصبح أمماً بدوره ، ومنها أنهم كانوا امما ساحلية ، تعمل بالصيد والتجارة ، فلفظ صيدون يدل في اصله على صيد السمك والطيور ، (عبد الحكيم 52 :1978) .

وصيد أيضا هو أحد معلمي البشر من العماليق الذين كانوا مهتمين بالصيد البحري والبري .

وتمضي الأخبار بذكر أن صيدون بعد أن تملك مدينة صيدا أصبح ملكاً على كل فينيقيا ، وتزوج (صور) وأنجب منها بدوره أبناء كثيرين كرمل البحر منهم (قدم ، فينيق ، فيليق ، سور ، تاس ، سيبول ، فيني ، دريال ، اوروبا) وتملك هؤلاء الأبناء الآلهة ، بدورهم على كل الممالك الكنعانية ومصر وآسيا الصغرى بحسب ما تشير به اساطيرهم (انظر المرجع السابق) .

هكذا يكون قدم (قدموس) واوربا من نسل صيدون وصور . وهما يشيران الى العصر الفينيقي ، أو عصر البطولة الفينيقي .

أ- اوروبا

إن الرواية الرومانية تنسب اوروبا وقدم الى(اغينور) أو (أجينور) ملك صيدا الفينيقي الثري . وتبدأ اسطورة اوروبا بالحلم الذي تراه في منامها ابنة اغينور (اوروبا) الفتاة الجميلة ،

حيث ترى في حلمها أن مرضعتها ومربيتها(آسيا) ، التي تمثل قارة آسيا ، كانت تختصم مع امرأة أخرى تمثل القارة الشمالية التي تنفصل عن آسيا بواسطة البحر (وهي قارة اوروبا فيما بعد) . وكانتا المرأتان /القارتان تتخاصمان على الفوز بالإلهة(اوروبا) ، وكانت النتيجة تنازل آسيا عن الفتاة لصالح المرأة الأخرى ، وهو ما أفزع الالهة اوروبا وايقظها من نومها .

صلت أوروبا لتحميها الآلهة من الشرور وأرتدت ثوباً ارجوانيا (لون كنعان) وخرجت مع صديقاتها من بنات صيدا الى مرج اخضر على شاطئ البحر تقطن الورود الحمراء فوقعت عليها انظار الإله (زيوس) وهو ما يقابل الإله بعل ، الذي كان يطارد السحب فعزم على اختطافها ومسخ نفسه الى عجل جميل وهبط الى المرج فهبت بنات صيدا نحوه يداعبنه ، وتقدمت نحوه اوروبا وصارت تداعبه وهو يلحس يدها ويتملقها فاحاطت رأسه بيديها وقبلته فركع عند قدميها وكأنه يطلب منها أن تعتلي متنه ، واعتلته اوروبا وهمت الفتيات بالركوب الى جانبها لكن العجل نهض فجأة وانطلق نحو البحر (شكل 62) .

شكل (62)

اوروبا تمتطي ظهر الثور زوس ويعبران البحر، ايروس يطير فوقها والى اليمين ظهر أبوها الملك اغينور (رسم على مزهرية). (عن حاتم 205 :1988) .

ومضى يمخر عباب أمواجه الذهبية كالدلفين ، وخرجت النيرندات (حوريات البحر) يسبحن معه وكذلك خرج الإله بوزيدون (إله البحر) ليفسح السبيل أمام أخيه زوس حتى لاحت جزيرة كريت فحلا فيها وتزوجا وأنجبت أوروبا من زوس ثلاثة أبناء هم :

1-مينوس (الذي أصبح أول ملك لكريت) .

2-رادامانت

3-سار بيدون

وكان هؤلاء الثلاثة أبطالاً وحكماء في العالم القديم (انظر حاتم 206-204:1988) .

وتوضح هذه الاسطورة مجموعة أمور لعل أهمها هو أن إلهة صيدا الفينيقية هي التي منحت اسمها للقارة اوروبا ، ويشير هذا أيضاً الى انتقال نواميس الحضارة من فينيقيا الى كريت ثم الى اوروبا .

كذلك تفسر هذه الاسطورة المنشأ الإلهي لملك كريت الأول مينوس ، ولا بد من الاشارة إلى أن الإلهة (آسيا) التي كانت بمثابة أم (اوروبا) أخذت اسمها ، كما نعتقد ، من (آش) أي النار أو الشمس ، وهي دلالة واضحة الى هذه القارة المشمسة ، والى نزوح الحضارة نحو الشمال من آسيا عبر البحر وانتماء اوروبا حضاريا الى فينيقيا .

ب-قدموس

حزن أغينور حزناً شديداً على اختطاف ابنته واستدعى أبناءه الثلاثة(فوينيكس ، كيليكس ، قدموس) وهم يقابلون كنعانياً(فينيق ، قليق ، قدم) وأمرهم بأن ينتشروا في الأرض ويبحثون عن أختهم فانتشروا وأسس فوينيكس مملكة فينيقيا ، وكيلكس مملكة كيليكيا أما قدموس فُظل يبحث عن أخته حتى وصل الى (دلفي) في بلاد الاغريق وذهب ليستشير كاهن ابولو فيها عن المكان الذي يؤسس فيه مدينته فأشار عليه الكاهن بأن يذهب الى مرج معزول ويتبع بقرة تخلو رقبتها من النير وعندما تتوقف وتبرك فوق عشب أخضر فهناك ستكون مدينة قدموس التي اسمها(بيوتيا) . . ففعل قدموس ذلك وكان برفقته اتباعه من صيدا وهم يمجدون أبولو ، وعندما بركت البقرة أقام قدموس معبداً ، وأراد أن يقدم قرباناً للإله زوس فاحتاج الى الماء وارسل أصحابه ليجلبوا له الماء من نهر يجري في مغارة عميقة

مجاورة ، فذهب أصحابه ورأوا عند المغارة ثعباناً ضخماً يدعى(اريس) ملتفاً يغط في نوم عميق ، وعندما حاول اصحابه جلب الماء من النهر استيقظ الثعبان وفتك بهم جميعاً .

ولما طال انتظار قدموس شهر سيفه وذهب باتجاههم ورأى الكارثة ودارت معركة قاسية بينه وبين الثعبان الشرس استطاع في نهايتها قدموس قطع رأس الثعبان ويعلقه على بلوطة قديمة .

وما أن استرخى قدموس وهو يتأمل ما فعله حتى ناداه هاتف خفي بأن لا ينظر الى رأس الثعبان هكذا لأنه سيتحول الى ثعبان ذات يوم .

ثم نادته الإلهة أثينا- بالادا بأن ينتزع انياب الثعبان وينثرها كالبذور في حقل بعد أن يحرثه . وفعل ذلك قدموس فنبتت الأرض من هذه الانياب محاربين مدججين بالاسلحة والتروس والسيوف وأراد قدموس أن يحاربهم لكنهم تواجهوا فيما بينهم ودارت بينهم معركة شرسة تساقطوا فيها قتلى ولم يبق منهم سوى خمسة من المحاربين الذين رموا اسلحتهم واصطلحوا وصاروا اتباع قدموس وبنوا معه قلعة (طيبة) التي اسمها (كادميا) ذات البوابات السبع . ثم بنى قدموس مدينة (طيبة) وشرّع للناس القوانين ونظم شؤونها وأهدت الآلهة لقدموس زوجته (هارمونيا) إبنة الإلهين آريس وافروديت .(شكل 63) .

أصبح قدموس واحداً من أغنى ملوك الأرض ، وصار اسم كل واحد من قواده الخمسة (سبارتي) ، أي الذين أنبتتهم الأرض وكان كل منهم على رأس جيش عظيم . وعاش قدموس زمناً طويلاً حافلاً بالمسرات .

ثم بدأت الأحزان بالنزول الى ساحته فقد ماتت ابنتاه (سميلا واينو) .

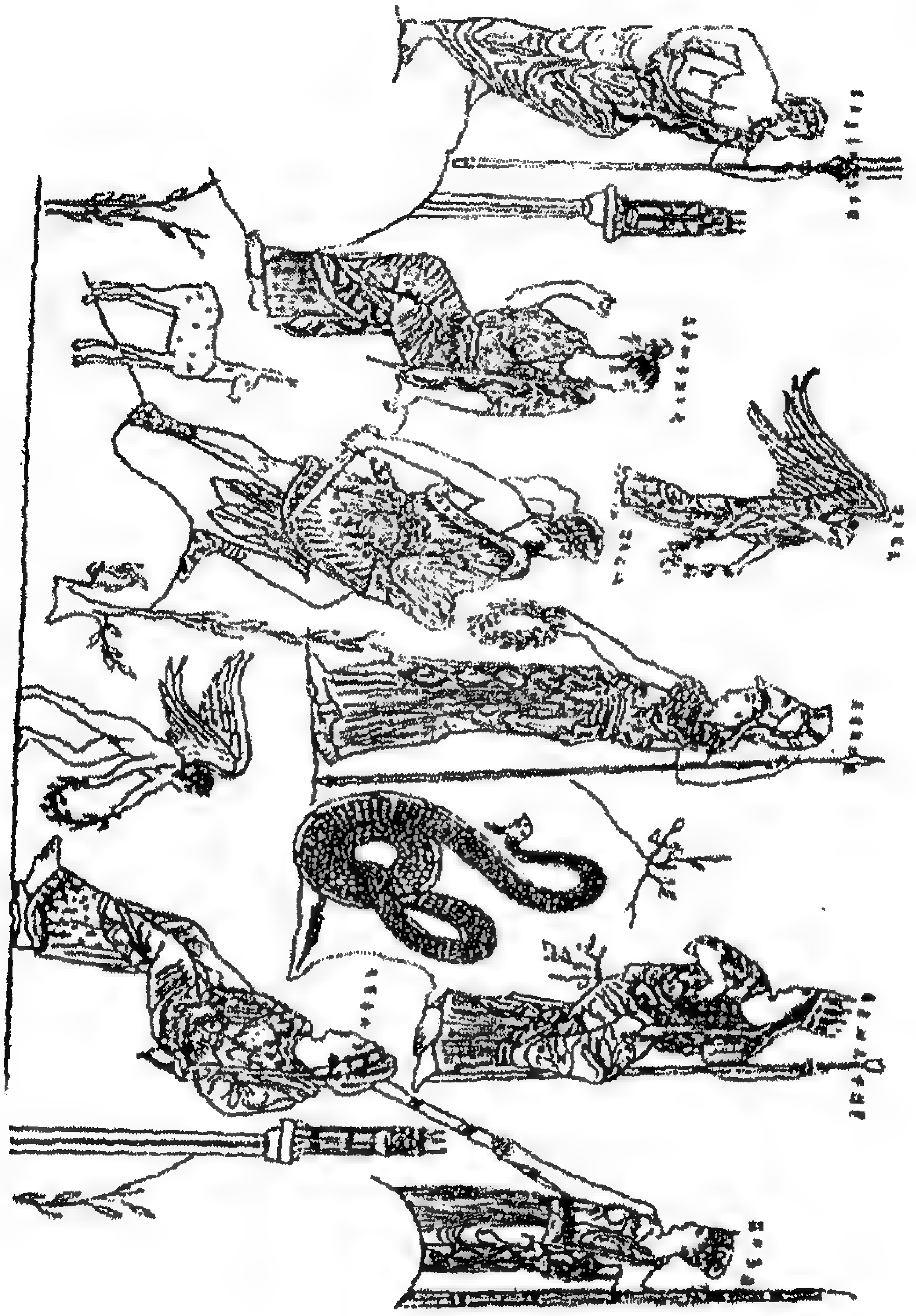

شكل(63)

رسم على مزهرية يوضح اسطورة قدموس وعناية الآلهة به من اليسار الى اليمين :
1-الإله بوزيدون يحمل شوكته المثلثة الشعاب 2-هارومينا زوجة قدموس 3-قدموس وقد جرد سيفه وتظهر فوقه ربة النصر 4-الإلهة اثينا تسلمه إكليلاً 5-الثعبان أريس 6- الإلهه يميترا- خلف الثعبان من الأعلى 7-كيرات(برسفوني) إلهة الجحيم خلف أمها دميترا 8-حورية طيبة تحت دميترا يظهر عند قدميها إله الحب إيروس يحمل اكليلاً. (عن حاتم 1988ک :209).

ومات حفيده اكيتون وحزن عليهم حزناً شديداً .

وهجر قدموس وهارمونيا طيبة عندما أصبحا عجوزين وذهبا الى (ايليريا) البعيدة ، وهناك تذكر الهاتف الذي صاح به ذات يوم بعد أن قتل الافعوان . فصرخ بالسماء أن تحوله الى ثعبان إذا كانت خطيئة قتله للثعبان هي سبب المصائب التي حلت به . فتحول قدموس شيئاً فشيئا الى ثعبان ، وطلبت هارومينا أن تتحول هي الاخرى الى أفعى لتشاطره مصيره فتحولت واخذا يجوبان الغابة وهما على هذه الهيئة حتى ادركهما الموت .

● ● ●

ولكي نكمل صورة الاسطورة الفينيقية الأصل حتى تخومها النهائية نود أن ننوه بأن الإله الاغريقي(ديونسيوس) ومقابله الروماني (باخوس) ، هو إله الخمر والقصف والمجون ، هو ابن زوس (جوبيتر الروماني) جاء به سفاحاً من سيميله(وهي من بني الانسان إبنة قدموس ملك طيبة) . وتروي الاساطير عنه أن زوس أراد أن يرى سيميليه قدرته بناء على طلبها فارسل عليها صاعقة قضت عليها وهي حامل بديونسيوس وعندما انتقل جنينها الى فخر أبيه حيث قضى ما بقي له من مدة الحمل ، ثم وضعه أبوه بجبل تيرا حيث قامت بحضانته إحدى حوريات الماء ، ولما اشتد ساعده تعلم زراعة الكرم من سيلين الذي كان بمثابة نصف إله ووظيفته اضحاك الالهة كمهرج (انظر وافي 45 :1979) .

ونرى أن الإله ديونسيوس يكاد يتطابق في بعض صفاته مع الإله ادونيس وأن اسميها يقتربان من اشتقاق واحد . . وأن أصلهما التموزي هذا هو الذي وحدّ صفاتهما وإن لم يوحِّد اسطورتهما كلياً (شكل 64) .

شكل (64)

الإله ديونسيوس :

إله الخمر عن (Larousse 1995)

5-قصص عصر البطولة القرطاجي

(أبطال صور)

تعرفنا بأيقاع متساوق على الأبطال الملحميين أو الاسطوريين لكل مرحلة من مراحل التاريخ الكنعاني . ويقينا أن الآثار تخبيئ الكثير من قصص هؤلاء لكننا ، للأسف ، لا نملك الحيلة للوصول اليها .

إن ارتباط (صور) كأم لمدينة (قرطاج) على الساحل التونسي كان له الأثر البعيد في ظهور قصص حول هذا الارتباط ، وقد ظل الحبل السري بين صور وقرطاج قوياً حتى القرن الخامس قبل الميلاد حين تغيرت العقائد الدينية الصورية في قرطاج وظهرت عقائد قرطاجية ذات طابع محلي .

ولا شك أن فجر قرطاج ظهر من صور وظهرت معه اساطير تاريخية تحمل ذكرى الولادة هذه وتشير الى الأفواج المتدفقة من صور الى سواحل تونس وتأسيسها لهذه المدينة .

إليسا: مؤسسة قرطاج

لعل أشهر اسطورة تاريخية ترتبط بقرطاج هي الأسطورة التي تم تأسيسها على يد الملكة الصورية الأصل(إليسا Eliasa) .

وتتلخص حكاية (إليسا) في أنها كانت مع اخيها (بجماليون) أبناء الملك الصوري (متان الأول)(مطو الأول) الذي حكم في النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد ملكاً على صور ، وكانت (إليسا) تتمتع بذكاء وجمال نادرين فتزوجها عمها أو خالها الكاهن الأكبر (عاشر باص) الذي كان بمثابة نائب الملك وصاحب الكنوز الكبيرة التي أخفاها في مكان بعيد عن منزله . وهو كاهن الإله ملكارت .

كان (بجماليون) طامعاً بعرش أبيه وكان خائفاً من حب الناس للكاهن الأكبر وطامعاً بكنوز عاشر باص ولذلك قام بقتله فما كان من زوجة عاشر باس أخت بجماليون إلا الهرب مع حاشيتها الى قبرص حيث تلقاهم كاهن جزيرة قبرص واختفى بهم .

وكان من العادات الدينية في قبرص ارسال الفتيات الى معبد الإله (فانوس) للتضحية ببتولتهن على يد الكهنة ، فاختارت (إليسا) ثمانين عذراء منهن ليكُن زوجات للشباب الذين انتقلوا معها من مدينة صور الى قبرص . وسرعان ما شدوا الرحال جميعاً الى رحلة مجهولة في البحر الأبيض المتوسط .

ورست سفن (إليسا) وأصحابها على سواحل بلاد البربر في تونس ، فرحت بها ملك البربر (يوباس) ، ثم قررت أن تبني مدينة في مكان نزولها ففاوضت ملك البربر الذي كان يملك الأرض ، وتقول الاسطورة التاريخية إن إليسا إختارت شبه جزيرة خارجة في البحر لها شبه كبير بالموقع الجغرافي الذي تأسست فيه مدينة صور ، وكان حولها خليج يسمى خليج عوتيقة (اوتيكا) المسمى باسم مدينة فينيقية قديمة كانت قد تأسست هناك قبل هذا الوقت بحوالي قرنين ، وقد فاوضت اليسا ملك البربر على ان تشتري أرضا بمساحة جلد ثور تملأوه ذهباً . . فلم يصدق ملك البربر هذا العرض ورافق فوراً فاعطته اليسا الذهب واخذت جلد الثور وقطعته على شكل سيور أو خيوط نحيفة جداً حتى حصلت على أرض واسعة .

وعلى هذه الأرض بنت اليسا مدينتها التي سمتها (قرت حدشت) التي تعني (القرية الحديثة) والتي صار اسمها فيما بعد قرطاج ، ثم أقبل سكان مدينة (عوتيقة) أو (عتيقة) واختلطوا بمواطنيهم الفينيقيين بعد ان طارت شهرة إليسا في الآفاق وعرفوا نفوذ أصحابها .

وقد اطلق الشاعر الروماني فيرجيل اسم (ديدو) أو (ديدون) على (إليسا) . وكان تأسيس المدينة حوالي 814ق .م .

وتستمر الأسطورة التاريخية لإليسا على لسان فرجيل في الايناذه (الاشنودة السابعة) لتقول لنا أن اليسا أحبت القائد الطراودي الذي قاد فلول الطراودين (ايناس) وهو ابن اسطوري من زواج الإلهة فينوس من أنخيس ملك طراودة ، لكنه هجرها فغرقت في الحزن . وخلال ذلك يقوم ملك البربر (يوباس) بعرض الزواج عليها فيكون ردها بين حزنها ورفضها بأن تقيم لها محرقة كبيرة عند ابواب المدينة وتقدم اولاً ضحايا كثيرة ثم تطعن نفسها منتحرة فوق حطب المحرقة ثم تحترق لتقدم نفسها ضحية لروح زوجها الأول الكاهن الأكبر والإله ملكارت . وبعد موتها ظلت تكرم كل عام في مكان موتها ، مثل إلهة ، حتى سقوط قرطاج (انظر دبوز 115-109 : 1964 ، الناضوري 1981:162-163 ، ميادان 40-37 :1981) .

لا تخلو هذه الأسطورة التاريخية من حقيقة وخيال معاً ويسهل علينا فرز الحقيقة عن الخيال . فلا شك أن الفينيقيين استقروا في قرطاج في هذه الفترة« فاسم بيجماليون الذي شاع استعمالهم في قرطاج وجد مكتوباً في النوش ، والوشائح النبوية التي تربط قرطاج بصور ، أكدتها قصة تلك البعثات التي كانت تنطلق كل سنة من قرطاج ، لتحمل الجزية الى الوطن الأم بمناسبة عيد ملكارت » (ميادان 40 :1981) .

ويقول المؤرخ اليوناني العلماني (أبيان) في القرن الثاني الميلاد ي : إن قرطاج انشئت بجهود مهاجرين سياسيين من فينيقية هما زوروف Zourf وكرشيدون Carchedon والاسم الأخير يذكرنا باسم قرطاج ، لكن هذا لا يمنع من لجوء اليسا الى قرطاج هاربة من تسلط بجماليون مع مجموعة من المعارضين لحكمه في جزء من اسطول صور .

كذلك تبدو لنا حادثة جلد الثور رمية أكثر من كونها واقعية وكذلك ظهر ايناس كعشيق لأليسا . وهو يحمل ذلك النسب الأسطوري من فيتوس ليكون سبباً في نهايتها .

أما المحرقة او المذبح الذي انتحرت فيه إليسا فقد عثر على ما يؤكد وجوده هو ومرفأ (سلامبو) وهي امرأة فينيقية اخرى شبه اسطورية كتب عنها الراوئي الفرنسي الشهير فلوبير رواية باسمها .

ويمكننا ترتيب الأسطورة التاريخية لأليسا كما يلي :

متان الأول (مطو)
ملك صور حوالي 840 ق.م

↓

عاشر باص + اليسا
-(كاهن ملكارت) أميرة صور
نائب الملك(عمها)
- إيناس (ابن أنخيس ملك طراودة من فينوس) .
-يوباس (ملك البربر)

بجماليون
الأمير الذي قتل عاشر باص
وصار ملكاً لصور بعد أبيه

وإذا عدنا الى إيناذة فرجيل فسنرى أن السبب الرئيسي في موت إليسا التي تسمى (ديدو) أو (ديدون) هو هجران ايناس للملكة ومغادرته لمملكتها .

وإيناس هو الأمير الطراودي الشهير الذي قاد الفلول المتبقية من الطراوديين بعد خسارتهم في حرب طرودة عبر البحر الابيض المتوسط في رحلة مغامرات تشبه رحلة يولسيس ليصل الى أرض هسبيريا (ايطاليا) . ويكون هناك سلالة من الملوك يؤسسون فيما بعد مدينة روما التي تتطور وتسيطر على كل أرض ايطاليا ثم تكون الامبراطورية الرومانية . ولكن ايناس هذا يصادف في رحلة التيه التي بدأ بها من طراودة مدينة قرطاج وتستقبله ملكتها وتقع في هواه ثم تتزوجه ،لكن الآلهة تحثه بعد أن استرخى في أحضان ديدو (أليسا) ومملكتها على المضي الى هدفه فيغادرها فجأة وتحاول منعه لكنها تفشل في ذلك ، فتهيء محرقة كبيرة تضع فيها كل ما تبقى من إيناس ، سيفه وثيابه وصورته مدعية بأنها ستحرق ما يخصه بينما سفينته تستعد للرحيل . ثم تصعد المحرقة وتسل سيف ايناس وتخرق من غمده وتشعل النار وترمي نفسها على الفراش قائلة :

« إنني أسلم الآن روحي ، وقد أنهيت عملي ، فبنيت مدينة جبارة وانتقمت لزوجي من قاتله ، ولو لم تأت سفن الطراوديين الينا لسعدت بل لتمت لي السعادة .ثم قبلت الفراش واجشهت قائلة» هل أموت من غير أن يثأر لي ؟ ومع ذلك فلأمت ، وسيشاهد رجل طراودة هذه النار من البحر الذي يمخره فيحمل معه شؤم الموت» . (فرجيل :1978 98) .

وهكذا يبدو لنا السبب المباشر والوحيد لموت إليسا هو غرامها الشديد بإنياس هجره لها دون أن يكون هناك ذكر لملك البربر وطلبه الزواج منها ورفضها ذلك ثم انتحارها .

ويبدو لنا إنياس رمزيا وكأنه (البحر المتوسط) الذي تنتقل سيادته من قرطاج الى روما وهو ما شهده التاريخ فيما بعد .

الفصل الرابع

اللاهوت الكنعاني

(دراسة في المعتقدات الدينية الأوغاريتية والفينيقية والقرطاجية)

إناء كنعاني يحتوي على رموز وآلهة ويحاط بثعبان دائري يقترب فمه من ذيله عن 190 : Harden 1962 .

إن قدرنا أن نتحول الى العدم ، وكل ذلك بسبب الذهب ومن أجل أن نملأ دوماً منضدة الإله . الفناء مكتوب علينا واضطهادنا هو من أسرار الآلهة . نحن أمام الإله مثل ذرة غبار مادام يحكم علينا بالشقاء ويقرر عدم الكلام أن قدرته كقدرة عشرات الآلاف من الجواميس» . من ملحمة اللآلي للكاهن ايلي ميلكو حوالي القرن 14 ق.م .

المؤسسة الدينية الكنعانية

كوّن الكنعانيون على طول تاريخهم مؤسسة دينية متماسكة تبدأ من السماء حيث الآلهة ومجمعها ثم الأرض والأماكن المرتفعة كالجبال بشكل خاص والمعابد ثم الكهنة ورجال الدين الذين كانوا وسطاء بين الآلهة والناس .

ورغم أن كل مدينة كنعانية أو فينيقية تتمتع بمؤسسة دينية مستقلة لكن هناك ما يجمع هذه المدن على جميع مستويات هذه المؤسسة من آلهة ومعابد وكهان .

كانت العلاقة بين السماء والأرض تتجسد بشكل خاص ، في العبادة الكنعانية ، من خلال مظاهر الطبيعة كالأمطار والعواصف والبرق والرعود والخصوبة والجفاف . وكانت هذه المظاهر تنعكس على العلاقة بين مستويات المؤسسة الدينية .

لقد لعبت دورات الخصب والجفاف السبعية دوراً مهماً في تحديد هذه العلاقة وتحويرها بما يتناسب مع ايقاع الطبيعة وكانت الآلهة تتمظهر على وفق هذه الايقاعات .

1-الآلهة

حذف اللاهويتون القدامى ، لأسباب سياسية ودينية ، الآلهة القديمة ثم جعلوا من بعضها تابعة للإله ايل أو بعل .

ومنذ ظهور الأله ايل بدأت شجرة الآلهة الكنعانية بالظهور قوية وتحاول ان تغطي جيل هذا الاله المرتمي في أحضان الطبيعة الرطبة . أما جيل الإله بعل فجيل تتصارع فيه قوى الخصوبة والجفاف .

كان الإله يعبر عن الطبيعة ، وكان الإله الذكر هو هذه الطبيعة أما الإلهة الأنثى فلم تكن سوى إعلان لقوة الإله الذكر تظهر خواصه وتقابله ، وكما أن البعل كان الإله العظيم وكذلك كانت عشتروت الإلهة الكبرى كانت البعلة تمثل القمر ، وليعل السمائيم الهة توازيه يدعونها (ملكة هالسمائيم) ومن الازواج المذكورة في الكتابات الفينيقية بعل صيدون وعشتروت في صيدا ، وتموز وبعلة جبل في جبيل (انظر اليسوعي 1982 : 45) .

وكانت الآلهة تظهر احياناً كثالوث في مرتبة عليا يسير على بقية الآلهة مثل ثالوث صيدون (البعل وعشتاروت واشمون) وثالوث جبيل (ايل وتموز وبعلة) وثالوث صور (البعل وعشتاروت وملكارت) وغيرها .

أو أن هناك ثالوث بنات بعل(ارصاي ، بدراي ، طلاي) أو الآلهة السبعة من معاشرة ايل وبعليتس هكذا .

كذلك ظهرت آلهة مزدوجة مثل (شهار وشاليم) (نجمة الصباح والمساء) وريح ونيكال الها القمر ، وبعل وعناة وادونيس وعشتروت وغيرها .

وكانت الآلهة تهبط من السماء وتحل في الأحجار والتماثيل المخصصة لها أو في الجبال المسماة باسمها مثل جبل حرمون وجبل صنون . ، . الخ . وربما كان لها مقرات مائية مثل منبع النهرين ومغارة افقا وغيرها .

وكان الإله بمثابة الأب بالنسبة للملك ، وتحولت اسماء الالهة الى القاب كبيرة مثل (إيلي – الهي) (بعلي= سيدي) (أدوناي =سيدي) .

2-المعابد الكنعانية

تركزت اماكن العبادة الكنعانية القديمة في نوعين من الاماكن هي : هياكل العراء ، والاماكن المرتفعة (المعليات) . ثم صارت المعابد والساحات وبعض الجبال وربما ساحات القصور اماكن للعبادة . وكانت لفظة قادش Qadesh تعني (مكان مقدس) . أما لفظة بهل Phl فكانت تعني مكاناً مرتفعاً وربما عنت التماثيل الفضية للآلهة التي كانت تقام لها طقوس التبخير (بهلوPihilu) .

وكانت المعابد الكنعانية تتعدد وتتنوع خصوصاً تلك التي كانت للإله (بعل) حيث يعتبر في البداية مسكناً له ولقواه ولكن هذه القوى سرعان ما تنفصل عن بعضها ويصبح بعل ظاهراً في عدة أشكال حسب المدينة أو الظاهرة .

كان المعبد في بدايته الأولى في العراء تمثله حجرة منتصبة مشحونة بالقداسة تدل على الإله وخصوصاً إيل . وتمثل هذا في رأينا امتداداً للعبادة الميغاليتية التي ظهرت مبكرة في بلاد الشام منذ النيوكش في الألف السابع قبل الميلاد .

ثم تطور المعبد الى حجارة الاماكن المرتفعة ، ثم وضعت الحجارة في غرفة مربعة . وكان لهذه الغرفة المربعة (المكعبة) باب واحد فقط . ثم تطور بناء هذا الصرح أو المقصورة أو الغرفة المكعبة الى بناء بعدة غرف وأصبح المذبح في وسط القاعة الكبيرة وعلى هذا المذبح يتم تقديم القرابين للآلهة .

ولم يكن بناء المعابد لعبادة الإله بل لحبس قواه بين اربعة جدران وسقف لقد ساد الاعتقاد بضرورة بناء معبد باسم الإله بعل من أجل ضبط تصرفاته وحبس قواه أكثر مما هو من أجل عبادته ، فكانوا يعتقدون بامكانية وقف المصائب عندما يكون بالإمكان حصرها في مكان معين» (ميديكو 1980 : 38) .

بيت إيل:

وهو أبسط أنواع المعابد التي تنحدر منذ الماضي البعيد لأرض الشام ، فهي عبارة عن نصب أو حجارة منحوتة منتصبة في العراء كان يرى فيها المتعبدون مكاناً حلت فيه الذات الإلهية « واكثر ما كانوا يختارون لعبادتهم حجارة الرجوم ولا سيما تلك التي رأوها ساقطة من الهواء على شكل شهب نارية فيحدونها لذلك هبة سماوية ، وإذا كانت هذه الرجوم مركبة من مواد بركانية ذات لون أسود وتوفر عددها في لبنان فلذلك شاعت عبادتها في افحائه ، ومما كان يزيد في اعتبارها عند القوم أن يروها على شكل مخروط لما يجدون في هذا الشكل من الرموز الدينية ، (اليسوعي 1982 : 44) .

وربما كان إيل يعبد ايضا على (جبل إيل) الذي يعتقد أنه جبل حرمون .

أشيروث Asheroth

وهو النصب المقدسة (السواري) فوق المرتفعات والتي كانت بمثابة المعابد الأولى القديمة للإلهة الأنثى (عشيرا) ، وكانت الاماكن العالية توصف دائماً بـ(العارية) وتقع عادة في اعلى التلال القاحلة ، وكان أبناء عشيرا يعبدون في الساحات .

وكانت أماكن عبادة عشيرا بشكل عام تسمى (الأوقاف المقدسة) .

بيت اللعنات

وهو مكان مضاد للعبادة ، مضاد للمعبد حيث يتم فيه التجديف على الآلهة أو القيام بأعمال مخالفة لطقوس (ايل) و(عشيرا) وقد ورد ذكر هذا البيت كثيرا في ملحمة الملك الكبير .

وربما تحول بيت اللعنات الى مكان لعبادة إلهة مضادة للآلهة السائدة ، مثل عبادة بعل في مقابل عبادة إيل . . .

الهياكل:

وهي أبنية متطورة قياساً الى هياكل العراء . وبعضها له واجهة من الأعمدة ويصعد اليها بدرج وتحتوي في مكان بارز على تمثال الإله المعبود كما هو واضح في هيكل مدينة جبيل ببلوس المنقوش على قطعة نقدية تعود الى القرن الثالث الميلادي شكل 65 ،

هيكل فقرا : وهو هيكل عظيم يقع في قلعة فقرا في لبنان ، يتكون من صخرة جعلت اساس الهيكل وابعادها 34× 14م . وفيها بقايا أعمدة وأركان منحوته في قلب الصخر ، وامام الهيكل ساحة رحبة الجوانب (38×30)م . يطل على قسم منها الصخر المنتصب فوقها عمودياً . ويبدو هذا الهيكل المبني على قمة جبل بشكل مهيب جداً .

وفي شمال الهيكل برج عظيم مربع الشكل كان ينتهي سابقاً ببناء مخروطي وهناك قرب الهيكل بناءان احدهما مربع والاخر مستطيل .

هيكل أفقا : ويقع عند رأس نهر ابراهيم ، ويعتقد أن هذا الهيكل مبني لإكرام (زهرة أفقا) التي هي عشتروت ، حيث يحج اليها الناس قديماً من كل بلاد الشام . وما يميز هذا الهيكل عن هيكل فقرا أنه بني على ركائز متدرجة . ويبدو أنه كان هيكلاً لممارسة طقوس من الجنس المقدس .

وقد هدم الهيكل مرتين أحدهما في عهد قسطنطين الكبير والأخرى في عهد ثاودسيوس الكبير . وكان قبلهما مكاناً لممارسة الشعائر السنوية الفينيقية .

هيكل عمريت (ماراتوس) : ويقع في سوريا . ويتكون الهيكل من مقصورة تقوم على قاعدة مرتفعة بمساحة 5م2 وفي أعلى المقصورة افريز .وحول هذه المقصورة فناء مسوّر مساحته 50م2 (انظر عصفور 1981 : 106) .شكل (66) .

شكل (65)

هيكل مدينة جبيل(ببلوس) منقوش على قطعة نقدية تعود للقرن الثالث الميلادي عن (Moscati 1988: 48)

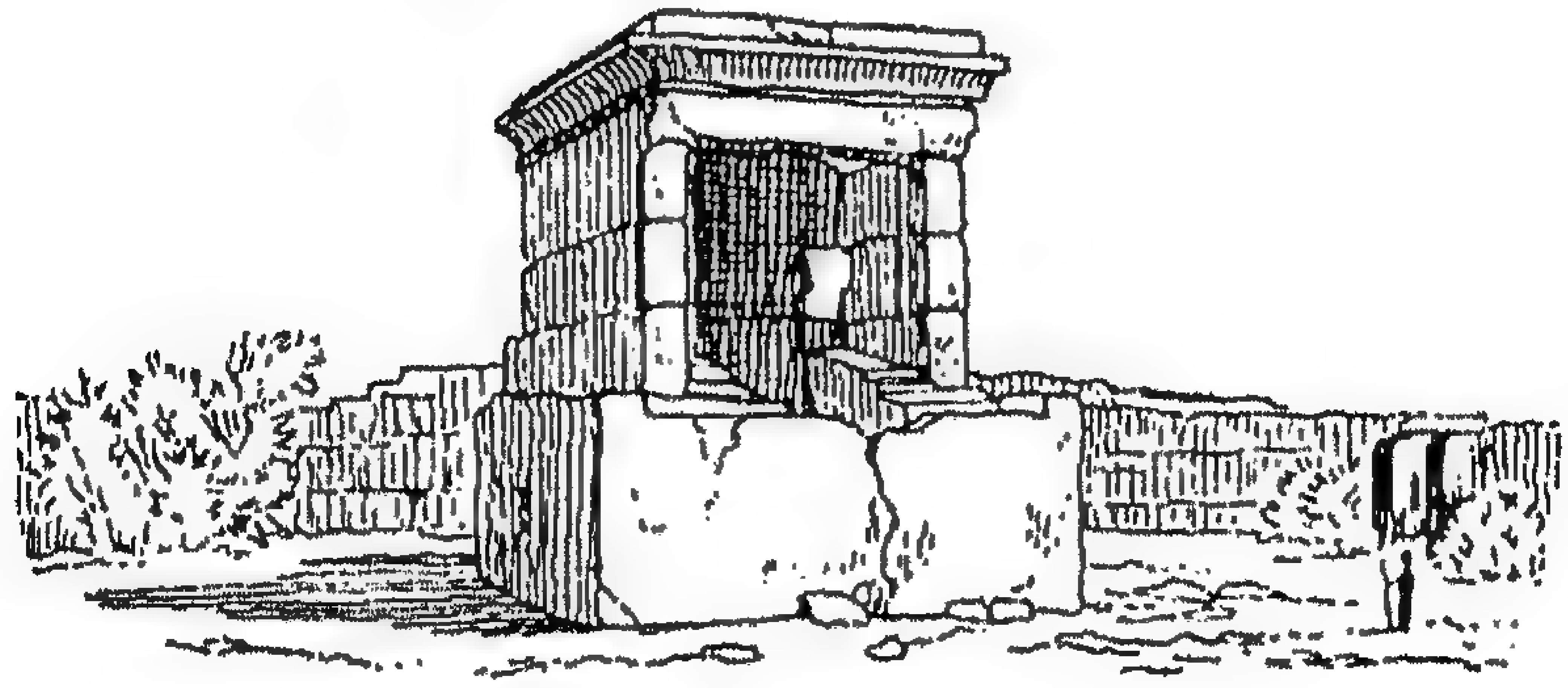

شكل (66) هيكل عمريت

هيكل دير القلعة

وهو هيكل لعبادة البعل بنيت على بعض اجزائه كنيسة ومساحته المستطيلة تقف في مقبعتها مجموعة من الأعمدة المحطمة ويحيط به الدير العتيق والبناء الجديد .

ومخطط الهيكل كما هو موضّح في الشكل بسيط للغاية (شكل 67) .

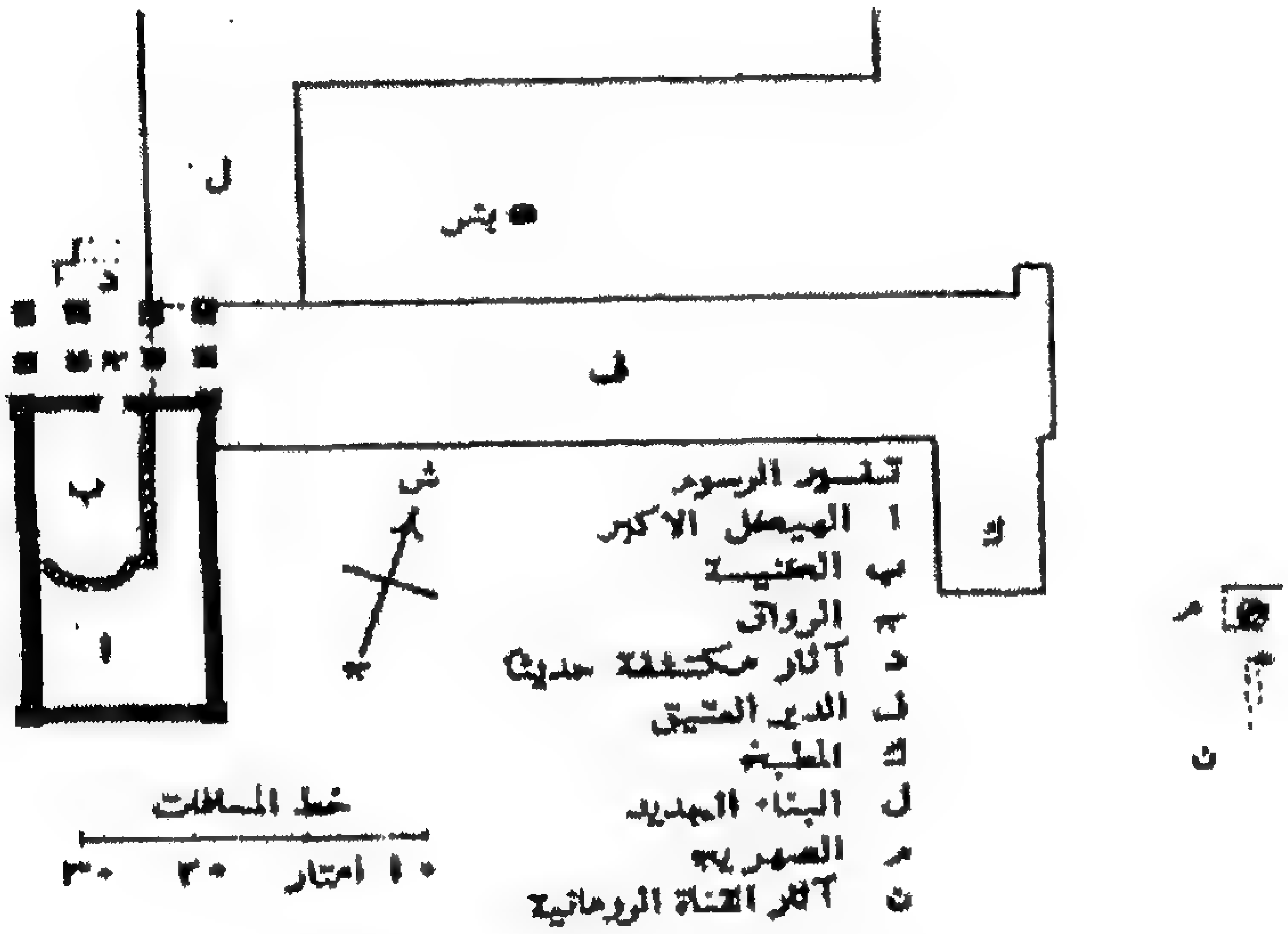

رسم هيكل البعل في دير القلعة

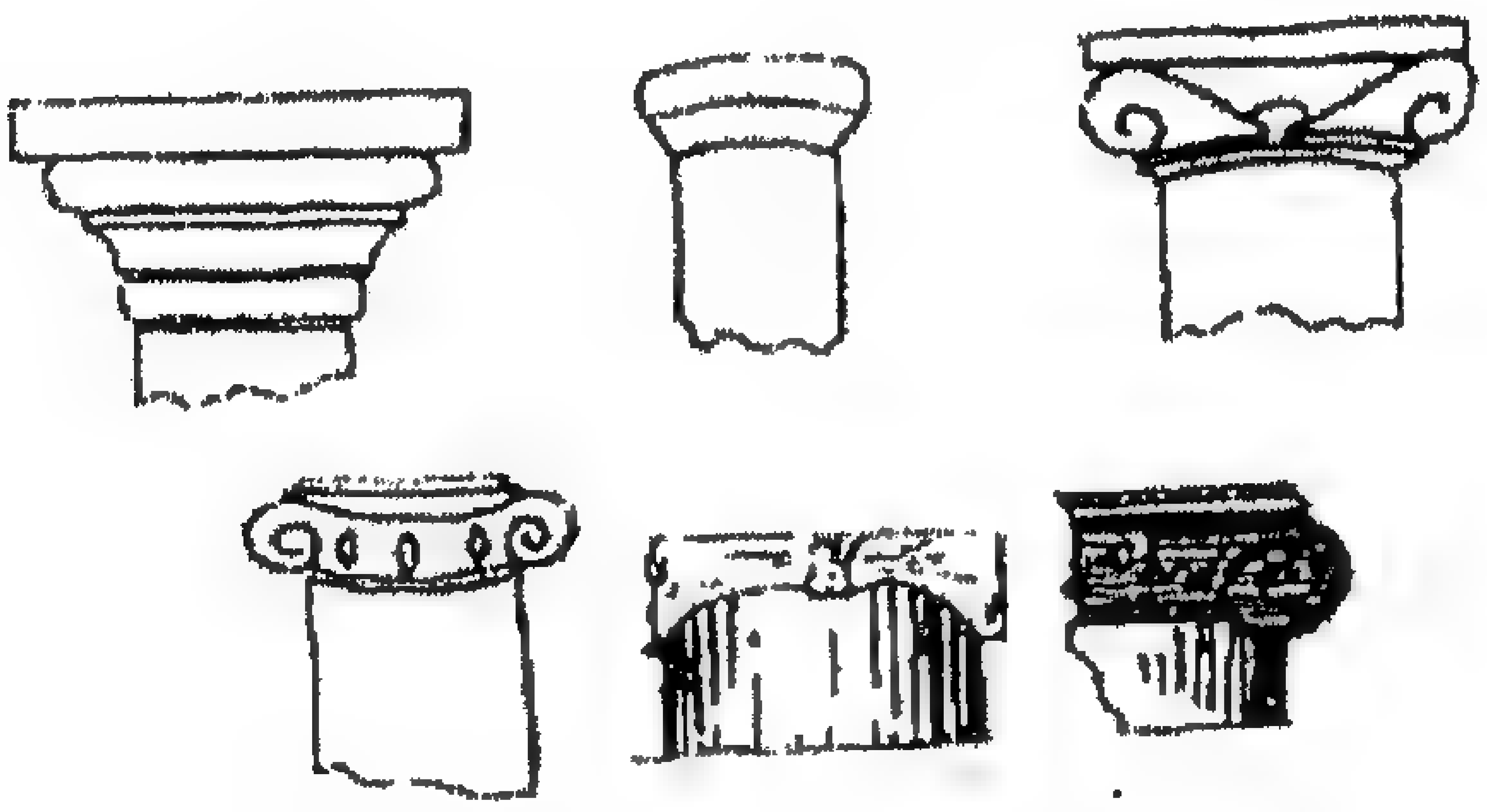

شكل (67)

هيكل ديرالقلعة في لبنان (عن اليسوعي 1982)

هياكل قرطاج:

لم تختلف هياكل قرطاج عن الهياكل الفينيقية الأم . فقد عثر على هيكل أشمون عند المرتفع المطل على المدينة وعلى هيكل بعل حمون وتانيت قرب البحر قرب مرفأي المدينة .

وتتكون الهياكل القرطاجية بشكل عام من ساحة مربعة الشكل محاطة بجدار ويقوم في وسطها المصلى الذي هو عبارة عن مقصورة ناووسية الشكل مكعبة مبنية بالحجارة الضخمة وتعلو واجهتها الرئيسة الافاريز والزخارف المختلفة .

وهناك قرب المصلى وداخل الجدار ينتصب عمود منفرد يحمل تمثال الإله المعني .

ويحتوي فناء الهيكل على حوض الوضوء(ميضأة) وقربها بئر لاستخراج الماء ، أما جدار المعبد فيحتوي على مذبح ، أو مذابح عدة مرتفعة . وتتصل بالسور أيضا مواضع خاصة بالكهنة(انظر ميادان 1981 : 68) .

معبد المسلات في جبيل:

وتظهر بعض المعابد وهي حاوية على قطع من الحجارة الطويلة التي تشبه المسلات مثل معبد مدينة بيبلوس في الألف الثاني ق .م (1900ق .م قريباً) (شكل 68) .

كما عثر على معبد للإله (بعل) في مدينة اوغاريت يعود بناؤه الى القرن الرابع عشر ق .م . (انظر علام 1992 : 201) .

المذابح

كانت هناك مذابح كبيرة في العراء أو في مداخل المدن لتقديم الضحايا الحيوانية أو البشرية ولعل اشهر المذابح البونية الكبيرة هو مذبح سلامبو عند ميناء قرطاج والذي كانت ترتفع عليه اعداد كبيرة من النصب التي تقوم عند النواويس وتشبه هذه النصب المسلات أو الأعمدة المستطيلة الناتئة عند المصريين (انظر ميادان 1981 : 96-95) .

شكل (68)

معبد مدينة جبيل (بيلوس) في الألف الثاني قبل الميلاد

3-الكهنة

كان رجال الدين الكنعانيين يتمتعون بمركز اجتماعي رفيع وكانون يقومون بادارة الشؤون الدينية في البلاد ، أي في كل مدينة كنعانية مستقلة ، ولا شك أنهم كانوا ينتظمون في مراتب ودرجات .

كان الكاهن الاكبر عادة هو كاجن اله تلك المدينة وهو الذي يعين الملك . وتخبرنا آثار اوغاريت أن الكاهن الأكبر في عهد الملك الأكبر (ربما كان ابيمالك) كان (ايلي ملكو) الذي قام بكتابة ملحمة اللآلىء حول هذا الملك وقد اعتبره مجرماً في حق شعبه وخارجاً على قانون الإله (إيل) وأنه باع نفسه لبعل زعيم الأبالسة ولذلك استحق الموت رجما وستذهب روحه الى جهنم ، حيث تعيش في الظلام بجوار حارس الاموات ودليل المتوفين وهكذا انتهت مأساة هذا الملك الذي أراد(نقمد) خلفه كتابتها لتلق دروساً الى أبناء عائلته عبرة وعظة (انظر ميديكو 1980 : 11) .

وكان الملك المستبد يقوم أحياناً بالاستيلاء على وظيفة الكاهن الأكبر ، فالملك الاكبر كان يقوم بأعمال الكاهن الأكبر ايلي ملكو ولكنه في حقيقة الأمر كان يستغل منصبه ليصلي الى آلهة كاذبة وليسرف في استعمال (كأس الالوهية) للعرافة وجمع الذهب وغيرها .

وعند البونيين كان الكاهن يعرف باسم (كوهن) وكان الكاهن ينتمي الى واحدة من المراتب مثل (أمير كهنة ، كاهن من المرتبة الثانية ، زوج عشتارت . .الخ) .

وكانت الكهانة عند البونيين وراثية وكانت لها سلطة قوية ولكنها محصورة في المجال الديني وليس السياسي .

كان القاص البوني يلبس ثوب كتان شفاف وطويل يمتد من كتفه الأيسر شريط مستقيم ويربط الكاهن شعره برباط من المعدن النفيس ، واحياناً يغطي رأسه بقبعة عالية تشبه الطربوش (انظر ميادان 1981 : 99) .

والكاهنات في قرطاج يغطين رأسهن بوشاح ويرتدين ملابس طويلة . وكان هناك من يتبع الكهنة والكاهنات مثل الحلاقون والموسيقيون وحملة المصابيح والمشاعل وغيرهم .

2-إيل وشعبه المختار: شعب السيد

كانت الإلوهية عند الكنعانيين تعني عبادة قوى الطبيعة المخصبة بشكل خاص . ورغم أن الكنعانيين وبعدهم الفينيقيين والبونيين عبدوا آلهة مختلفة إلا أن الإله ايل كان أكثر الهتهم تقديساً ، فقد كان « الشعب الكنعاني يؤمن بالآلهة ايماناً عميقاً كما يؤمن بإله اكبر ، رب الأرباب يدعى إيل . . إنه إله غير شخص خالق السماء والأرض وجميع البشر وهو بنوع خاص«إله الشعب المختار » (شعب إيل) اي(الكنعانيين أو شعب السيد « ولفظه السيد هي لقب من القاب الإله ومثل هذا اللقب يشير بوضوح الى فكرة التوحيد الآخذة في الرسوخ ، إنهم يقولون (شعب إيل) أو (شعب السيد) ولا يقولون شعب الآلهة » (ميديكو 1980 : 180) .

إن الآلهة الكنعانية القديمة جداً قد حذفت من البانثيون الكنعاني وحورت اساطيرها (كما كشفنا عن ذلك) وذلك لاعتبارات دينية تتعلق ربما بمحاولة تكريس الإله ايل كإله أعظم واقدم وقد كان يسمى (أب الالهة والبشر) وربما لأسباب لاهوتية كان يقوم بها الكهان المنحازون لهذا الإله او لآخر وربما تعمد أحبار اليهود القدامى تدمير كل ما يدل على الماضي الروحي الكنعاني في اشاراته التوحيدية ليثبتوا انهم أول من قاد ثورة التوحيد وخصوصاً من خلال الإله ايل .

ورغم ذلك فقد رأينا غزارة ووفرة البانثيون الكنعاني الذي نرى أنه أساس الباثنيون الاغريقي دون أدنى شك ولا نؤمن بالفكرة التي تقول أن آلهة الاغريق هي آلهة آرية نزحت من عبادات الهند القديمة فهذا رأي ضعيف ومرتبك امام الاسانيد الجديدة .

كانت الآلهة الكنعانية تلمح الى عقائد التوحيد والتفريد والتعددية في الوقت نفسه ، فقد كنا نلمح التوحيد مع الإله ايل والتفريد(وهو رفع إله قومي على حساب الآلهة الآخرين) مع الإله بعل والتعددية من خلال تنوع مراكز القوى الإلهية في شجرة الآلهة الكنعانية .

ولا شك أن الآراميين هم أكثر ميلاً الى التوحيد من الكنعانيين ولذلك نرى أن اندماج الدين الآرامي مع الكنعاني في العصور المتأخرة أدى الى ظهور ثالوث الهي قوي مكون من (بعل هود واترغاتس وسيميوس) الذي كان بمثابة (الأب والأم والابن) والذي شكل

الأرضية الأساسية التي قام عليها الاقنوم المسيحي (الأب والابن والروح القدس) حيث استبدلت الام بالروح القدس وهو اقنوم توحيدي في نهاية الأمر .

كانت عبادة ايل تميل الى المثل العليا ذات الطابع السماوي ، أما عبادة بعل فقد كانت تميل الى الطابع الارضي والحياة الحسية الدنيوية المرتبطة بالعنف والقوة والاباحية رغم أن (عناة) كانت تخفف منها بسبب ميلها الى المثل العليا والحق والأمومة والزواج وغيرها .

كان الاتجاهان متعارضين ويصعب تصالحهما« من هنا كان من الصعب جداً على الاتجاه الإيلي ان يتعايش مع الاتجاه البعلي- العشتاري الأقدم عهداً والارسخ في التقاليد . وكان من المستحيل من جهة أخرى على بعل وعشتارت أن يتحولا الى مجرد وكيلين لخصب الطبيعة متنازلين تماماً عن مكانتهما السابقة التي تبوءاها منذ عهد المستوطنات الينوليثية الاولى . وكان الصراع ينتهي لصالح ايل في فترات أخرى ومناطق أخرى . وبين الشد والجذب كانت تسود في بعض الاحيان تسوية دينية تجمع الالهين في بانثيون واحد في حالة تعايش ووئام » (السواح 1993 : 347) .

لقدانتقلت فكرة الشعب المختار من قبل ايل الى الفينيقين الذين هم الشعب المختار من قبل أدون الذي هو مرة أخرى يعني السلام أما اليهود وقبلهم العبرانيون فقد تأثروا بهذه الفكرة البسيطة التي تشير الى حميمة كل شعب مع الهه القومي واصبحوا الشعب المختار من قبل يهوا : إله العبريين القومي ، ولأنهم استخدموا يهوا فيما بعد كتعبير لاحق يدل على الله بصفة عامة لذلك سرقوا وشوهوا فكرة الشعب المختار من قبل الإله القومي المعين وأصبحو يوهمون الناس (بعد أن ساد التوحيد في المسيحية والاسلام) أنهم شعب الله المختار ، وهم ببساطة شعب إلههم القومي القديم يهوا وهو إله عاصفة لا يختلف في صفاته عن بعل وحدد وانيل وغيره من الهة الطقس التي كونت بصورة عامة فكرة التفريد لا التوحيد .

لقد خضع اللاهوت الكنعاني الى تبدلات جوهرية منذ نشأته وصولاً الى القرون الميلادية الاولى . فبعد أن كان لاهوتاً قديماً لا ينفصل عن اللاهوتين الآرامي والأموري ، كان أول تحولاته من خلال سيادة اللاهوت الإيلي الذي إستمر فترة طويلة حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حيث بدأ اللاهوت البعلي في اوغاريت وراس شمرا هو الذي يظهر ثم يجتاح المدن الفينيقية ويسود فيها ، ومع رسوخ تقاليد اللاهوت الفينيقي شهد الدين

الكنعاني تبدلاً عميقاً في عقائده فقد سادت عبادة الإله بعل واشكاله وتراجعت في الوقت نفسه عبادة ايل واختفت عناة لتحل محلها عشتروت بسبب طغيان اللاهوت الادوني . . وارتبطت عشتروت مع بعل لتمثيل صورة الطبيعة المتبدلة الخصوبة .

وكان لاختلاط العقائد الدينية المجاورة والوافدة والغازية مع الدين الكنعاني في هذه المرحلة أثره الكبير فقد ظهرت أفكار دينية وطقوس وآلهة جديدة حورية وحيثية وآشورية وبابلية ومصرية بل وايجيه واستمرت هذه الاختلاطات تطغى مع وفود العقائد الفارسية ثم الاغريقية والرومانية حتى ذابت ملامح الدين الكنعاني في ما حوله من الأديان خصوصاً بعد اختلاطه مع الدين الآرامي . وكان هذا كله يمهد لظهور المسيحية التي نرى أنها امتداد للعقائد الكنعانية الآرامية أكثر منها للعبرية اليهودية وهو ما سنحلله تفصيلياً في كتبنا القادمة .

ان التبدلات التي شهدها الدين الكنعاني في الغرب (شمال أفريقيا) تشبه تلك التي شهدها في الشرق بعد انقضاء الألف الثاني قبل الميلاد . والتحول من اللاهوت الاوغاريتي الى اللاهوت الفينيقي .

ففي الغرب تحول اللاهوت الفينيقي(البوني) الى اللاهوت القرطاجي الذي أخذ بنظر الاعتبار التأكيد على الآلهة المحلية القديمة لشمال افريقيا وخصوصاً البربرية منها مثل (تانيت وحامون) بعد فشل الاسرة الماجونية وبدء مرحلة القضاة حوالي 480ق .م ،وكذلك بدأت العناصر المصرية الراسخة في الشمال الافريقي بالظهور في اللاهوت القرطاجي مثل ايزيس واوزيريس وحاتحور والإله (بس) الذي كان واسع الانتشار بسبب استخدام تماثيله الصغيرة كتمائم سحرية ضد الشر .

وهكذا انشطر اللاهوت القرطاجي الى قسمين الأول قديم محافظ يتمسك بعبادة ملكارت واشمون وعشتروت والثاني منفتح على الآلهة البربرية والمصرية .

ويشبه هذا التحول ما حصل بعد قرن أو قرنين من الزمان عندما إتصل القرطاجيون بالآلهة الاغريقية ثم الرومانية حيث كانت عبادة (أدونيس وعشتروت) هي الأكثر تسرباً من الديانة الاغريقية رغم جذرها الكنعاني القديم . . فقد كانت الأقوى بسبب طبيعتها المخصبة .

ومع ذلك فقد ظهرت عبادات غير الهية في كنعان مثل عبادة الأرض وعبادة الأموات وعبادة الأجداد ، ويرى ميديكو أن أغلب هذه العبادات دخلت الى كنعان من أصول غير سامية ومن الفلسطينيون في عهد الملك نقمد فقد كان الملك نقمد يمارس عبادة الاموات التي تقضي باقامة نصب تذكارية للملوك المتوفين في الغابات وكان الفلسطينيون يمارسون هذه العادة وكان أيضاً يفتش عن آلهة في جوف الأرض ليعبدها ، وعبادة الأجداد كانت تنتقل من الأب الى الابن فنار البيت لا تنطفيء ولا يموت الانسان فعلاً ماد امت طقوس عبادة الأجداد قائمة كما يرون في عصر نقمد (انظر ميديكو 1980 : 127-126) .

3-شكل الكون

كان الكنعانيون يعتقدون أن الأرض مغطاة بثلاثة اغطية مختلفة الطبيعة فأقر بها الى الارض هو الغطاء الخفيف المكون من الطل أو الندى الذي ربما عبرت عنه ابنة الإله البعل (طلاي) التي كانت تلقب بـ(ابنة المطر) . وكان هذا الغطاء يعبر عن رحمة السماء ونواياها الطيبة . أما الاغطية الأخرى فتسمى بالخشنة ويرد تعبير غطاء (رصاص الأمراض) ليعبر عنها وهي لحماية الأرض من الأمراض (انظر ميديكو 1980 : 38-37) .

وكانت ابنة بعل (ارضاي ، ارصي) هي التي تمثل الأرض وكان لقبها (بت يعبود دار) يدل على معنى الدوران والاتساع» وبذا يكون معنى اللقب الذي أصبح اسم علم-بنت العالم الواسع- ربما أن أختيها تمثلان ظواهر الطقس والنوء . لذا يعتقد أن لها نفس الوظيفة . ولكن هذا الافتراض لم يتأكد بعد . وانطلاقاً من معنى الاسم يفترض أنها تجسد هذا الافتراض لم يتأكد بعد . وانطلاقاً من معنى الاسم يفترض أنها تجسد الأرض الواسعة التي تستقبل اخصاب الإله بعل الممثل بالمطر» (اذزارد ،1987 : 170) .

ولكننا لا نعرف على وجه الدقة شكل الفضاء الخارجي والكواكب والنجوم في المعتقدات الكنعانية . . وقد ذكرنا بعضها وأكدنا أن الكنعانيين لم يهتموا كثيرا بالنجوم والافلاك ومداراتها لتركيزهم على دورات الخصب في الطبية .« ويمكن الظن أن الاوغاريتين أخذوا عن ميزوبوتاميا مفاهيم في علم النجوم إن لم يأخذوا عنهم في الفلك ، ولكننا لا نستطيع أن نذكر بهذا الشأن إلا تلميحاً خفياً الى سير الكواكب التي كانت معرفتها من اختصاص بنت ملك أسطوري اسمه دانيل Danelå (تاتوت 1988 : 136) .

ويذكر تاتوت أيضا أن السنة الفينقية كانت تتألف من اثني عشر شهراً قمرياً وليس بالامكان القول ما هو الترتيب الذي نتابع به هذه الأشهر تماماً ، ولكن الأسماء التي اعطيت لهذه الاشهر ، باستثناء واحد أو اثنين ، لا علاقة لها ببابل او آشور .

4-عقيدة التضحية

لا شك أن الكنعانيين عرفوا جميع أنواع الاضاحي النباتية والحيوانية والبشرية ، فقد كانوا يقدمون القرابين من الخبز والطحين الى تماثيل الالهة في الغابات . وكانوا يذبحون الحيوانات ويصبون الخمور فوق الاضرحة لتشربها الأموات في العالم الآخر . ومن المرجح أن دم الذبائح كان يهرق في المقابر (انظر ميديكو 127 :1980) .

ويكمن المنطلق اللاهوتي للتضحية البشرية بشكل خاص في الاعتقاد بأن الشخص المضحى به سيبقى حياً بعد الموت بل وسينال حياة سعيدة فهو أوفر حظاً من الاخرين لأنه سيكون مقرباً من الآلهة وكانت طريقة التضحية تتناسب مع طبيعة الإله المضحى له فالإله ملكارت كانت تقدم له الأضاحي حرقاً بالنار ، وكذلك الإله (بعل حمون) في الغرب البوني .

وعند الاوغاريتون كانت الأضاحي الحيوانية تذبح بإعداد سبق أو بمضاعفات السبعة . وفضلا عن الثور والخروف كانت تذبح الايائل والأدغال والظباء (انظر المرجع السابق) .

5-الإله والانسان

لم تكن علاقة الإله بالانسان علاقة المطلق البعيد بالكائن الضئيل بل كانت علاقة متداخلة . فقد عرفنا ان الانسان نشأ مع الجيل الاول من الآلهة بعد خلق الأرض والسماء . بل وعرفنا أيضا أن اسماء الآلهة الاولى هي التي شكلت اسطورة الانسان الأول وابنائه (آدم ، حواء ، قابيل ، هابيل ، شيت . . .الخ) وهو ما انتحله كتاب سفر التكوين في العهد القديم .

وكان الملك يحظى احياناً بتعبير (ابن ايل) مثل الملك الأكبر و(ابن داجون) مثل ملك دمشق . وكانت كلمة ايل مقدسة لا تتزعزع وبمثابة الحكم القضائي حتى أن ايل إذا ما نطق بخبر سيء فلا يمحى إلا بطقس تطهيري .

الإله يقود الانسان ويشير له بيده نحو ما يجب عمله ، والإله يمسك الموت بيديه كما يمسك الدواء الشافي بأصابعه .

كانت أعضاء الجسد البشري كلها معرضة للدمار ، وكانت الاحشاء الداخلية والامعاء هي مركز الحياة العاطفية ولذلك تخرج الشكاوي من الاحشاء وكانت الصلوات درع الاحشاء تقيها من المرض .

وكان الدم هو جوهر الانسان ودلالة حياته ولامكان للروح بل هي تحتوي الانسان .

6- الأصنام

برغم أن الكنعانيين كانوا يقيمون لبعض آلهتهم تماثيل ونقوشاً ورسوماً ويجسدونهم في هيئة الانسان مع اضفاء هيبة إلهية خاصة من خلال رموز ذلك الإله الذي تكمن قوته في الرموز . رغم ذلك كان الكنعانيون ينفرون من عبادة الأصنام أو التماثيل بذاتها .

ويندر وجود تماثيل صخرية أو حجرية للآلهة بل أن هناك تماثيل معدنية صغيرة كانت توضع في المعابد وهناك نقوش ورسوم . أما الاوثان الحجرية فتكاد تنعدم ولذلك فانهم كانوا ينفرون من عبادة هذه الأوثان لذاتها .

وكانت الأصنام أو الأوثان هذه على نوعين :

أ- البسل Psl وهي اصنام فينيقية تقوم عبادتها في الغابات وقد تعلم الكنعانيون هذه العادة من الفلسطينيين في عهد الملك الأكبر (ربما ابيمالك) حيث كانت تقدم لها الأضاحي والذبائح .

ب-الألل Ell وهي أصنام عبرية كان يقيمها العبرانيون في الغالب .

أما البهل (Phl) فتعني تماثيل الفضة وتسمى أحياناً (بوميلو Pumilu) ، أي تماثيل من الفضة بوزن ثلاثة مكاييل وهي تماثيل الآلهة الكنعانية المعبودة وليست اصناماً ، وهي اللفظة التي أطلق عليها اليهود في التوراة ترافيم Teraphim ، وربما دلت أيضاً على آلهة عائلية أو تماثيل منزلية . (انظر ميديكو 80 :1980) .

7- اللعنات والفأل السيء

كانت اللعنات قوة سيئة التأثير على الإنسان من قبل الآلهة وكانت القوة المقابلة للعنة هي (الشفاء وقوة الحياة) أو (البعث أو الانتصار) وكانت المطالبة بالمبعث واردة ي حالة الموت فقط . وكان الإنسان يحاول الشفاء من أي داء أو الانبعاث خلاصاً من أية علة ناجمة عن لعنة . (انظر ميديكو . 89:1980) .

وكان (بيت اللعنات) مكرساً للعن بعض الآلهة ، مثل ايل حيث يحرص بعل على ذلك .

أما (تجربة الآلهة) فكان كل إله يجرب عباده لمعرفة ايمانهم به وهو نوع من الامتحان عند الشدائد .

وكانوا يؤمنون بالفال الحسن والفأل السيء ويعتبرون انجاب الأبناء فألاً حسناً ويحذرون من تقديمهم كنوز للآلهة إلا في ظروف استثنائية جداً وخصوصاً عند الغرب البوني .

وطبيعي أن الرقم (7) كان مقدساً عند الكنعانيين فهم يقدمون سبع ذبائح وهناك سبع سنوات رفاء سبع صافة وهكذا . . .

8-عقائد ما بعد الموت

كان الكنعانيون يؤمنون بوجود حياة بعد الموت ولكن فكرتهم عن هذه الحياة كان بسيطة للغاية ، فهي لم تكن مثل عقائد ما بعد المصرية وربما اقتربت من العقائد العراقية القديمة بشكل أقوى . . رغم أن الكنعانيين أضافوا لها فكرة اصطحاب الميت لأدواته وحاجاته بعد أن يدفن في القبر . .

وكانوا يرون أن الجسد يبلى في القبر ولكن الروح تتحول الى(ظل) يشبه الجسد ، وهكذا يمتلأ العالم الأسفل بحشود من الظلال المعتمة غير النورانية التي هي بمثابة ارواح الموتى .

ولا تمتلك معرفة تفصيلية لعالم ما بعد الموت أو العالم الأسفل وكيف تعيش فيه أرواح الموتى مع آلهة وشياطين العالم الأسفل . ويبدو ان الروح تنحصر معرفتها بالموتى وتستقر في قعر البحر وتسلك في الظلمات وفي أعماق الهاوية .

وكانت القبور القديمة التي عثر عليها في اوغاريت مبنية تحت القصور الملكية وهي تشبه الى حد كبير قبور الثالوس التي عثر عليها في كريت وربما كانت القبور الكنعانية هذه هي أصل القبور الكريتية لأنها الأقدم (شكل 69) .

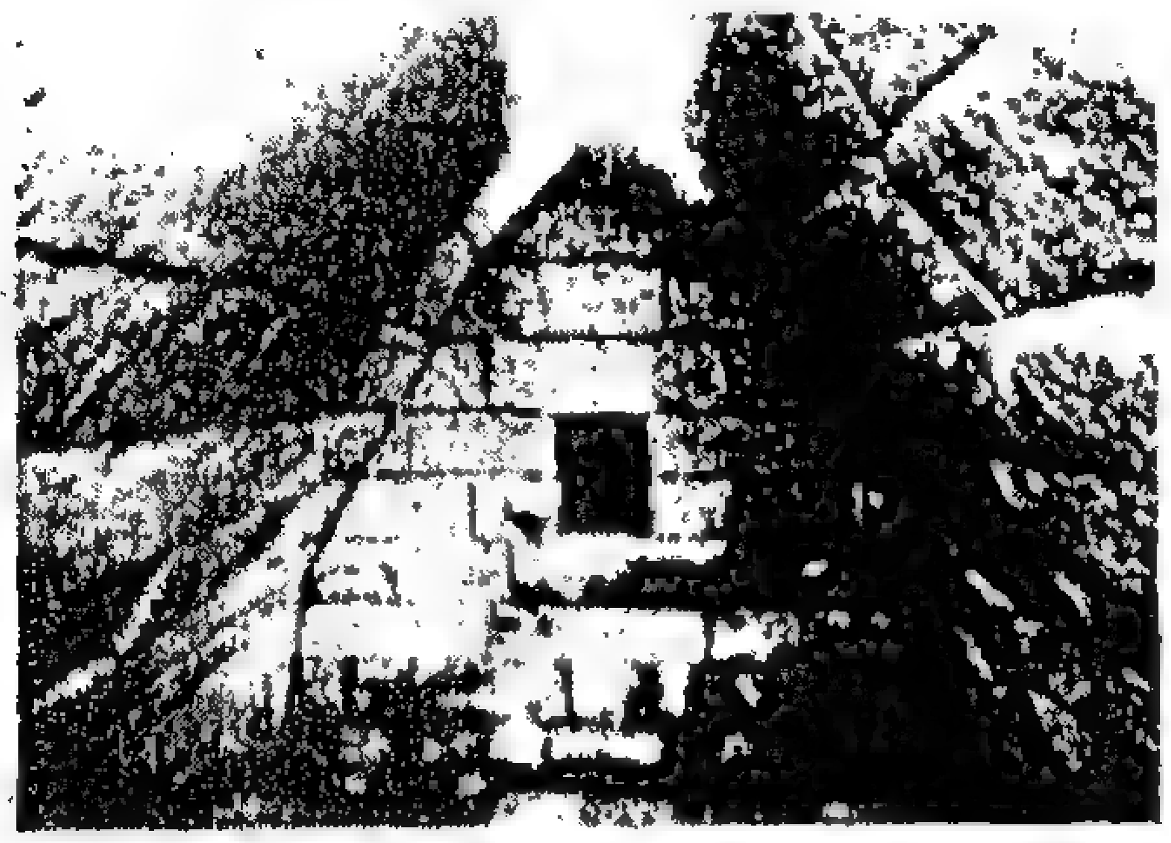

شكل (69)

مقبرة ملكية مشيدة بالحجارة -اوغريت. القرن 14ق.م.(عن ملام 1992:200)

ويبدو أن القبور ظلت في قرطاج محافظة على تقاليدها الفينيقية القديمة فقد عثر على قبور قرطاجية تعود الى القرن السابع على شكل حجر معدة للدفن وغطيت بسقف من البلاط المرصوف وكانت هذه الحجر محفورة في الصخر احياناً .

ثم نزلت القبور الى عمق الأرض حتى وصلت الى عشرين متر تحت سطح الأرض تؤدي الى جحرتين أو ثلاث تقع الواحدة منها فوق الأخرى ، وكانت الاجساد توضع في داخلها على مقعد او في ناووس بعد أن تلف بكفن . أو تمدد في نعش مدهون باللون الأحمر ، وقد تدفن مع الميت جواهره وآنيته ومصابيحه واباريقه وادوات زينته (انظر ميادان 97 :1981) .

وكان القرطاجيون يستخدمون نوعاً آخر من المقابر الهرمية الشكل متأثرين بالمصريين في ذلك . وكانوا يزودونها بالاحتياجات الرئيسية التي تلزم المتوفي وبتماثيل الآلهة والاقنعة الطاردة لقوى الشر (انظر الناظوري 81:214) (شكل 70) .

• • •

كانت الروح تسمى (برت) عند الكنعانيين وكانت معزولة عن الجسد ، رغم أن بعض النصوص توضح أنها الإناء الذي يحتوي الجسد وليس العكس .

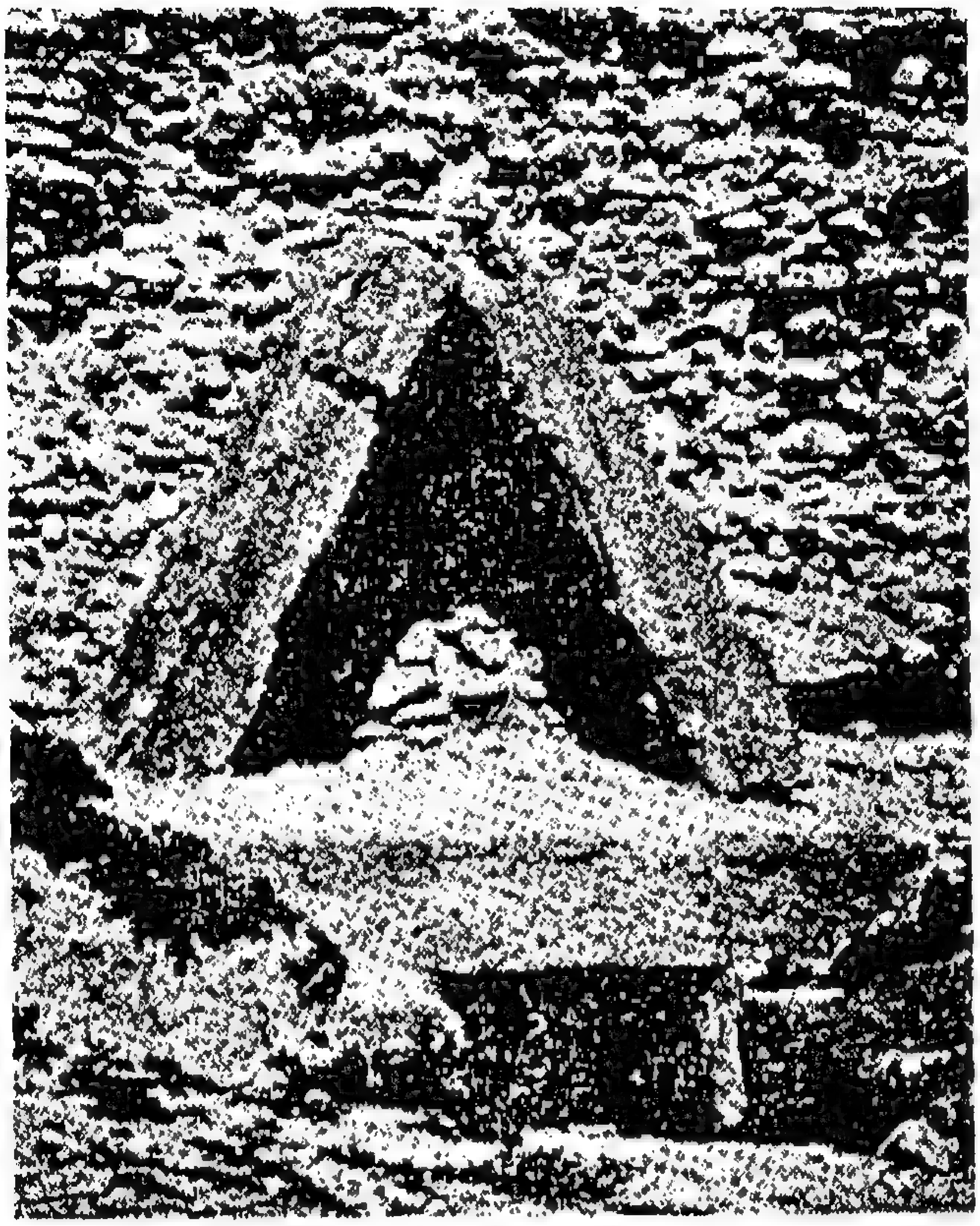

شكل (70)

مقبرة قرطاجية ترجع إلى القرن السادس ق.م. ويلاحظ استخدام الشكل الهرمي فيها (عن الناطوري 219:1981)

ويبدو أن الروح يجب أن تستقر هادئة مع الجسد فإذا ضجت أكثر فإن ذلك يؤدي الى المساس بالآلهة ، ولذلك يجب على الروح أن تذهب وتستريح في الأرض لتتحول الى (ظل) من ظلال العالم الأسفل ، وكان الاوغاريتيون يرون بأن شكل الروح يشبه النخلة .

الفصل الخامس

الطقوس الكنعانية

(دراسة في الطقوس والشعائر الأوغاريتية والفينيقية والقرطاجية)

إنبذ بالسيف ما تتحمل من ضلال . إطحن بين حجري الرحى ما تتحمل من ضلال إبذرها في البحر .»

من ملحمة اللآليء
للكاهن الأكبر ايلي
ميلكو القرن 14 ق .م

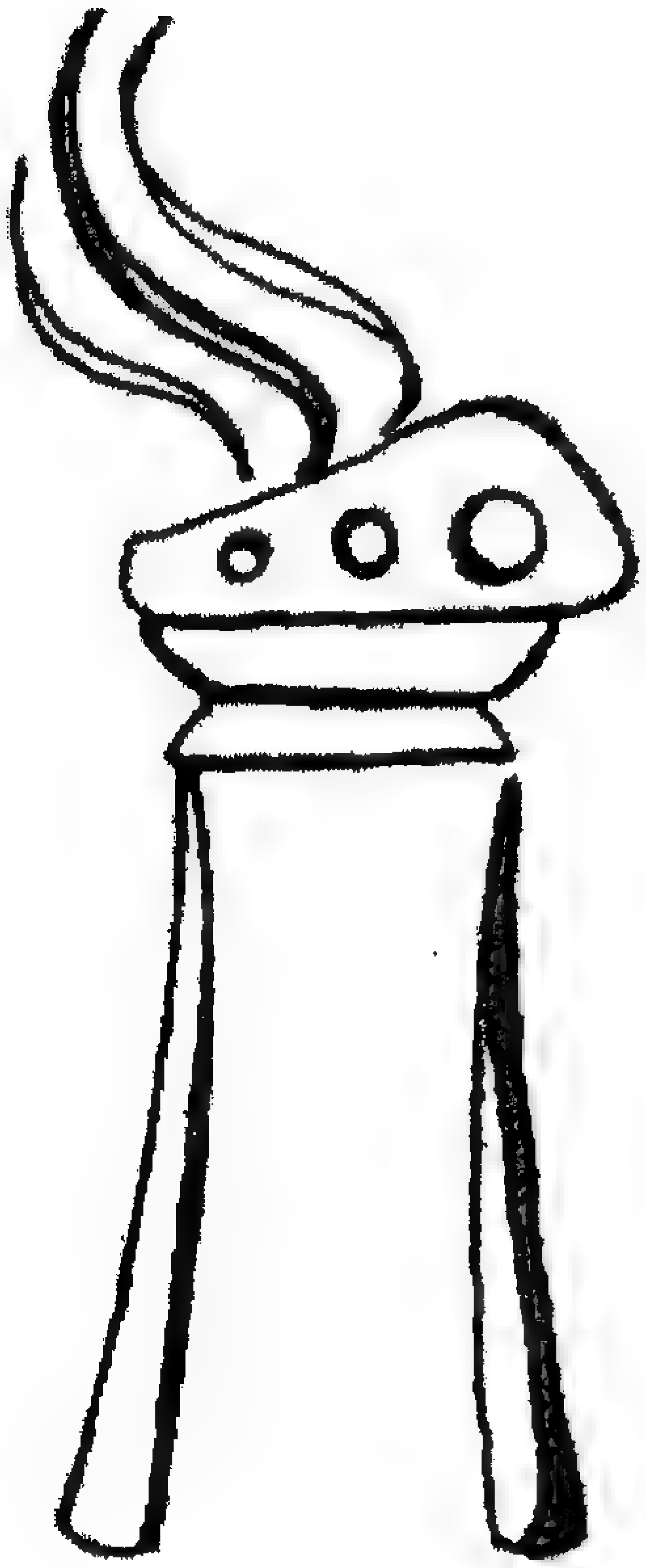

موقد كنعاني
لعمل الطقوس
رسم : فاروق كاظم

تشكل الطقوس والشعائر الدينية الركن العملي لأي دين ، فهي تستمد مادتها الروحية من الاساطير ومادتها النظرية الفكرية من اللاهوت لكنها تحول كل هذه المادة الى افعال عملية تشعر الانسان المتين بديمومة واستمرار حضور الدين في حياته التفصيلية اليومية .

ولا تختلف الطقوس والشعائر الكنعانية من غيرها فهي تنقسم الى أربع مجموعات أساسية ، هي الطقوس اليومية وطقوس المناسبات والطقوس الدورية والطقوس السرية .

1- الطقوس اليومية

أ-الإغتسال والتطهير

كان طقس الاغتسال والتطهير من الطقوس اليومية التي يقوم بها المتعبد أو الكاهن الكنعاني وكان الاغتسال والتطهير يجري وفق أربعة أنواع معروفة هي :

1-**الماء** : حيث التطهير بالمادة هو الأساس ، وكانت من المعتقدات السائدة أن عملية التطهير بالماء ترضي الآلهة فترسل المطر الى الارض .

وكان الاغتسال والتطهير بعد الحرب ضروري جداً لانهم يعتبرون الحرب جريمة لا بد من غسل آثارها .

وكانت طقوس التطهير تجري لغسل البيت بجميع غرفه وجميع محتوياته وماتحتها .

وكانت هناك أنواع أخرى من الاغتسال كانت تتم بقصد الوقاية من الأمراض ووضع حد للأوبئة والارزاء . كما أن التكريس بالماء يساعد على طرد الأبالسة وابعاد السرية (الخطية) التي يبدو عليها الختل والكذب . كما ان دق الطبل يدخل في بعض الطقوس (انظر ميديكو 37 :8019) .

2-**الزيت (الدهان)** : لم يكن طقس المسح بالزيت طقساً مقتصراً على الملوك والكهنة في بداية ظهوره عند الكنعانيين فقد كان طقساً عاماً لعامة الشعب يقوم به الإله إيل تبدل هيئة الشخص لكي لا يقع عليه الشقاء .

كذلك كان (دهان الارجوان) مفضلاً عند الكنعانيين سحرياً ضد بعض الأمراض أو استرضاء لبعض الآلهة .

لكن الشائع هو أن استعمال الزيت كان يخص الملوك حيث تنتقل السلطة للملك بعد الدهان ويعتبر ابن الإله ايل ، وكان الزيت يحفظ في أوعية خاصة وربما كان القرن يستخدم لحفظ الزيت وهو قرب حيوان كبير مجوف تماماً من الداخل .

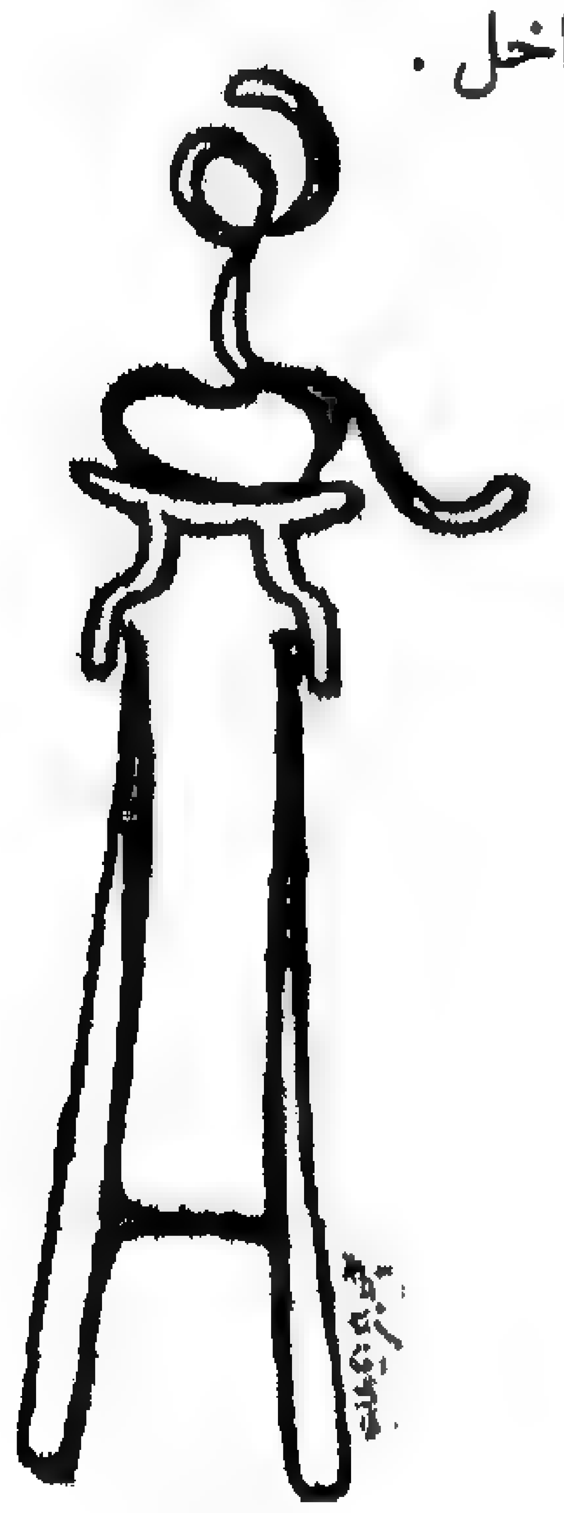

شكل (71)

إحدى أدوات الطقوس

3-**النار**: كانت النار أعظم وسائل التطهير فالذبائح تطهرها النار والمعادن تطهرها النار عندما تصهر فيها ، وكانت النار وسيلة التبخير وكان طقس التطهير بالتدمير يجري عادة عن طريق النار . والنار مقدسة طقسياً لأنها تعود الى الإله (ملكارت) وقبله الإله (اش) .

وكان هناك في بعض المعابد أو خارجها ما يشبه المحارق التي تستعمل لطقوس الحرق .

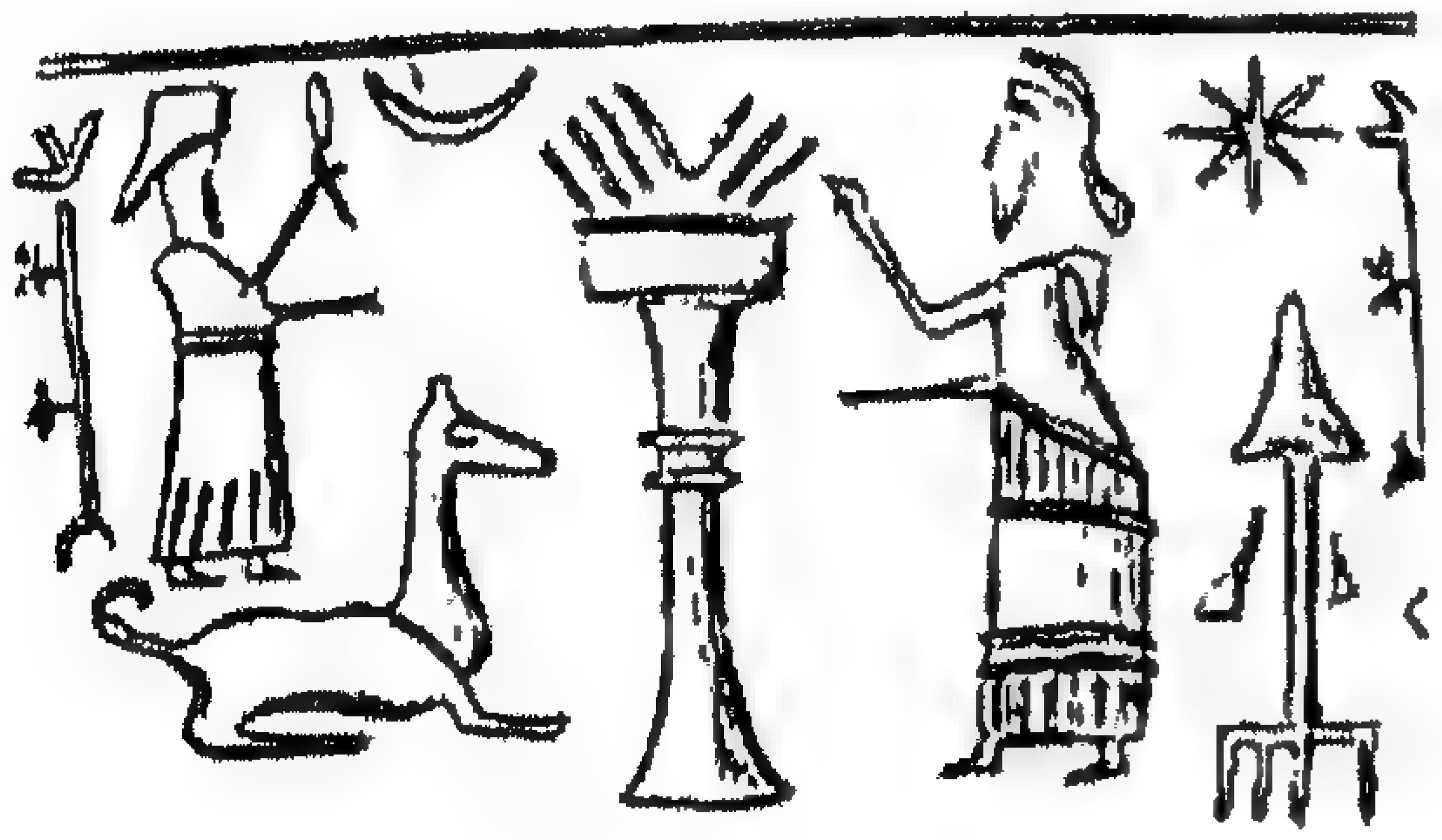

كاهن أمام موقد النار

ختم من بيت ثان

ب-الصلاة :

وتسمى بالكنعانية رجم Rgm ومن مدلول اللفظة يفهم أنها كانت تتلى بتضرعات صارخة . إن البشر والآلهة على السواء تؤدي الصلاة كما تؤديها أيضا الحجارة والنباتات وكيما تكون الصلاة مجدية يجب تكرارها دون ازعاج الالهة وللصلاة مراحل وتقاليد فهي تبدأ بعرض الحالة الحاضرة ثم يأتي تعداد الصفات الالهية مع الاشارة الى حالة المتضرع . وفي الغالب تتركز الدعوات على إنهاء المصائب وعودة الازدهار والبعث . وتكون الصلاة خالية من أية دعوة ضد الغير إلا في حالة توجيهها ضد الشياطين والارواح الضارة (انظر ميديكو 37-36 :1980) .

تتضمن الصلاة بعض الحركات مثل التذلل أمام الإله ، والارتماء على الأرض (السجود) .

وهناك نمط خاص من (صلاة الشكاوي)التي تكرر شكواها فقط .

وقد تقام الصلاة من أجل الملك أو من أجل رفع مصيبة عن البلاد .

في الصلاة المرفوعة الى عناة مثلاً يقف المصلي اولاً ويرفع عينيه الى السماء ثم يركع واخيراً يرتمي على الأرض ، وهذا مقطع من صلاة مرفوعة الى عناة من قبل الملك الكبير الكنعاني :

« إني ألوذ بك ، أطلب نصحك

هو ذا شعبي (. .عند) قدميك ، شعبي الذي

وسفوحك- الصلوات خرساء .

ولكن النار تضطرم في أحشائي فأصرخ اليك

بحزن وأكرر الصلاة

الخشب والبلاط الحجري

يشكو أن الى السماء -شعب البلاد .

في الهاوية ، شعبنا يتوهج من الالام

بسبب البرد والصاعقة والشقاء فلتعلنهم السماوات بالصلاة» .

(ميديكو 1980:19) .

محرقة عن (Cook 1930)

أما الصلاة الى بعل، وعلى أقل تقدير بالنسبة للملك الكبير، فالاعتزال عن الغير واجب وعلى المصلي أن يخلع ثيابه ويعلقها بجواره فلا يجوز مثل هذه الصلاة إلا في حالة العري التام ثم يشرع في البكاء والنواح ويشتم الآلهة الاخرى المعادين حتى يستجيب الإله بعل. وأثناء الصلاة يعلن المصلي الى بعل (الاخبار السارة) التي كانوا عادة يحتفظون بها للإله ايل ويخبره بعملية الصهر (صهر التماثيل) وبعد ذلك يطلب المصلي أن يحصل على أجنحة (كالشياطين) يرتفع بها نحو بعل فوق الغيوم (انظر ميديكو 50 :1980).

وسنقتبس هذا المقطع من ملحمة اللآليء الكنعانية(الملك الكبير) توضح فيها صلاته لبعل:

«لقد خفت الصوت في فمه الجاف

وهو عريان، بينما ثيابه معلقه

وبصوت مملوء بالبكاء تصحبه اللعنات

أخذ يشتم، وما أكثر ما شتم، وفي الخفاء

بكل أمانة وهو عريان بينما ثيابه معلقة

وبصوته هو بدأ يحتفل ببعل

إنه يعلن أخبار ايل الطيبة

والى داعون عملية الصهر

أجنحة الى السير

حتى يرتفع نحو ممتطي الغيوم

وعند هذا الحد ابتهج السيد الاعظم» (المرجع السابق: 46-45).

جـ-صبّ الخمور على الأرض

كان طقس صب الخمور على الأرض عادياً. وكان الكنعانيون يعتقدون أن السماء تلتذ به ويمكن أن ينهي حالة الجفاف وهو ترميز لسقوط المطر من السماء الى الأرض.

د-العربون (النذور)

كانت النذور تختلف من إله لآخر ومن مناسبة لأخرى ، ولكنها بشكل عام كانت توضع عند قدمي تمثال الإله في هيكله أو معبده للتأثير عليه .

هـ-دق الطبول:

كان طقس دق الطبول تطهيرياً والغاية منه هي طرد الأرواح الشريرة .

و-صهر التماثيل:

كان صهر التماثيل يعد طقساً تطهيرياً ونذرياً في الوقت نفسه ، فهو تطهيري لأنه يجعل النار تلامس المعادن التي تعرضت للرجس البشري والتي أخذت شكل آلهة معينة مرفوضة من قبل صاهر التماثيل . وكان صهر التماثيل يعقبه صب تمثال جديد لإله معبود . ولذلك كان زق الحداد مكاناً اساسياً لصهر وصب التماثيل .

ويعبر هذا الطقس عن ولاء المعابد لمعبوده .

وتختلف قيمة التماثيل المصهورة والمصبوبة حسب نوع معدنها فهناك التاثيل الذهبية والفضية والبرونزية والنحاسية والحديدية وهي تماثل طبقات الناس وقدرتهم المالية على تقديم هدايا الآلهة .

ز-تعرفات الذبائح:

كشفت النصوص البونية المعروفة بهذا الاسم عن أهمية النذور المشفوعة بنصوص ونقوش توضح طبيعة هذه النذور المقدمة الى إله محدد في معبد محدد ، وتبين هذه النصوص حصة الكاهن وحصته الناذر ، واغلبها مقدم الى الإله بعل حمو والإله تانيت (انظر ميادان 63-62 :1981) .

وكانت الذبائح نظرياً تقوم على فكرة مثلثة أساسها أن الذبيحة تربط الانسان بالإله وتوضح مدى وفاء ذلك الانسان له ثم أنها تحررهخ من اخطائه وتوحي بفكرة الغداء التي من أسسها أن يفدي الانسان نفسه للإله لكنه يقوم باستبدال نفسه بحيوان يقدم بديلاً عنه .

وكانت الذبائح في العالم البوني(الفينيقي الغربي او القرطاجي) على ثلاثة أنواع هي :

1-الذبيحة المحرقة : وهي التي تتلف كلياً بالنار .

2-ذبيحة الاشتراك .

3-ذبيحة التكفير

وهناك نوع آخر ظهر بشكل واضح في الطقوس البونية وهو (ذبيحة الابكار) حيث كان الأطفال الرضع والاولاد يقدمون كضحية ثمينة للآلهة وخصوصا (بعل حمون) عندما يدرك الخطر الجسيم الناس .

وقد كشف مذبح ؟(سلامبو) في قرطاج عن مذبح يحتوي على عظام محروقة وتمائم .

وكانت طريقة تقديم ذبيحة الابكار تتم بأن « يوضع الاجر داخل تجويف الصخر وتغطى بطبقة من الحصى الدقيقة ، وعندما تصبح هذه القطعة المسورة ممتلئة ، تظمر بطبقة من الرمل الاصفر ، ثم تدفن فيها من جديد مجموعة من الآنية التي تحتوي على رفات المولودين الجدد ، وكانت هذه الآنية تجمع كل ثلاثة أو أربعة منها ليعلوها لوح نقشي أو حجر كبير مقصب . وفي الطبقات العليا تحل الانصاب محل الالواح النقوشية المزخرفة» (المرجع السابق : 72) .

ح-القرابين

كانت النذور والقرابين من غير الذبائح توضح ايضاً مع الميت . وقد عثر في مدن قرطاجية عدة مثل سنتاس على إناء بقرابين يمثل حيواناً أقرب الى الشاة (شكل 72) . وهناك إناء غريب خاص للقرابين متعدد الأوعية به سبعة أوعية منفصلة كل منها في هيئة زهرة السوسن شكل (73) .

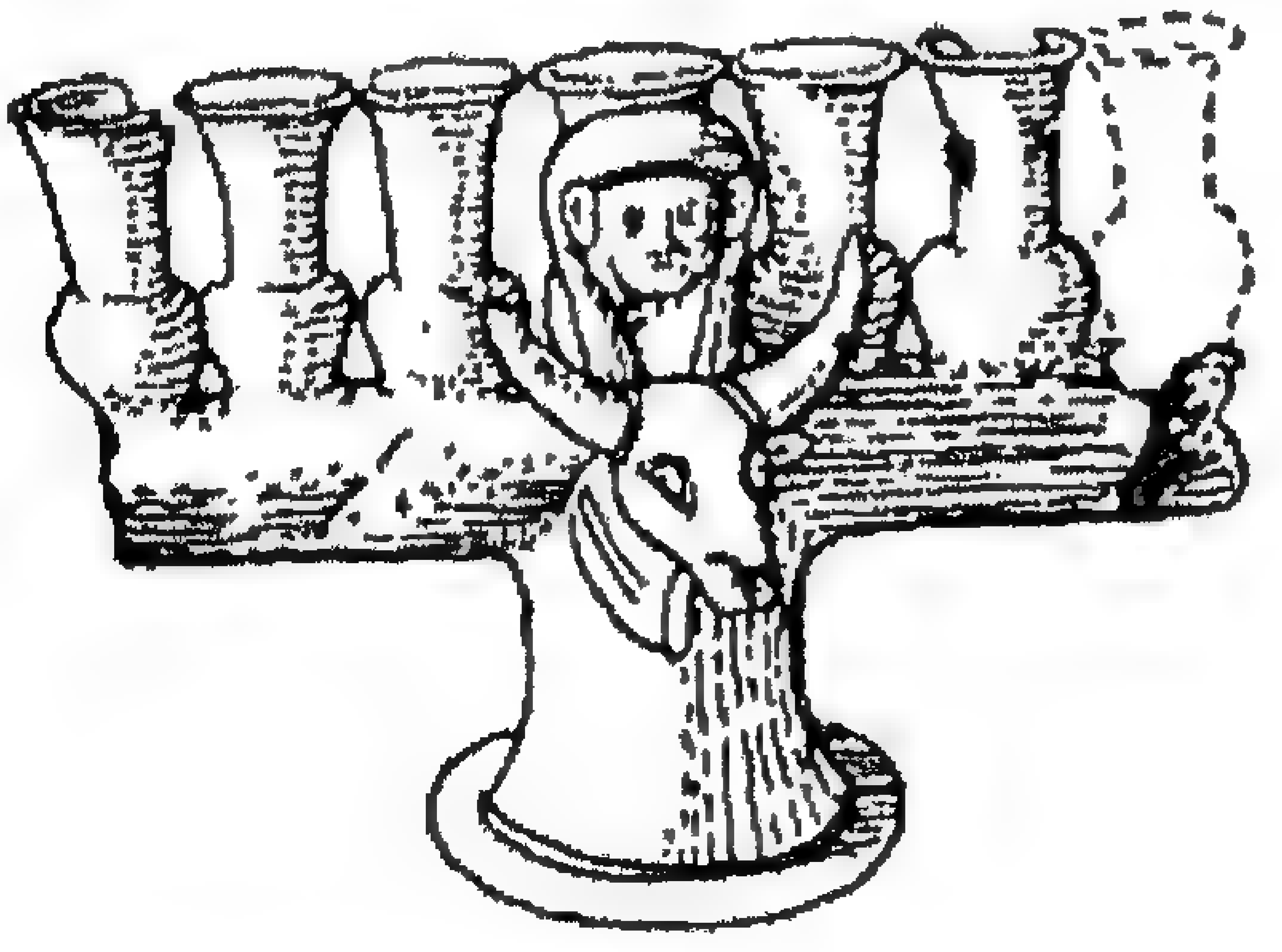

شكل(72) إناء قرابين على شكل الشاة عن (Harden 1962: 97)

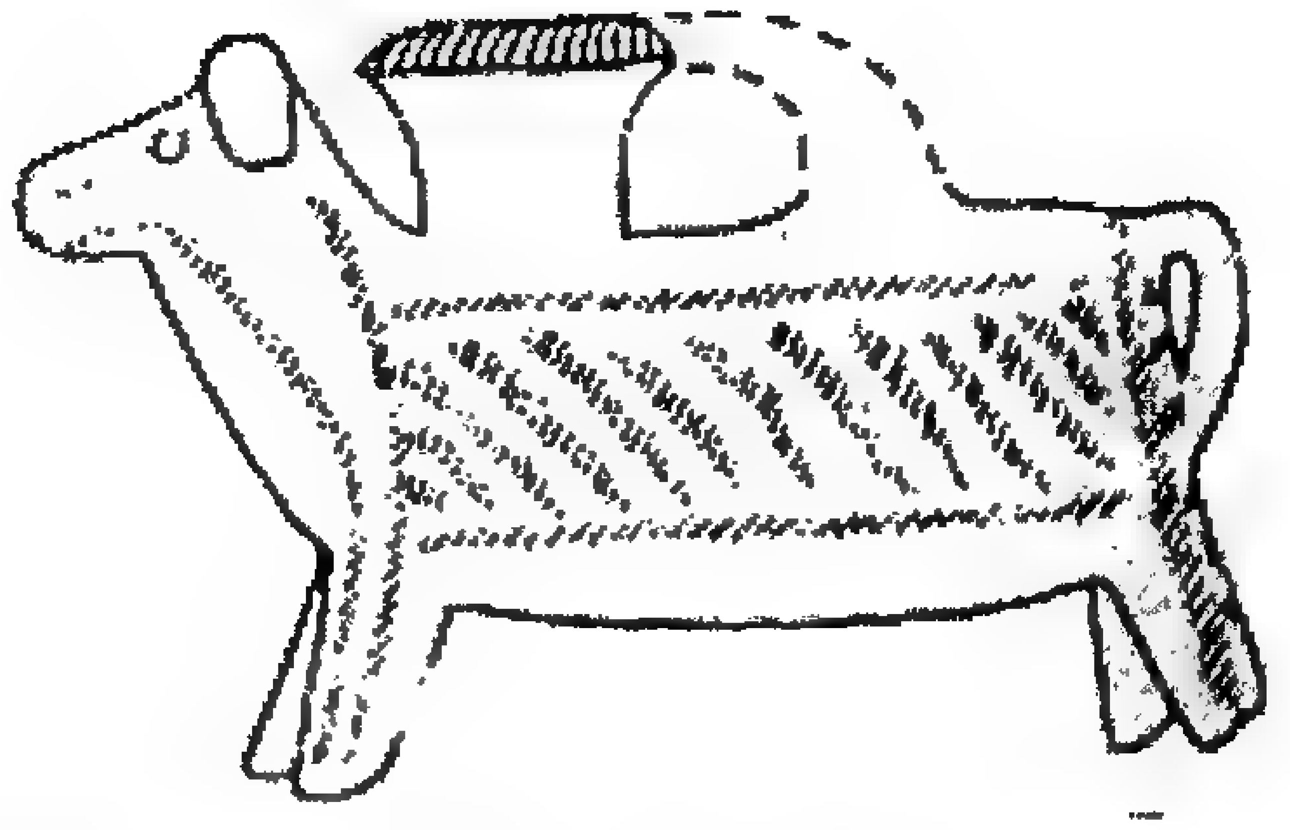

شكل(73) إناء قرابين على شكل زهور عن (Harden 1962: 198)

2-طقوس المناسبات

أ-طقوس بناء المعبد

لعل بناء الهياكل والأنصاب والمعابد كان يترافق مع مجموعة من الطقوس التي ما زلنا نفتقد صورتها الواضحة في النصوص الاثارية ،لكن هدم المعبد كان نذيراً بالشر .

ب-طقوس الزواج

لعل أسطورة زواج (نيكال من يرح) توضح لنا بعض طقوس الزواج الكنعانية القديمة .

كانت الإلهة عناة راعية الخطوبة والزواج وطقوسها تكرس القران الزوجي الشرعي ، وهذا ما يعاكس بعل وطقوسه الإباحية التي كانت ترعى الحب المحرك(انظر ميديكو 34:1980) . وكانوا يرون في الحب والزواج تأثيراً على قوة إخصاب الطبيعة وحفزاً لها على القوة والنماء . أما طقوس المداعبات والحب المحرم فكانت تضر بالطبيعة وخصبها .

كانت عناة ترعى خطوبة الرجل والمرأة . وكانت كوثرات ترعى حمل المرأة وولادتها .

وكانت المرأة تحضى بنوع من التقديس عند الكنعانيين ولها كل أنواع الاحترام . أما المرأة المومس (السرية) فكانت منبوذة ولا تسكن بيت الرجل بل تسكن في خيمة . وكانت المرأة العاقر تحضى بالعطف ويقدم لها الطعام والشراب .

ولم تكن عادة التضحية بالاطفال شائعة بل كانت في حالات نادرة جداً أثناء الأزمات كالحروب والجاعة وغيرها وقد كانت الإلهة تانيت ترعى الاطفال الصغار بشكل خاص.

وكانوا يرون أن من لم يستطع الزواج على الأرض فإنه يتزوج بعد الموت في مملكة الجحيم (العالم الاسفل) عندما تصبح روحه ظلاً، أي شيئاً معتماً وليس نورانيا (المرجع السابق : 123 ,134).

جـ-طقوس الموت

كان الموت استراحة للانسان بعد حياة مليئة بالآلام، وكان الموت في حالة الحياة الآثمة عقاباً سواء كانت بمشيئة الإله أو الشيطاني.

وكان الموت نهائيا ولا مجال لحياة في العالم الأسفل إلا ما تبقى عليه الروح من حال يرثى لها وهو ما يشابه العقائد العراقية القديمة.

وربما كانت عملية استحضار أرواح الموتى واردة في الطقوس الكنعانية حسب ما يرى ميديكو. ولكننا نعتقد أنها حالة خاصة ونادرة تشبه الحالة النادرة لعبادة الموتى.

إذ لا يوجد ما يشير الى ان الكنعانيين مارسوا (عبادة الموتى) ولكن الطقوس الجنائزية المهيبة للميت كانت ترمي الى ضمان حماية الميت من قبل الآلهة في العالم الآخر « وتحمل بعض الالواح النقوشية التي اكتشفت في مذبح سلميو زخارف تتعلق بخلود النفس، ومن هذه الزخارف الاوراق المصورة على شكل قلب، وأكاليل الورق، والآنية الخمرية ويكتمل فن التصوير هذا ببعض المشاهد من الولائم الجنائزية (ميادان 73:1981).

كان الكنعانيون والفينيقيون والبونيون يضعون الموتى في القبور المزينة بأنصاب جنائزية، وكانت هذه القبور تشبه الآبار الضحلة.

والانصاب ذبيحة بشرية أو حيوانية (وخصوصا في قرطاج) وتوضع بقايا الذبيحة داخل جرة تدفن تحت النصب الذي يحمل في أغلب الاحيان نقشاً مهدى الى الإلهة تانيت والإله بعل حمون (انظر ميادان 1981:100-101).

وتنقسم الأنصاب الجنائزية الى :

1-الأنصاب الناووسية : وهي مربعة الشكل مزينة بمشكاة مجوفة يعلوها افريز وكورنيش مصري ويسندها عمودان مستطيلان بارزان قليلاً . وفي داخل التجويف صورة إله أو حجر مقدس أو مسلة أو رسم على شكل مومياء فوقه هلال غالباً .

2-الأنصاب المذبحية : وهي على شكل دلة المذبح المستطيلة الحاوية على تجويف يوضع فيه الجرة التي تحتوي على الذبيحة .

3-الأنصاب العرشية : والتي على شكل عرش إله ، فهي قواعد مربعة يرتفع جانبها الخلفي على شكل مسند يتصل بمرفقين ويلاحظ في وسطها تجويف معد لصورة الإله .

واغلب هذه الأنصاب عثرعليها في مدافن قرطاج كما تذكر مادلين ميادان ، وتحتوي هذه الانصاب على رموز إلهية ودينية وطقسية ، وأحياناً تنقش الاضاحي الحيوانية في أسفل اللوح (الخراف ، الطيور ، الثيران ، الخ) . أو صورة الكاهن أمام المذبح ، أو الكاهن بثوبه الطويل وهو يحمل الطفل أو الحيوان المضحى به او المرأة التي تريق الخمر ، أو الإلهة تانيت برموزها أو وهي تحمل ولداً وهلالاً .

أما التوابيت الحجرية فكان بعضها على شكل آدمي وهي بذلك تشبه النواويس المصرية . كالتي عثر عليها في جبيل وصيدا . وكانت التوابيت المتأخرة تشبه التوابيت الاغريقية . إن لوحة (بعلياتون) من أم العمد التذكارية الموجودة في كوبنهاجن حالياً تصور الكاهن بعليانون وهو يرتدي غطاء رأس قصير مستدير ورداء طويل ، وفي اعلى اللوحة قرص مجنح وثعابين والكاهن يؤدي طقوس دينية واضحة (شكل 74) .

وتظهر النواويس الحجرية من قرطاج متميزة وجميلة جداً . فقد استخرج من مدافن (سانت مونيك) في قرطاج ناووسان يعودان للقرن الرابع ق .م يصور الأول في نقش بارز مستدير امرأة ممدة ويغطي رأسها الصغير حجاب ذو اطراف مزينة بصف من الشراريب ، ويلتقي عند ركبتها جناحان طويلان مطويان وتمسك بيدها اليمنى حمامة وبيدها اليسرى علبة حلي ويتوهج الناووس بكاملة بالألوان الفاقعة . والناووس الثاني لكاهن يحمل في يده اليسرى مجمرة بخور ويرفع يده اليمنى اشارة للصلاة (انظر ميادان 1981:99) .

شكل (74)

الكاهن بعلياتون من (أم العمد) عن (Harden :43)

وكانت المقابر الخاصة للحكام وأبناء الطبقة العليا ، أما العامة فكانوا يدفنون في حفر عادية واحياناً بشكل جماعي خصوصاً لقتلى الحروب .

د- الألواح الجنائزية

وهي أشبه ما تكون بـ(شواهد القبور) التي شاع استعمالها منذ القرن الرابع قبل المسيح حتى نهاية الحقبة الرومانية في قرطاج .

فكانت هذه الالواح تثبت قاعدته فوق القبر بواسطة الطين وكان أعلى اللوح عبارة عن زخرف مثلث . وكان بعضها يصور الميت من ناحية الوجه وهو في وضع الصلاة فاتحاً كفية ومادأ راحتيه الى الامام (انظر ميادان 98 :1981) .

هـ- طقوس الدفن أو الحرق:

وكانت الأجساد تكفن وتدفن أو تكفن وتحرق

وتتضح طقوس حرق الاموات وحفظ رمادهم في وعاء داخل القبور في قرطاج (القرن الرابع ق .م) وكانت منصبة على الاطفال المضحى بهم حيث يحفظ رمادهم داخل جرار في مذبح ، كما في مذبح سلامبو .

وقد عثر في بعض المقابر البونية على أمواس حلاقة إتضح أنها كانت أدوات طقسية أو سحرية تدفن مع الميت قرب رأسه . ويمكن أن تشير الى ضرورة حلق شعر جسم الميت كله أو بعضه بعد الموت مباشرة لكي يتهيأ خالياً من الشعر الى حياة العالم الآخر .

ولازال بعض المسلمين يمارسون هذه العادة . وتتكون أمواس الحلاقة من قبضة على هيئة عصفور أو رأس بطة أو تم تنتهي بنهاية حادة تشبه الفاس . وتنقش على القبضة مشاهد طقسية للآلهة مثل تانيت (شكل 75) .

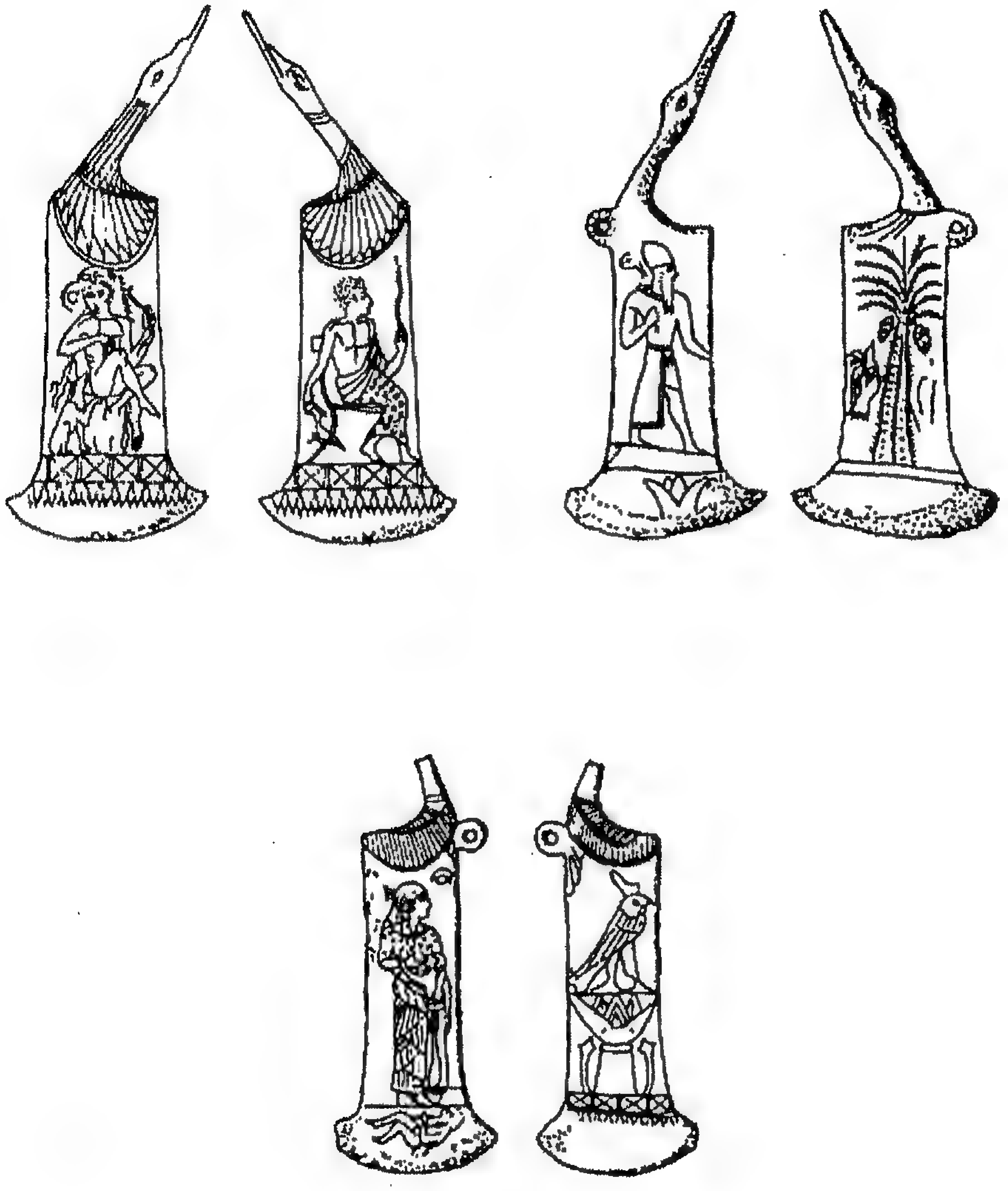

شكل(75)

الأمواس البونية ورموزها وأشكالها الدينية عن (عصفور 180 :1981)

أو ملكارت الذي يمسك بطاس من النار او بعل حمون او النخلة (دامور) او تانيت ترضع طفلها او الصقرو المصري حوري . .الخ ويقف الاشخاص المرسومون على ما يشير الى العالم الاسفل مثل علامة (×) المتكررة الزخرفية او على طفل مدفون في العالم الاسفل . وتشير

هذه الأمواس الى اختلاط الفن الديني البوني مع نظيريه المصري والاغريقي .وقدعثر على أغلبها في قرطاج وسردينيا وابيزا .

3-الطقوس الدورية

الطقوس الدورية هي الطقوس التي تتبع نظاماً زمنياً متكرراً وثابتاً ، وتظهر الطقوس الدورية على شكل أعياد جماعية كبيرة تحتفل بها الجموع لتعبر عن مخزونها اللاواعي الجمعي في صيغة استعادة لاوعية أيضا المثولوجيات قديمة حصلت أو اعتقد الانسان أنها حصلت لجمل الجنس البشري مع بداية الخليقة أو مع انطلاق الأصول التي كونت جذر العادات والتقاليد الدينية الكبرى .

وتشكل نظرية العود الابدي أساس فكرة الطقوس الدورية حيث يصار الى تمثيل العودة الدورية (اسبوعية او شهرية او فصلية أو سنوية أو كل سبع سنوات) إلى الزمن الأول ، زمن الآلهة وزمن تحول الوجود من هيوليته الكاؤوسية الى شكله الكوزموس المفضل .

إن هذا الحنين الى الأصول الميثية هو الذي يدفع الانسان الى تذكر احتفالي لزمن الخلق والبدايات وجعله في صيغة طقس خارج الزمن التدرجي التاريخي التقليدي ، أي أن الطقس الدوري يضع نفسه في الزمن المطلق أو في الزمن (صفر) ليعلن بدى السنة أو بدء الشهر أو بدء الفصل او بدء السنوات السمان وغيرها .

أ. الطقوس الاسبوعية والشهرية

لا نعرف على وجه التأكيد فيما إذا كان الكنعانيون يحتفلون في نهاية كل أسبوع أو كل شهر بالدورة القمرية أو الشمسية ، وهو ما فعله السومريون عندما اتخذوا من نهاية الاسبوع عيداً اسموه (إش إش) ، وهو انتقال القمر من حجم الى اخر .

ولكننا نرجح أن الكنعانيين عرفوا عيد القمر الاسبوعي لأن ظهور الإله (يرح) .

ب-الطقوس الفصلية والسنوية

1-الأدونيات (أعياد ادونيس)

لم تقتصر الأعياد الادونيسية على الفينيقين بل شملت أقواما مجاوراً كاليونانيين والايطاليين والمصريين ، فقد كانت كل هذه الام تحتفل بعيد الإله ادونيس .

ونستطيع أن نصنف الادونيات كأعياد فصلية لأنها كانت تقام مريتن في السنة عند الفينيقين والمصريين أما الاغريق الرومان فكانوا يحتفلون به مرة واحدة عند موت الإله ادونيس لأنهم لم يكونوا يقيمون وزناً كبيراً لمسألة البعث والعودة من الموت وكانت تراتيل عيدهم التأبيني هذا موقعة على ضوء بحر شعري جنائزي خاص عرف باسم (بحر ادونيس) لأنه يستعمل عادة في مراثي هذا الإله فقط .

وكان زمن الأدونيات يختلف من شعب لآخر فقد كان يستغرق ثمانية أيام كما في الاسكندرية وسبعة كما في بلاد كنعان واحياناً ثلاثة أيام كما في جبيل وربما يومين احدهما للموت والاخر للبعث .

وتنقسم أعياد أدونيس الى قسمين هما : (انظر جمعة 61-58 :1981) .

1-عيد الافانيزم Aphanisme : وهو عيد موت ادونيس حيث يوقت موته الموهوم مع بدء الربيع في جبال لبنان عندما تذوب الثلوج وتحمل معها ذرات من التراب الأحمر فتختلط هذه الذرات مع مياه نهرابراهيم (ادونيس) وكأنها بمثابة إعلان وتذكير بموت أدونيس فيسارع الفينيقيون بتأبينه والنواح عليه كان الاحتفال يتقدمه كهنة يحملون تابوتاً وضعت فيه جثة رمزية للإله ادونيس وتكون صفراء اللون يتدفق منها الدم . وتسير جنب الكهنة كاهنات (أو بنات الملك أو الحاكم) يحملن فراشاً منفرداً عليه تمثال عشتروت الباكية .

ويسير خلف الكهنة والكاهنات فتيات حاصلات سلالاً مملوءة كعكاً وزهوراً وطيباً . ثم جمع غفير من النساء المتشحات بملابس الحداد نائمات مولولات .

وعندما يصل الموكب الجنائزي الى قبر الإله ادونيس عند مغيب الشمس يقومون بوضع الجثة المقدسة في القبر . وهنا تبدأ النساء بنشر شعورهن وقصها وبالعويل والبكاء ، ويكون هذا المكان عادة عند ضفة نهر ادونيس الجاري بمائة الاحمر وفي مدينة الاسكندرية كان

الموكب يسير في احتفال كبير الى الشاطئ حيث ترمى جثة ادونيس في البحر ليصير البحر لها ضريحاً وذلك تمثلاً بالشمس التي تأوي اليه .

وفي الشام ومصر كان الناس يصنعون ما يسمى بـ(جنائن ادونيس) التي هي عبارة عن سلال او اصص تملأ بالتراب ويرش عليها الماء وتزرع فيها بذور القمح والشعير والخس والزهور ، وتقوم النساء بشكل خاص بالعناية بها قبل بدء احتفالات العيد بثمانية أيام ووضعها تحت أشعة الشمس الربيعية الدافئة فتنمو بسرعة ترميزاً لادونيس الجريح المسجى على فراش الموت ، بعدها تذل هذه النباتات لضعف جذورها ، وتحمل مع موكب ضريح ادونيس في نهاية ايامها الثمانية وبدء اليوم الأول لاحتفالات الافاينزم ، ثم تقذف في الماء مع ضريحه او قربه .

وكانت طقوس الحزن تستمر سبعة أو ثمانية ايام تعم خلالها مظاهر الحداد وتعرض خلالها أشكال شمعية وفخارية لادونيس وتسجى أمام مداخل البيوت أو على سطوح المنازل ، وفي الموعد المحدد يطاف بها في اسواق المدينة وشوارعها ، ترافقها الباكيات يرثين موت الإله ومحاسن صفاته ، والنادبات الناحبات يقرعن صدورهن والراقصات والمغنيات ينشدن اناشيد الحزن والاسى ويصعدن الإنات والزفرات على وقع الدف ونغمات الناي ويهتفن :

(لقد مات أدونيس الجميل البهي ، حقاً مات!) (انظر فريزر 20 :1979) .

2-عيد الهفريس Hevrese : وهو عيد القيامه وبعث ادونيس حيث يتم اكتشاف جثة أدونيس على ساحل النهر أو البحر وفيه يستلم أهل فينيقيا سل البردي الذي كانت نساء الاسكندرية يلقين به في البحر رمزاً لامتنان ايزيس المصرية لادونيس الفينيقي بعد أن عثرت ايزيس على جثة ازوريس في جبيل حيث كان ادونيس يعبد ويعيش . وفي ذلك اشارة لتطابق شخصيتي ادونيس مع اوزريس . وايزيس مع عشتروت ويحتوي سل البردي على رأس مصنوع من الورق السميك ومعه رسالة لفينيقيا بنهاية الحداد وقيامه ادونيس من الموت . . وكان هذا البردي يخص مدينة جبيل (ببلوس) أكثر من غيرها .

يبدأ الاحتفال باطلاق أصوات الفرح والهرج وهتافات النشوة والانشراح التي تؤدي الى تناول الخمور والرقص والغناء وبممارسة الجنس الجماعي العلني معلنة انتصار الحياة على الموت وصعود هتاف : (لقد قام ادونيس ، حقا ، قام) .

وهناك ما يكمل احتفال الهفريس ويقابل طقس (جنائن ادونيس) في احتفال الافانزيم وهو طقس إله القمح .

فقد كان من عادة الفينيقين في تلك الايام إقامة احتفال كبير لاله القمح حيث تتسربل النساء المتزوجات بملابس بيضاء ، ويقدمن اكليلاً من السنابل كباكورة للحصاد ، وفيهذا الاحتفال تلتزم الزوجات بالعفاف وعدم الاقتراب من الازواج لمدة تسعة أيام ، حيث يغادرن بيوتهن ويعشن في ساحة الاحتفال التي كانت دائما خارج المدينة أو القرية . ويماثل هذا مثولوجيا وجود والدة مورا (جدة ادونيس) خارج دارها طوال الايام التسعة حيث تغوي أم ادونيس والدها لتحصل منه على نطفة ادونيس وهذه بداية خلق ادونيس التي توافق زرع الحنطة وبداية القيامة .(انظر جمعة 54 :1981) .

ولقد كانت الادونيات من ناحية أخرى أعياداً شمسية ترمز الى انتهاء فصل الشتاء وبدء فصل الربيع ، ولذلك كان البعض يحتفل بموت ادونيس في الصيف (شهر تموز) في احتفال منفصل يعبر عن احتفال الافانيزم . وتوضح هذه المسألة علاقة ادونيس ومعه الآلهة البعليم(البعول) بالشمس ولذلك تكون تكنية « بعل سمائيم وكان لكل البعليم علاقة مع بعض النجوم السيارة إلا أن الإله – تموز ادونيس – معبود مدينة جبيل كانت علاقته مع الاجرام الفلكية أعظم من غيره» (اليسوعي 43 :1982) ويرى بعض الباحثين أن أعياد ادونيس كانت أعياد خاصة بالشمس في حالات ضعفها وقوتها في فصول السنة .

ونحن نرى أن هذا الرأي يحمل قدراً من الصحة في العصور المتأخرة الفينيقية ربما بسبب ضعف وظيفة الاخصاب الادونيسية والاتجاه بهذا الإله نحو عبادة شمسية ونارية كانت من اختصاص آلهة اخرين مثل ملكارت ورشف واشمون . وهو ما يشير الى تعاظم دور هؤلاء الآلهة في العصور المتأخرة .

ودليلنا على ذلك أن جذور الاعياد الادونيسية تكمن في الطقوس التموزية الشعبية الرافدينية والطقوس الاوزيرية الشعبية المصرية وقد مارست هذه الطقوس تأثيرها القديم على بلاد كنعان ثم بهت هذا التأثير وحلت محله عقائد صحراوية وهوائية سببها ظهور الأموريين والآراميين .

2- أعياد ملكارت

ملكارت أو (سيد المدينة) هو إله مدينتي صور وقرطاج ، كما كانت عبادته شائعة في مدينتين اسبانيتين هما (قادس) و(لكسوس) القائمتين على جانبي مضيت جبل طارق . و «قد طابقه الاغريق مع الإله (هرقل) لتشابه صفاتهما ومغامراتهما» ويبدو أنه في أول الأمر كان يعتبر الهاً للشمس ، لكنه بعد ذلك ، وبعد أن أصبح الفينيقيين أهل ملاحة ، اكتسب صفات بحرية ايضاً ، وكانت لعبادته في قرطاجة اهمية كبرى حيث أن هذه المدينة ظلت عدة قرون ترسل في كل سنة المكوس وتقدم الولاء لمعبد الإله (ملكارت) في المدينة الأم(صور)» (عصفور 145 :1981) .

وكانت أعياد هذا الإله مرتبطة بالنار بحكم ارتباطه بالشمس وخلفيته المثولوجية النارية التي شرحناها في الفصل الأول . وقد كان كهنة هذا الإله يعتنون بالنار في معبده ويسيرون حفاة الاقدام بملابس كتانية .

ونرجح أن تكون طقوس موته وبعثه مشابهة للادونيات باستثناء إحراق النار المتصل في معابده .

كان عيده يجري في كانون الثاني من كل عام ويسمى (بعث ملكارت) وكانت تنصب محرقة كبيرة يوضع عليها تمثال هذا الإله لوحده أو وهويركب حصان البحر وربما كان أحد الكهنة يضحي بنفسه في النار ثم يقوم الكهنة بحركات درامية تمثل قتال ملكارت ضد التنين (تيفون) ووضع طيور السلوى في النار(وهي تقابل جنائن ادونيس في الأدونيات) . وتثير رائحة شواء هذه الطيور الإله الميت ملكارت فيقوم وسط النار ويبعث مما يستدعي بدء طقوس الفرح والقصف بعدها .

وتمثل طيور السلوى ترميزاً للطيور الشمسية التي تتحول الى ما يشبه السبب في عودة ملكارت الى الحياة وكأنها قبس شمسي اعاد له الحياة .

3-أعياد رشف:

وهو إله العالم الأسفل وإله النار والاوبئة ويقابل الإله أبولو ونرجح أن له أعياداً تشبه أعياد ملكارت ، وارتبط اسمه بالطيور (رشف الطيور) أو التيوس (رشف التيوس) وربما كانت تعني قيامته من العالم الأسفل عودة العافية والصحة الى العالم .

4-أعياد ياشمون

وهي أعياد فصلية لإله الطب المرتبط بالنار والعالم الاسفل ايضاً ، وهو إله مدينة صيدا ، وكانت شخصية هذا الإله تشير أيضاً الى ما يشبه طقوس ملكارت النارية .

5-طقس فتح طاقات السماء:

ربما كان هذا العيد دورياً مع بدايات الخريف وهو نوع من طقوس الاستسقاء وانزال المطر القديمة التي مارسها الكنعانيون بواسطة السحر ولا نعرف ما هي تفاصيل هذا الطقس أو العيد ، لكن بعض الباحثين يرون في (عيد المظال) اليهودي تقليداً لهذا العيد حيث تجلب المياه من أحد الاحواض وسط موكب احتفالي ثم تسكب هذه المياه فوق المذبح وخرج المياه ثانية من فوهة في أسفل الوعاء وتسيل فوق الأرض (انظر اذزارد 1991 :1987) .

جـ-الطقوس السبعية:

وهي الطقوس التي كانت تجري كل سبع سنوات ، وكانت في الماضي القديم تجري محورياً مع الأله ايل ثم أصبحت تجري مع الإله بعل وقد رجحنا أن تكون السبعية الايلية هي أعياد الاكيتو الكنعانية وفصلنا ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

أما الطقوس السبعية البعلية فربما كانت أعياد سنوية وسبعية معاً فهي بين طقوس ايل السبعية وطقوس ادونيس السنوية ولكننا لا نملك ما يفصل لنا هذه الطقوس إلا ما عرفناه من أعياد بعث بعل أو موته وما يرافق ذلك من فرح أو حزن .

وخلاصة القول :إن الأعياد الدورية بشكل خاص كانت مناسبة لممارسة الطقوس والشعائر التي كان يغلب عليها الطابع الجنسي بسبب من ارتباطها بعقائد الخصب وتتخللها اعمال العهر والفجور التي كانوا يتقربون من خلالها الى الآلهة التي كانت تمثل هذه المظاهر . ولذلك كانت النساء اللائي يمارسن هذه الطقوس الدينية لا يمارسنها خارج المعبد وخارج هذا الغرض .

أما الكهنة والكاهنات الذين يمارسون هذه الطوس فكانوا يلبسون ملابس النساء ويطلون وجوههم باللون الاحمر (الغمرة) ويعرون اذرعهم ويشهرون السيوف ويصرخون ويرقصون كالدراويش وبعضهم يزحف على الأرض بشعورهم المتشعثة ويخدشون وجوههم ويشرحون أبدانهم ويطعنون بطونهم فاذا سالت دماؤهم واصطبغت اجسامهم قدموا ذلك ضحية لآلهتهم (انظر اليسوعي 1982: 45-46) .

الفصل السادس

الشرائع والأخلاق

(دراسة في المكونات الثانوية للعبادة الكنعانية)

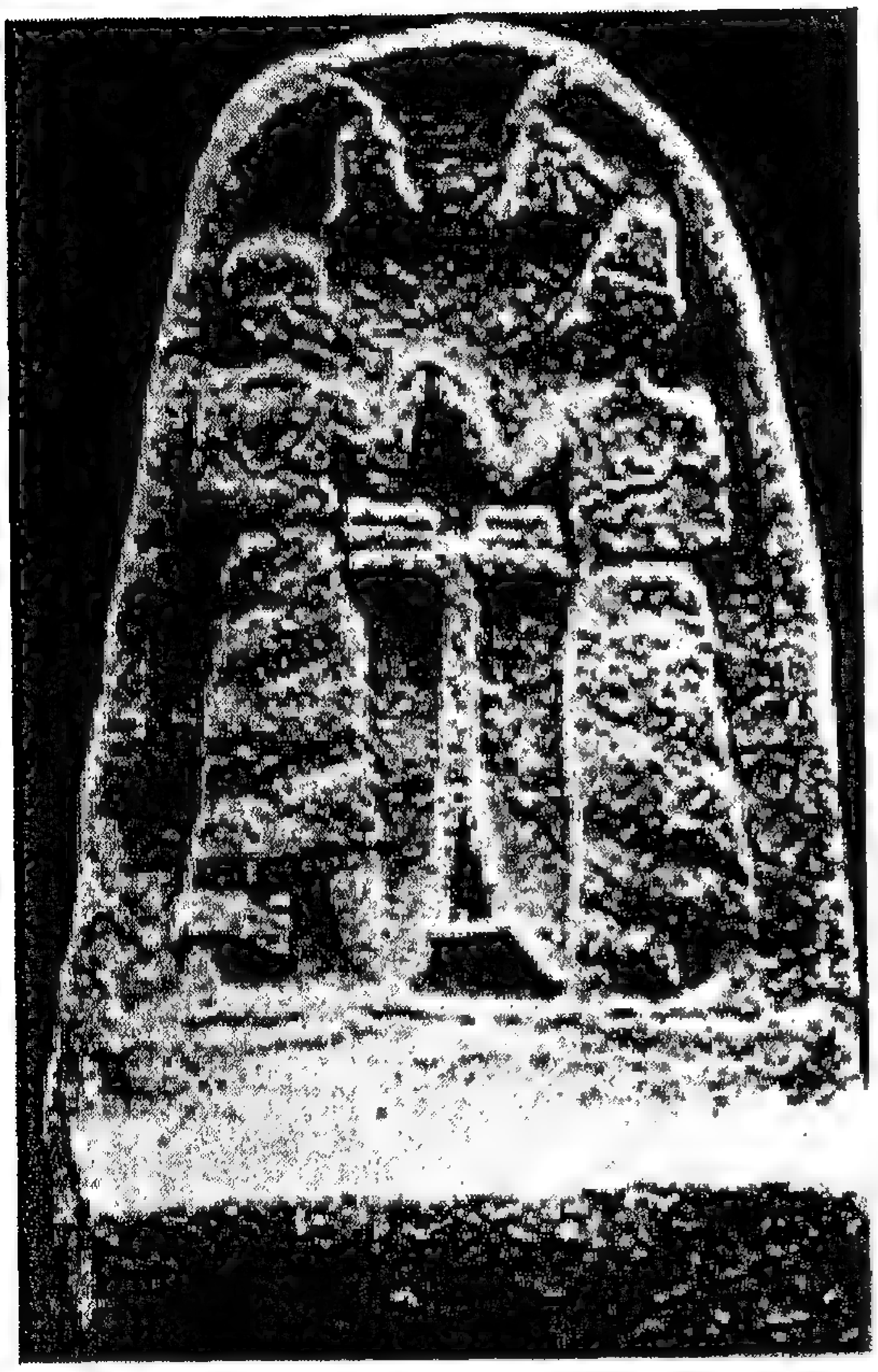

أداء اليمين عند توقيع الإتفاق

إيل يضـــــرب كل من
يتـــحـــمل بثـروته

(إيلي ميلكو)

لا نملك ما يساعدنا ، من معلومات على معرفة ما إذا كانت هناك شرائع كنعانية مدونة ، ولا نملك فكرة واضحة عن تطبيق الشرائع والقوانين . ولكننا في الوقت نفسه نستطيع استشفاف النسيج الاخلاقي الذي كان الدين الكنعاني قد أفرزه خلال عصوره الطويلة .

ولأن الشرائع والاخلاق هي مكونات الدين الثانوية لذلك توجب مناقشتها .

1-الأخلاق الفردية

أ-العائلة والزواج والاطفال:

كان الزواج القاعدة الاساسية لتكوين العائلة ثم المجتمع وكانت الإلهة(عناة) ترعى الزواج والخطوبة وغيرها وكانت هناك أعراف وتقاليد كثيرة لهذا الزواج .

وفي الغالب كان الزواج من امرأة واحدة هو الزواج الشائع . وكان معاشرة المخصيات امراً منفراً .

وكان الانجاب امراً محبباً ومفرحاً وكانت الآله ترعاه ، وكانت العائلة تكفل رعاية الابناء ولا تفرط بهم . ويندر أن يكون الأطفال الكنعانيون ضحية الحروب لأن الشعب الكنعاني كان مسالماً ولا يحب الحرب .

وكان الابناء يوشمون عادة لاغراض دينية والحماية من الأرواح الشريرة ، أما الختان وكان يمارس عند الكنعانيين والفينيقيين فهو يرمز الى دخول الطفل في دين آبائه واجداده والى اندماجه في المجتمع . (الجربي 110 :1996) .

ب-حرق الآثام

كان الكنعاني يحرق آثامه عندما يريد التوبة فكانوا يكتبون خطايا وآثام الشخص على لوح من الطين ويقومون بحرقه وقطعه بالسيف وذره في البحر او دفنه في الحقول أمام الجميع ليكون طقساً شاهداً على التوبة وانهاء السلوك الخاطيء والمنحرف . وقد ورث اليهود هذه العادة فكانوا يصطادون تيساً من الصحراء ويذبحوه ويذروه (انظر ميديكو 125 :1980) .

جـ-التسامح التواضع والأمانة والصدق

كان المجتمع الكنعاني يزرع المثل النبيلة في افراده وكان التسامح احد هذه المثل حيث يرد على لسان الإلهه عناة في ملحمة اللآليء (إن عدم التسامح لا يقود إلا للخراب) . وكان ارتكاب الأخطاء والآثام امراً مشيناً لكن المجتمع كان يسامح المخطيء عن طريق توبته .

وكان التواضع سبيل الكنعاني الى الحياة المزدهرة ولولا الامانة والصدق لما تمكن الكنعاني أن يتحول الى أكبر تجار العالم القديم ، فالتجارة كانت تستوجب الأمانة والصدق .

كل هذه الصفات التي منبعها حب السلام وكره الحروب كانت تتوافق مع الطبيعة المرنة للعبادة الكنعانية .

الأخلاق الاجتماعية

أ- الإيمان والخوف من الآلهة ونبذ الشياطين:

كان المجتمع الكنعاني مجتمعاً متدنياً مؤمناً يخشى آلهته(مخافة الاله دليل على نهاية الشموخ) وكانت الآلهة (التي تمثل القيم العليا) محترمة ومهابة عندهم اضافة الى أنهم يحترمون تفاصيل الاساطير في حياتهم فمثلاً عندما كان الملك الكبير يتقرب من بعل ويترك عبادة إيل وكان ذلك يظهر على شكل توغل أعمال بعل الشهوانية في حياة الناس ، كان الناس يذهبون الى معبد الإله ايل يتوسلونه لكي يبني للإله بعل بيتاً لكي يهدأ ويقلل من دعمه الشهواني للملك الأكبر . وفي هذا السلوك صدى لتداخل تفاصيل اسطورة بناء بيت بعل في حياة الناس واعتقادهم أنه طالما كان بعل هائماً على وجهه فإنه سيقوم بأعمال طائشة وسيسبب للناس الأذى .

وإذا كان بعل قد وضع في تناقص مع ايل فهذا لا يعني نبذ بعل الكلي بل أن احترامه سوف يجري كاملاً عند اقامة طقوس الخصب ونهاية الجدب فهم ينتصرون لبعل في صراعه مع موت املا في رفاه العالم وسعادة الناس .

وفي كل الأحوال كان المجتمع الكنعاني ينبذ الشياطين والأباله والعفاريت . وهو عندما يعبد بعل فإنه لا يرى فيه شيطاناً أو رئيساً لطائفة الأبالسة كما حاول (العهد القديم) أن

يصور ذلك وكما كان يدعى العبريون إزاء الكنعانيين لان عبادة بعل هي عبادة ابن ايل أو ابن داجون وهي عبادة إله كان له الوزن الأكبر في العقائد الكنعانية . وما كان التشويه الذي مارسه العبريون يبدو عنيفاً وقاسياً ضد الكنعانيين إلا لأن العبريين كانوا لا يريدون لبعل أن ينافس يهوا إلههم واذا كان الههم يهوا خيراً عظيماً (في نظرهم) فإن منافسة (بعل) سيكون بالضرورة شريراً هامشياً (في نظرهم) .

إن كره الكنعانيين للشياطين والأبالسة يتجلى في نبذهم لـ(موت) ولأتباعه من الكروبيم سكنة العالم الاسفل .

2-**الحرب والسلام** : كان المجتمع الكنعاني محباً للسلام وكارهاً للحرب ، وقد تجلى ذلك في ميل الكنعانيين الى التجارة واقامة العلاقات الطيبة مع الأمم الاخرى . وقد دفعهم كرههم للحرب الى الانتشار خارج بلاد الشام . وكذلك ظلو بسبب ذلك محافظين على نظام دولة المدينة دون أن تغلي في عروقهم نزعات التوسع والتوحد واقامة الدولة والامبراطوريات الكبرى .

3-**مكانة المرأة الكنعانية** : كانت المرأة الكنعانية تتمتع بقدر وافر من الاحترام والنظرة الرفيعة المستوى ولذلك جاءت دعوات الزواج وتكاثر النسل كثيرة في النصوص الكنعانية . وكانت الإلهة عناة ترعى المرأة والزواج الشرعي . وكان ظهور عدد كبير من الألهان يعكس نظرة الانسان الكنعاني الى الكون وأهمية الأنوثة فيه .

إن الاخلاق الجماعية التي رسمت ملامحها الاساطير والحكايات والقصص التاريخية تشير بوضوح الى أن المجتمع الكنعاني كان مجتمعاً متوازناً حكيماً محباً للخير والسلام .

إن عدم وجود نصوص تشريعية واضحة في المجتمع الكنعاني لا يعني مطلقاً غياب العدالة ، ففي اوغاريت مثلاً كانت هناك محاكم يرأسها القاضي الذي يسمح بالمحاكمات العلنية حيث يعرض المتخاصمين قضاياهم ويحكم هو بينهم وقد يضطرهم الى أداء اليمين والقسم بالآلهة« لقد انطلق المجتمع في ممارسة التشريع واعمال القضاء من أن الانسان الحر هو القانون ذاته وأنه في المقام الأول عضو في مجتمع معين : جماعة عائلية ، عشائرية ، مشاعة ، ناس ، الملك ولم يعترف بأنه يمكن للانسان أن يوجد خارج هذه العلاقات والمؤسسات ، فهو مضطهد وليس له أية حقوق خارج الجماعة ، جماعته نفسها والوثائق الاوغاريتية» (شيفهان 43 :1988) .

الفهارس

1- فهرس المراجع

2- فهرس الجداول

3- فهرس المخططات

4- فهرس الخرائط

5- فهرس الأشكال والصور

6- فهرس المحتويات

1- فهرس المراجع

المراجع العربية

1-اذزارد وآخرون ، 1987 : قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين وفي الحضارة السورية ، ترجمة محمد وحيد خياطة ، مكتب سومر ، حلب- السليمانية .

2-أوفيد ، 1971 : مسخ الكائنات (ميتامورفوس) . ترجمة ثروت عكاشة ، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

3-أوفيد ، 1992 : مسخ الكائنات (ميتامورفوس) ، ترجمة ثروت عكاشة ، ط3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

4-برنال ،مارتن ، 1997 : أثينة السوداء (الجذور الافرواسيوية للحضارة الكلاسيكية . ط1 تلفيق بلاد الاغريق) . تحرير ومراجعة وتقديم د . احمد عثمان ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة .

5-بنت بطوطه ب . ت : فينيقية ، ترجمة عن الفرنسية الاستاذ ف . ك . مطبعة حلبي بدمنهور (1365هـ) .

6-تاتون ، رينيه ، 1988 : تاريخ العلوم العام (العلم القديم والوسيط) ، ترجمة د . علي مقلد . ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع : بيروت .

7-ثابت ، حبيب : عشتروت وادونيس (ملحمة شعرية) ، بيروت .
1948

8-الجربي ، فيصل علي اسعد : الفينيقيون في ليبيا من 1106 ق . م حتى القرن الثاني الميلادي) . ط1 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، بنغازي .
1996

9-جمعة ، د . بديع محمد : اسطورة فينوس وادونيس (دراسات في الادب المقارن 2) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت .
1981

10-جوردون ، سيروس : الأساطير الكنعانية ، عن كتاب اساطير العالم القديم ، د .صموئيل نوح كريمر ، ترجمة د . أحمد عبد الحميد يوسف مراجعة د ، عبد المنعم ابو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
1974

11-حاتم ، د . عماد : أساطير اليونان ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس .
1988

12-حتي ، فيليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ط1 ، ترجمة د . جورج حداد وعبد الكريم رافق . دار الثقافة ، بيروت .
1958

13-حداد ، د . حسني ود . سليم مجاعص : بعل هداد ، دراسة في التاريخ الديني السوري ، دار امواج-دمشق .
1993

14-الخوري ، لطفي : معجم الاساطير ،جـ2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
1990

15-دبوز ، محمد علي : تاريخ المغرب الكبير حـ1 ، ط1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
1964

16-سليم ، د . أحمد أمين : في تاريخ الشرق الادنى القديم(مصر ، سوريا القديمة) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .
1989

17-سليمان ، د . توفيق ، 1985 : دراسات في حضارات غرب اسيا القديمة ، (من اقدم العصور الى عام 1990 ق . م) ، ط1 ، دار دمشق للنشر ، دمشق .

18- السواح ، فراس ، 1993 : لغز عشتار (الألوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة) . ط5 ، دار علاء الدين للنشر . دمشق .

19-السواح ، فراس ، 1995 : آرام دمشق واسرائيل (في التاريخ والتاريخ التوراتي) ط1 ، دار علاء الدين للنشر ، دمشق .

20-الشريقي ، د . ابراهيم ، 1985 : اورشليم وأرض كنعان ، حوار مع أنبياء وملوك اسرائيل ، شركة الشرق الاوسط للطباعة ، عمان .

21-شيفمان ، أ . ش ، 1998 : ثقافة اوغاريت (في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد) ترجمة د . حسان مخائيل اسحق ، الأبجدية للنشر ، دمشق .

22-عبد الحكيم ، شوقي ، 1978 : الفولكلور والاساطير العربية ، ط1 ، دار ابن خلدون ، بيروت .

23-عبد الحكيم ، شوقي ، 1982 : موسوعة الفولكلور والأساطيرالعربية ، ط1 ،دار العودة ، بيروت .

24-عبد الحليم ،د . عبد المنعم 1999 : معظم الأبجديات العالمية المعاصرة اصولها هيروغليفية ،مجلة اخبار الادب ، العدد 296 ، في 14 مارس 1999 ،القاهرة .

25-عصفور ، محمد ابو المحاسن ، 1981 : المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

26-علام ، نعمت اسماعيل ، 1992 : فنون الشرق الاوسط والعالم القديم ، ط6 . دار المعارف ، القاهرة .

27-علي ، د . جواد ، 1980 : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،حـ3 ، ط3 ، دار العلم للملايين ،بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد .

28- العهد القديم 1993 سفر التكوين ، عاموس ، الملوك الأول ، المزامير .

29- غريمال ، بيار ، 1982 : الميثولوجيا اليونانية ، ترجمة هنري زغيب ط 1 ، منشورات عويدات . بيروت -باريس .

30-فخري ، احمد ، 1995 : مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتى عام 332 ق . م) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

31-فرجيل ، 1978 : الانياده ، ترجمة عنبرة سلام الخالدي ، ط2 ، دار العلم للملايين ، بيروت .

32-فريحة ، أنيس ، 1980 : ملاحم وأساطير من أوغاريت (راس شمرا) . دار النهار للنشر ، بيروت .

33- فريزر ، جيمس ، 1979 : أدونيس وتموز ، ترجمة جبرا ابراهيم جبر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

34-كريمر ، صموئيل نوح ، 1957 : من ألواح سومر ، ترجمة طه باقر ، مراجعة د . أحمد فخري ، المثنى في بغداد ، الخانجي في القاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانلكين للطباعة والنشر .

35-كورتل ، آرثر ، 1993 : قاموس اساطير العالم ، ترجمة سهى الطريحي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

36-كوفان ، جاك 1988 : ديانات العصر الحجري في بلاد الشام ، ترجمة د . سلطان محيسن ، دار دمشق للطباعة ، ط ،دمشق .

37-لابات ، رينيه ، 1988 : المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين (مختارات

من النصوص البابلية) ، تعريب الأب البير أيونا ود . وليد الجادر ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . بغداد .

38-الماجدي ، خزعل ، 1997 : مثولوجيا الاردن القديم (دراسة في الاساطير الاردنية القديمة) ط منشورات وزارة السياحة والاثار . عمان .

39- الماجدي ، خزعل ، 1998 : متون سومر(التاريخ ، اللاهوت ، الاساطير ، الطقوس) ، الدار الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان .

40-الماجدي ، خزعل ، 1999 : الآلهة الكنعانية ، دار أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان .

41- الماجدي ، خزعل 1999 : الدين المصري ، دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان .

42-الماجدي ، خزعل 2000 : العقائد الآرامية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان .

43-مكغفرن ، باتريك ، 1992 : الارجوان الصوري (لون للآلهة والملوك) ترجمة ، مريم أحمد سلامة . مجلة آثار العرب ، العدد الخامس ، سبتمبر 199 ، مصلحة الآثار في طرابلس .

44- ميادان ، مادلين هورس ، 1981 : تاريخ قرطاج ، ترجمة ابراهيم بالش ، ط1 ، منشورات عويدات ، بيروت ،باريس .

45-ميديكو ، ه . ي ، ديل : اللآليء (من النصوص الكنعانية) بقلم كبير كهنة اوغاريت ايلي ميليكو . ترجمة وتعليق مفيد عرنوق ،ط1 ، منشورات مجلة فكر .

46-الناضوري ، د . رشيد ، 1981 : المغرب الكبير (العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسية) ، دار النهضة العربية ، بيروت .

47- هبو ، د . أحمد رحيم ، : تاريخ الشرق القديم ط1 ، سورية) ط2 ، دار الحكمة
1999 اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، صنعاء .

48-وافي ، د .علي عبد الواحد ، : الادب اليوناني القديم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،
1979 القاهرة .

49-اليسوعي ، : تسريح الأبصار في عجائب الأمصار : بيروت .
1982

المراجع الاجنبية:

1-Cook,Stanley A.: The Religion of Ancient in the light of Archa-
1930 cology. The British Academy, London.

2-Gray, John , : The Canaanites, Thames and Hudson, London.
1964

3-Harden , D.B, : The Phoenicans . London.
1962

4-Larousse, : Encyclopedia of Mythology. Prometheus press-
1995 New York.

5-Moscati, S , : The world of the phoenicans . Translated from
1968 italian by Alastair Hamiton. London.

2- فهرس الجداول:

1- جدول الخطوط الأبجدية .

2- اشتقاق الآلهة العشتارية الكنعانية .

3- تحولات إلهة الزهرة بشقيها النهاري والليلي .

3-فهرس المخططات:

1-مراحل تطور تاريخ الكنعانيين .

2-الحرب البونية الثانية وصعود هانيبال الى اوروبا ثم غزوه لايطاليا .

3-شجرة انساب الآلهة الكنعانية .

4-تناظر الآلهة والبشر الأوائل في الخليقة الكنعانية .

5-الدورة المثولوجية للإله ايل .

6-الدورة المثولوجية للإله بعل .

7-جذور وغصون الالهة عناة .

8- الأصول الخمسة لاشتقاق كلمة فينيق .

9- أنساب المثولوجيا التاريخية لكنعان .

4-فهرس الخرائط

1-بلاد الشام في الالف الثاني ق . م .

2-بلاد الشام (كنعان) قبل ظهور قوم موسى ١٠١3000-30 ق . م .

3- التوسع الفينيقي في حوض البحر الأبيض المتوسط وسواحله وجزره .

4-قرطاج والمستعمرات الفينيقية في الغرب .

5-فهرس الأشكال والصور

1-لوحة من العاج منقوش عليها صورة ملك وملكة من اوغاريت .

2-خنجر مصنوع من الذهب تحمل قبضته الهلالية الشكل نقوشاً نافرة لمناظر صيد . عثر عليه في (معبد المسلات) في جبيل (ببلوس) .

3-تابوت الملك (أحيرام) ملك جبيل (ببلوس) مصنوع من الحجر .

4-العاشقان (دمية من عين صخري) العصر النطوفي ٩٠٠٠ ق . م .

5-تماثيل الآلهة الأم في بلاد الشام ، العصر الهجري الحديث (النيوليث) .

6-نجمة الغسول المرسومة على جدار في حدود الالف الخامس ق . م .

7-رموز الفينيق .

8-التاج المقرن لايل .

9-رموز عشيرة .

10- رموز بعل .

11-رموز عناة .

12-الالهة عناة مع رموزها .

13-رموز تانيت .

14-رموز عشتارة .

15-رموز موت .

16-شاهدة الرموز .

17-إمدوجد (إلهة الريح القاسية) .

18-الآلهة عشتارة وهي عارية (بطراز مصري)

19-الآلهة عشتارة عارية فوق حصان تلوح بسلاح في يدها .

20-عشيرة (ايثرة) الآلهة الكنعانية الأم .

21-عترجاتس (أترعتا) .

22-الآلهة بارات .

23-رمز الإله السومري (دموزي) وهو الإله البابلي (تموز) .

24-صورة متخيلة لطقوس النار وتقديم المحرقات للاله ملكارت .

25-هرقل (نظير ملكارت)

26- لوح من العاج للالهة عناة ترضع أميرين أو إلهين .

27-بعل في بداية النصف الأول من الالف الثاني ق . م .

28-بعل في بداية النصف الثاني من الالف الثاني ق . م

29-بعل في الألف الثاني ق . م .

30-نصب الإله بعل وهو يحمل باليد اليمنى هراوة وباليسرى الرمح المورق .

31-إله العاصفة مع الثور وشوكة الصاعقة .

32-إلهة العاصفة والطقس المحيطون بالكنعانيين .

33-الإله بعل بقاع (بعلبك) .

34-الآلهة عناة في بزتها كمحاربة وصيادة .

35-الإله موت بقلنسوته السنبيلية المقرنه .

36-بعل دوليخ(جوبتر دوليخوس) .

37-الإله عجل بعل في صورة العجل ذي القرنين .

38-الآلهة الكنعانية عناة .

39-الإلهة الاغريقية اثينا .

40-الإلهة عناة في صورتها الخصيبة .

41-تمثال ادونيس .

42-تمثال الالهة فينوس في لبنان .

43-مورا(ام ادونيس) ممسوحة الى شجرة المر .

44- فينوس تغوي ادونيس .

45-مصرع ادونيس واضطراب الطبيعة .

46-نقوش المشنقة توضح البطل المستعد للقتال والمرأة الحزينة .

47-الإله أسكلابيوس الاغريقي .

48-الإله رشف : تمثال برونزي .

49-الإله شدرافا (شدوفا) .

50-الإله سيديد تعتلي اسداً .

51-الإله حورون من منطقة رجم العبد/ جبل شيحان ، في مؤاب .

52-بعل حمون منحوتاً على لوحة من سوسة .

53-الإله آمون وتجسيده الحيواني (بعل حمون) .

54-تانيت الهة قرطاج تحمل طفلاً .

55- الأقنعة الشيطانية .

56-قناع دويمس القرطاجي .

57-أبو الهول الكنعاني على شاهدة .

58-العنقاء أو الفينيق .

59-جن كنعاني .

60-الطائر الاسطوري المصري بنو .

61-الإله بوزيدون (نظير خادم صيد) .

62-اوروبا تمتطي ظهرالثور زوس ويعبران البحر .

63-رسم عل يمزهرية يوضح اسطورة قدوس وعناية الآلهة به .

64-الإله ديونسيوس : إله الخمر .

65-هيكل مدينة جبيل(ببلوس) منقوش على قطعة نقدية .

66-هيكل عمريت .

67-هيكل دير القلعة ف . ي لبنان .

68-معبد مدينة جبيل(ببلوس) في الألف الثاني ق . م .

69-مقبرة ملكية مشيدة بالحجارة . اوغاريت .

70-مقبرة قرطاجية ترجع الى القرن السادس ق . م .

71-احدى أدوات الطقوس .

72-إناء قرابين على شكل الشاه .

73-إناء قرابين على شكل زهور السوسن .

74-الكاهن بعليتون من (أم العمد) .

75-الأمواس البونية ورموزها واشكالها الدينية .

6= صور واشكال الفصول:

1-الفصل الاول : أمير أو كاهن كنعاني يؤدي طقساً شعائرياً . نقش في إناء فضي مموه بالذهب .

2-الفصل الثاني : نصب الإله بعل من اوغاريت .

3-الفصل الثالث : ملك اوغاريتي يقدم آنية للإله إيل ، نقش حجري من اوغاريت .

4-الفصل الرابع : إناء كنعاني يحتوي على رموز وآلهة .

5-الفصل الخامس : موقد كنعاني لعمل الطقوس .

6-الفصل السادس : الشرائع والأخلاق .

فهرس المحتويات

● المقدمة ________ 5

الفصل الأول: مقدمة تاريخية

(دراسة في التاريخ الحضاري الكنعاني)

من هم الكنعانيون؟ ________ 12

مراحل التاريخ الكنعاني. ________ 14

1-المرحلة القديمة (الأصول) 4000-3000ق م. ________ 16

نظريات أصول الكنعانيين. ________ 16

الأصل الرافديني القديم للكنعانيين ________ 17

2-المرحلة الشامية (3000-1200)ق م. ________ 23

أ- فترة تأسيس المدن الكنعانية (3000-2400)ق م. ________ 25

ب-فترة النفوذ المصري (2400-1500)ق م. ________ 26

جـ- فترة الصراع المصري الحوري الحيثي
(1500-1200)ق م. ________ 28

د-فترة تدمير المدن الكنعانية (الغزو الفلستي والاشوري
والعبري) (1200-146) ق م. ________ 30

3-المرحلة الفينيقية(1200-146) ق م. ________ 35

أ-الفينيقيون الشرقيون (1200-232) ق م. ________ 35

1-الإحتلال المصري. ________ 35

2-الإحتلال الآشوري. ________ 35

3-الإحتلال البابلي. ________ 36

4-الإحتلال الفارسي. ________ 37

ب- الفينيقيون الغربيون (البونيون والقرطاجيون) 1200-146 ق م . —— 43
1-المرحلة الفينيقية (1200-814) ق م . —— 43
2-المرحلة البونية(814-550) ق م . —— 47
3-المرحلة القرطاجية : (550-146)ق م. —— 48
أ-تأسيس دولة قرطاج . —— 48
ب-فترة الصراع القرطاجي الاغريقي . —— 49
جـ-فترة الصراع القرطاجي الروماني(الحروب البونية) . —— 53

الفصل الثاني: المتولوجيا الكنعانية
(دراسة في الآلهة والرموز والاساطير الكنعانية)

المبحث الأول: الآلهة الكنعانية. —— 59
شجرة أنساب الالهة الكنعانية . —— 60
1-جيل الآلهة القديمة —— 60
2-إلهة الكون (العناصر الأربعة) —— 66
3-جيل إيل . —— 69
4-جيل بعل . —— 70
5-البعول (اشكال وأبناء بعل) . —— 71
6-الثالوث الكنعاني الآرامي . —— 73
المبحث الثاني: الرموز الدينية الكنعانية —— 75
1-رموز الفينيق . —— 75
2-رموز إيل . —— 76
3-رموز عشيرة . —— 76
4-رموز بعل . —— 77

5-رموز عناة . 78
6-رموز تانيت . 82
7-رموز عشتارة . 86
8-رموز موت . 87
9- الرموز الدينية الاخرى . 87
المبحث الثالث: الأساطير الكنعانية 89
1-أساطير الخليقة 90
أ- الكوزموغونيا واليثوغونيا الكنعانية من الهيولي الى
السماء والأرض 91
خلق آلهة العناصر الأربعة 95
آلهة المياه والأرض 96
آلهة الهواء والنار 103
خلق أنصاف الآلهة (الحكماء) 110
خلق التنين (تيفون) 110
ب- الأنثربوغونيا الكنعانية (خلق الانسان) آدم وادمه 110
2-أساطير ايل 114
أ-أساطير مرحلة القوة 115
- أسطورة ولادة إيل 115
- أسطورة قتل الأب 116
- أساطير نمو وتطور (السنوات السبع السمان) 116
ب- أساطير مرحلة الضعف 117
-أسطورة التضحية بولده جنود 117
- أسطورة ولادة الآلهة الجميلة والقبيحة 117

جـ-أساطير مرحلة الضعف الجنسي . ____ 125
د-أساطير غياب ايل . ____ 126
هـ- أساطير جيل إيل ____ 126
3-أساطير بعل . ____ 127
أ-تطور شخصية بعل . ____ 127
ب-دورة اساطير بعل . ____ 135
1-أساطير مرحلة القوة . ____ 135
أ-بعل الفتى . ____ 136
ب-أسطورة صراع (بعل) و(يم) . ____ 136
جـ-بناء قصر بعل . ____ 142
2-أساطير مرحلة الضعف . ____ 145
أ-أسطورة صراع بعل وموت . ____ 145
3-أساطير صراع بعل مع قوى العالم الأسفل . ____ 149
أ-صراع بعل من لتن (لوثان) . ____ 149
ب-صراع بعل مع شليط . ____ 150
ج-صراع بعل مع ارش . ____ 150
جـ-صراع بعل مع عتك . ____ 150
د- صراع بعل مع عتك . ____ 150
هـ- صراع بعل مع إيل زيوب . ____ 150
و-صراع بعل مع اشت . ____ 151
ز- صراع بعل مع زيب . ____ 151
4-أسطورة الغياب . ____ 151
البعول (البعليم) ____ 152

4-أسطورة عناة . ــــــــــــــــــــــــ 153
5-أسطورة أدونيس . ــــــــــــــــــــــــ 159
أ- ولادة أدونيس ــــــــــــــــــــــــ 161
ب- خلاف فينوس وبرسفونة على أدونيس ــــــــــــــــــــــــ 163
جـ- فينوس وأدونيس ــــــــــــــــــــــــ 163
د-دم أدونيس ــــــــــــــــــــــــ 165
6- أسطور أشمون ــــــــــــــــــــــــ 169
7- أسطورة شدرافا ــــــــــــــــــــــــ 173
8- أسطورة حرون ــــــــــــــــــــــــ 175
9- أسطورة شبش (الشمس) ــــــــــــــــــــــــ 177
10- أسطورة يرح (القمر) ــــــــــــــــــــــــ 177
11- أسطورة حمون ــــــــــــــــــــــــ 178
12- أسطورة تانيت ــــــــــــــــــــــــ 181
المبحث الرابع : الكائنات الأسطورية غير الألهية (الشياطين والكائنات الخرافية) ــــــــــــــــــــــــ 184
1-أبناء إيليم ــــــــــــــــــــــــ 184
2-الكروبيم ــــــــــــــــــــــــ 184
3-الرفائيم ــــــــــــــــــــــــ 185
4-أقنعة الشياطين ــــــــــــــــــــــــ 186
5-الكائنات الخرافية ــــــــــــــــــــــــ 188

الفصل الثالث

القصص والملاحم الكنعانية

(دراسة في الآباء والبشر المؤلهين والابطال عند الكنعانيين)

1-قصص الجيل الاول من البشر (الآباء : آدم وسلالته) 197

أ- آدم . 197

ب-قابيل وهابيل . 198

جـ- شيث 199

2-قصص الجيل الثاني من البشر(البشر المؤلهين : بعد الطوفان) . 199

أ-كنعان . 200

ب-فينيق . 203

جـ- صيدون . 212

د- صور 214

3-قصص عصر البطولة الكنعاني (الملاحم الاوغاريتية) . 215

أ- كرت . 215

ب-دانيال . 216

جـ- أقهات . 216

د- الملك الكبير . 219

4-قصص عصر البطولة الفينيقي(أبطال صيدا) 222

أ-أوروبا . 222

ب - قدموس 224

5-قصص عصر البطولة القرطاجي (ابطال صور) . 228

إليسا : مؤسسة قرطاج . 228

الفصل الرابع

اللاهوت الكنعاني

(دراسة في المعتقدات الدينية الاوغاريتية والفينيقية والقرطاجية)

1-المؤسسة الدينية الكنعانية ____ 235

أ-الآلهة ____ 235

ب- المعابد ____ 236

جـ- الكهنة ____ 243

2-إيل وشعبه المختار: شعب السيد ____ 244

3 -شكل الكون ____ 247

4-عقيدة التضحية ____ 248

5-الإله والانسان ____ 248

6-الأصنام ____ 249

7- اللعنات والفأل السيء ____ 250

8-عقائد ما بعد الموت ____ 250

الفصل الخامس

الطقوس الكنعانية

(دراسة في الطقوس والشعائر الاوغاريتية والفينيقية والقرطاجية)

1-الطقوس اليومية ____ 255

أ- الإغتسال والتطهير ____ 255

ب-الصلاة ____ 257

جـ-صب الخمور على الأرض ____ 259

د-العربون (النذور) ____ 260

هـ-دق الطبول 260
و-صهر التماثيل 260
ز-تعرفات الذبائح 260
ح- القرابين 261
2-طقوس المناسبات 262
أ-طقوس بناء المعبد 262
ب-طقوس الزواج 262
جـ- طقوس الموت 263
د- الألواح الجنائزية 266
هـ- طقوس الدفن أو الحرق 266
3-الطقوس الدورية 268
أ- الطقوس الاسبوعية والشهرية 268
ب-الطقوس الفصلية والسنوية 268
1- الادونيات (أعياد ادونيس) 269
2- أعياد ملكارت 272
3- أعياد رشف 272
4- أعياد اشمون 213
5-طقس فتح طاقات السماء 273
جـ- الطقوس السبعية 273

الفصل السادس

الشرائع والأخلاق

(دراسة في المكونات الثانوية للعبادة الكنعانية)

1-الأخلاق الفردية 277

أ- العائلة والزواج والاطفال ____ 277
ب-حرق الآثام ____ 277
جـ-التسامح والتواضع والأمانة والصدق ____ 278
2-الاخلاق الاجتماعية ____ 278
أ-الايمان والخوف من الآلهة ونبذ الشياطين ____ 278
ب-الحرب والسلام ____ 279
ج- مكانة المرأة الكنعانية ____ 279

الفهارس

1-فهرس المراجع ____ 283
2- فهرس الجداول ____ 289
3- فهرس المخططات ____ 289
4-فهرس الخرائط ____ 289
5-فهرس الأشكال والصور ____ 290
6-صنور وأشكال ____ 294
7-فهرس المحتويات ____ 295

صدر للمؤلف

في حقل المثولوجيا والأديان القديمة

1-سفر سومر- دار عشتار ، بغداد ، 1990 .

2-حكايات سومرية- وزارة الاعلام ، بغداد ، 1995 .

3-مثولوجيا الاردن القديم- وزارة السياحة والاثار- عمان 1997 ،

4-أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ -دار الشروق ، عمان 1997 .

5-جذور الديانة المندائية -مكتبة المنصور ، بغداد 1997 .

6-الدين السومري- دار الشروق ،عمان 1998 .

7-بخور الالهة(دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين) ،الدار الاهلية ،عمان 1998 .

8-متون سومر- الدار الاهلية ، عمان 1998 .

9-الجيل بابل- الدار الاهلية ، عمان 1998 .

10- الجيل بابل : الدار الاهلية ،عمان 1998 .

11- الالهة الكنعانية ، دار ازمنة ، عمان 1999 .

12-الدين المصري ، دار الشروق ، عمان 1999 .

13-المعتقدات الارامية ، دار الشروق ،عمان 2000 .

في حقل الشعر

1-يقظة دلمون ، وزارة الاعلام ، بغداد ، 1980 .

2-اناشيد اسرافيل ، وزارة الاعلام ،بغداد 1984 .

3-خزائيل ، وزارة الاعلام ،بغداد 1989 .

4-عكازة رامبو ، دار الأمد ، بغداد 1993 .

5-فيزياء مضادة ، مكتبة المنصور ، بغداد 1997 .

في حقل المسرح (المسرحيات المعروضة)

1-عزلة في الكريستال 1990 .

2-حفلة الماس 1991 .

3-هاملت بلا هاملت 1992 .

4-الغراب 1992 .

5-مسرحيات قصيرة جداً 1939 .

6-تموز في الاعالي 1993 .

7-قيامة شهرزاد 1994 .

8-نزول عشتار الى ملجأ العامرية 1994 .

9-أكيتو (الليالي البابلية) 1995 .

10-مفتاح بغداد 1996 .

11-أنيما 1997 .

12- سدرا 1999 .

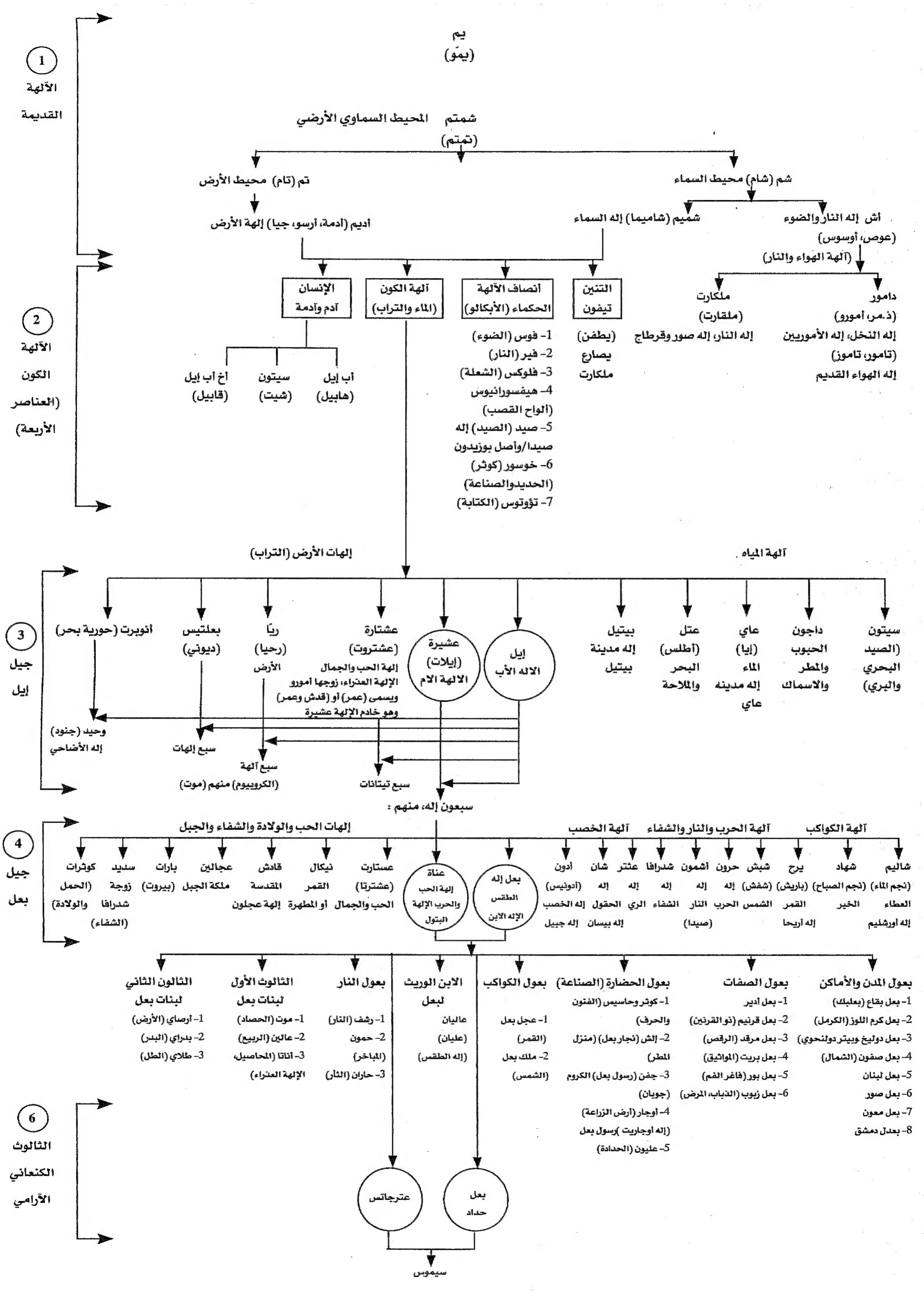
1
الآلهة
القديمة
يم
(يمّو)
شمتم المحيط السماوي الأرضي
(تمتم)
تم (تام) محيط الأرض
أديم (ادمة، أرسو، جيا) إلهة الأرض
شم (شام) محيط السماء
شميم (شاميما) إله السماء
أش إله النار والضوء
(عوص، أوسوس)
(آلهة الهواء والنار)
ملكارت
(ملقارت)
إله النار، إله صور وقرطاج
دامور
(ذ.مر، أمورو)
إله النخل، إله الأموريين
(تامون، تاموز)
إله الهواء القديم
2
الآلهة
الكون
(العناصر
الأربعة)
الإنسان
آدم وآدمة
آلهة الكون
(الماء والتراب)
أنصاف الآلهة
الحكماء (الأبكالو)
التنين
تيفون
أب إيل
(هابيل)
سيتون
(شيت)
أخ أب إيل
(قابيل)
1- فوس (الضوء)
2- فير (النار)
3- فلوكس (الشعلة)
4- هيفسورانيوس
(ألواح القصب)
5- صيد (الصيد) إله
صيدا/وأصل بوزيدون
6- خوسور (كوثر)
(الحديدوالصناعة)
7- تؤوتوس (الكتابة)
(يطفن)
يصارع
ملكارت
إلهات الأرض (التراب)
آلهة المياه
3
جيل
إيل
أنوبرت (حورية بحر)
بعلتيس
(ديوني)
ريّا
(رحيا)
الأرض
عشتارة
(عشتروت)
إلهة الحب والجمال
الإلهة العذراء، زوجها أمورو
ويسمى (عمر) أو (قدش وعمر)
وهو خادم الإلهة عشيرة
عشيرة
(إيلات)
الالهة الام
إيل
الاله الأب
بيتيل
إله مدينة
بيتيل
عتل
(أطلس)
البحر
والملاحة
عاي
(إيا)
الماء
إله مدينه
عاي
داجون
الحبوب
والمطر
والاسماك
سيتون
(الصيد
البحري
والبري)
وحيد (جنود)
إله الأضاحي
سبع إلهات
سبع آلهة
(الكروبيوم) منهم (موت)
سبع تيتانات
سبعون إله، منهم :
4
جيل
بعل
إلهات الحب والولادة والشفاء والجبل
آلهة الخصب
آلهة الحرب والنار والشفاء
آلهة الكواكب
كوثرات
(الحمل
والولادة)
سديد
زوجة
شدرافا
(الشفاء)
بارات
(بيروت)
عجالين
ملكة الجبل
قادش
المقدسة
إلهة عجلون
نيكال
القمر
أو المطهرة
عستارت
(عشترتا)
الحب والجمال
عناة
إلهة الحب
والحرب الإلهة
البتول
بعل إله
الطقس
الإله الابن
أدون
(أدونيس)
إله الخصب
إله جبيل
شان
إله
الحقول
إله بيسان
عثتر
إله
الري
شدرافا
إله
الشفاء
أشمون
إله
النار
حرون
إله
الحرب
(صيدا)
شبش
(شفش)
الشمس
يرح
(باريش)
القمر
إله أريحا
شهاد
(نجم الصباح)
الخير
شاليم
(نجم الماء)
العطاء
إله أورشليم
الثالوث الثاني
لبنات بعل
1- أرصاي (الأرض)
2- بدراي (البدر)
3- طلاي (الطل)
الثالوث الأول
لبنات بعل
1- موت (الحصاد)
2- عالين (الربيع)
3- أناتا (المحاصيل،
الإلهة العذراء)
بعول النار
1- رشف (النار)
2- حمون
(المباخر)
3- حاران (النار)
الابن الوريث
لبعل
عاليان
(عليان)
(إله الطقس)
بعول الكواكب
1- عجل بعل
(القمر)
2- ملك بعل
(الشمس)
بعول الحضارة (الصناعة)
1- كوثر وحاسيس (الفنون
والحرف)
2- إلش (نجار بعل) (منزل
المطر)
3- جفن (رسول بعل) (الكروم
(جويان)
4- أوجار (أرض الزراعة)
(إله أوجاريت) رسول بعل
5- عليون (الحدادة)
بعول الصفات
1- بعل أدير
2- بعل قرنيم (ذو القرنين)
3- بعل مرقد (الرقص)
4- بعل بريت (المواثيق)
5- بعل بور (فاغر الفم)
6- بعل زبوب (الذباب، المرض)
بعول المدن والأماكن
1- بعل بقاع (بعلبك)
2- بعل كرم اللوز (الكرمل)
3- بعل دوليخ وبيتر دولنحوي
4- بعل صفون (الشمال)
5- بعل لبنان
6- بعل صور
7- بعل معون
8- بعدل دمشق
6
الثالوث
الكنعاني
الآرامي
بعل
حداد
عترجاتس
سيموس

هذا الكتاب

يبحث هذا الكتاب في تاريخ الاقوام الكنعانية الاولى وأصولهم القديمة ومعتقداتهم وأساطيرهم دونما خلط اعتباطي مع العقائد الأخرى، من خلال ترتيب وتوصيف المسلمات الخاصة بالتاريخ والعقائد الكنعانية وايجاد تفسيرات ومخارج جديدة لها.

أنه يدرس وبشكل محكم المعتقدات الكنعانية منذ البداية ويدرس كذلك المعتقدات التاريخية المحايثة لها ليكشف عن خصوصية وسعة التراث الكنعاني ودرجات تنوعه المدهش.

الناشر

دار الشروق للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي - عمان/الاردن - تلفون ٤٦١٨١٩٠-٤٦١٨١٩٠ فاكس ٤٦١٠٠٦٥

E-mail: shorokjo@nol.com.jo

website:www.shorok.com

وكلاؤنا في فلسطين

دار الشروق للنشر والتوزيع - رام الله - المنارة - تلفاكس ٠٢/٢٩٦١٦١٤

دار الشروق للنشر والتوزيع - نابلس - جامعة النجاح - تلفون ٠٩/٢٣٩٨٨٦٢

دار الشروق للنشر والتوزيع - غزة - الرمال الجنوبي - تلفون ٠٦/٢٨٤٧٠٠٣

وكيلنا في الامارات العربية المتحدة - دبي

دار الشروق للنشر والتوزيع - دبي - هاتف ٢٢٧٣٦٦٢ ٤ ٠٠٩٧١ - فاكس ٢٢٧٣٦٦٩ ٤ ٠٠٩٧١ - ص ب ٣٥

E-mail: shorok@emirates.net.ae

ISBN 9957-00-151-5 ردمك

Bibliotheca Alexandrina
0261643